بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة أم القـــــــــــرى
كلية التربية بمكة المكرمـــة
الدراسات العليا

نموذج رقم (٨) *

اجازة أطروحة علمية في صيغتها النهائيـــــة
بعد اجراء التعديلات المطلوبـــة

الاسم رباعـــي : نصيره حسان زمرلين — القسم : التربيه الإسلاميه والمقارنه

الدرجة العلمية : الماجستير — التخصص : تربيه اسلاميه

عنوان الاطروحـة : التعليم الاسلامي في الجزائر في ظل الاحتلال الفرنسي "١٨٣٠ - ١٩٦٢م"

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد ،،

فبناء على توصية اللجنة المكونة لمناقشة الاطروحة المذكورة عاليه والتي تمت مناقشتها بتاريخ / / ١٤٠هـ بقبول الاطروحة بعد اجراء التعديلات المطلوبة ، وحيث قد تم عمل اللازم ٠

فان اللجنة توصي باجازة الاطروحة في صيغتها النهائية المرفقة كمتطلب تكميلي للدرجة العلمية المذكورة أعلاه والله الموفق ٠

أعضاء اللجنة

المشرف	مناقش من القسم	مناقش من خارج القسم
الاسم : د٠ حسان ضيف الله القرشي	د٠ محمود محمد كسناوي	د٠ محمد الحبيب الهيله
التوقيع :		

رئيس قسم التربية الاسلامية والمقارنـــة

د٠ نجم الدين عبد الغفـــورجـان

* يوضع هذا النموذج أمام الصفحة المقابلة لصفحة عنوان الاطروحة في كل نسخة

المملكة العربية السعودية
جامعة أم القرى
قسم التربية الإسلامية

٣٠١٠٢٠٠٠٠١٢٥٠

التعليم الإسلامي في الجزائر في ظل الاحتلال الفرنسي
(من سنة ١٨٣٠م - ١٩٦٢م)

إعداد الطالبة
نفيسة حسان زيرلين
إشراف
د/ حسان ضيف الله القرشي

١٠٠٣٢٤٦/١

دراسة مقدمة إلى قسم التربية الإسلامية لكلية التربية بجامعة أم القرى بمكة المكرمة كمتطلب تكميلي لنيل درجة الماجستير في التربية الإسلامية

جامعة أم القرى / مكتبة المكرمة
عمادة شؤون المكتبات
قسم الإعارات
UMM AL-QURA UNIVERSITY MAKKAH

عام ١٤٠٦هـ - ١٤٠٧هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

ومن أحسن قولاً ممن
دعا إلى الله وعمل صالحاً
وقال إنني من المسلمين

"صدق الله العظيم"

سورة فصلت آية ٣٣

شكر وتقدير

الحمد لله الذى بحمده تتّم الصالحات والصلاة والسلام على أشرف الانبياء وبعد :

عرفانا لكل جهد ساهم في إنجاز هذا البحث أتقدم بالشكر والتقدير لكل من قدم العون والمشورة والتوجيه وأخص بذلك الأستاذ الفاضل المشرف على البحث الدكتور " حسان ضيف الله القرشي "على ما أولاني من حسن التوجيه وكمال العناية ، كما أخص بالشكر والامتنان والدي الكريم الذي منحني من جهده ووقته الكثير فجزاهم الله عني خير الجزاء وأسأل الله أن ينفعني بهذا العمل وينفع به وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم .

* ملخص الدراسة *

(التعليم الاسلامي في ظل الاحتلال الفرنسي للجزائر) :

يهدف هذا البحث الى التعريف بالظروف والعوامل الايجابية والسلبية التي واكبت التعليم الاسلامي في ظل الاحتلال الفرنسي للجزائر لذلك فقد ركّز على توضيح وظيفة المؤسسات التعليمية والمناهج في دعمه كما عرّف بالجهود التي ساهمت في ارساء قواعد هذا التعليم ، وكذلك مختلف التحديات التي واجهتها . وللتمكن من توضيح كافة هذه القضايا فقد اتبع المنهج التاريخي في جمع المعلومات والحقائق من بعض الوثائق التاريخية وتحليلها واستخلاص النتائج منها .

وقد احتوى هذا البحث على ستة فصول ، تضمن الفصل الأول حدود البحث أهدافه وأهميته والدراسات السابقة التي بحثت فيه .

أما الفصل الثاني فقد تطرق الى واقع التعليم الاسلامي في الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي اذ قمت بعرض نبذة تاريخية عن الحالة السياسية في الثلث الأول من القرن التاسع عشر ثم بدراسة تحليلية وفق الاحصائيات المتوفرة عن التعليم آنذاك فتحدثت من خلالها عن التعليم ومؤسساته ومراحله ، ومناهجه وطرق تدريسه .

وفي الفصل الثالث ناقشت التعليم الاسلامي في ظل الاحتلال الفرنسي ، حيث أولا : دخول الاستعمار الى الجزائر ، ومن ثم قسمت المراحل التي مربها التعليم الاسلامي في ظل الاحتلال بنهاية القرن التاسع عشر الى مراحل ثلاث :-

فالمرحلة الأولى فهي غداة الاحتلال أي بعدتسليم الداى حسين شروط الاستسلام ممضاة من الجانب التركي والفرنسي .

المرحلة الثانية وهي الموافقة لوجود الأمير عبد القادر بالجزائر أي من : ١٨٣٤م - ١٨٤٨م فهي تتسم بجهاد الأمير الباسل وتضحياته من أجل بقاء التعليم الاسلامي .

أما المرحلة الثالثة فهي التعليم الاسلامي بعد هجرة الأمير " عبدالقادر " فهي توافق فترة وجود الامبراطور نابليون الثالث على العرش الفرنسي ، وقد تحدثت في هذه المرحلة عن الحركة التنصيرية المسيحية الذى ازداد نشاطها في عهد نابليون٣.

الفصل الرابع : عني هذا الفصل بابراز أساليب المستعمرين في القضاء على التعليم الاسلامي داخل المؤسسات التعليمية منها : المدارس والمساجد والكتاتيب والزوايا . وهنا تطرقت الى الصوفيين ومدى تأثير الاستعمار عليهم فادخلوا البدع والخرافات في التعليم وفي الأخير تحدثت عن تأثير هذا التعليم على الأهالي .

الفصل الخامس تحت عنوان :" دور التعليم الاسلامي في تحرير الجزائر " :

١- حالة التعليم الاسلامي قبل ظهور جمعية " العلماء الجزائريين المسلمين " فقد ناقشت السياسة الاستعمارية الجديدة التي ظهرت مع مطلع القرن العشرين وتطرقت الى التيارات الخارجية وأثرها على التعليم الاسلامي .

٢- "جمعية العلماء الجزائريين المسلمين " ، تطرقت من خلالها الى رجال الجمعية حامل لواء الدعوة الاصلاحية والى مبادئ الجمعية المتمثلة في اتباع خطة الشيخ محمد عبده رحمه الله ، كما ناقشت الصراع الحاد الذى كان بين الفئة المستعمرة فكريا وبين خريجي مدارس المشرق العربي الاسلامي والفرنسيين المعمرين .

وأخيرا حاولت ابراز دور الصحافة والتأليف والمسرح والرواية في التعليم الاسلامي كما تعرضت الى الطلبة الجزائريين أنذاك فتحدثت عن مساهمتهم ومدى دعمهم للتعليم الاسلامي .

وأنهيت الفصل الخامس بالحديث عن ثورة المليون ونصف شهيد ودورها في استرجاع كرامة الوطن في شتى الميادين .

فتحررت الجزائر حينئذ والتعليم الاسلامي شبه مفقود !

وقد توّجت هذه الدراسة بالفصل السادس الذى تضمن نتائج البحث وتوصيات وخاتمته .

ومن أهم نتائج هذا البحث :

أولا : أن دخول الاستعمار مهما كان فهو حرب ونقمة بدايته السلب والنهب والتعدى على المؤسسات الاسلامية .

ثانيا : طلبة العلم والمثقفين المسلمين هم خيرة أبناء الوطن وعنصر أساسي في الدفاع عن العقيدة السمحاء .

ثالثا : وسائل الاعلام بأنواعها خير سلاح من أجل محو الأمية والتعريف بالمبادئ السامية وتوعية الشعب في سبيل الرجوع به الى أصالته العربية الاسلامية .

رابعا : للتعليم الاسلامي دور رئيسي ومتميز في بلورة شخصية الأمة وصبّها في قالب الانتماء الديني العقائدى للتمكن من صد التيارات المعادية المنحرفة .

الفصل الأول

* محتويات الدراسة *

	الصفحة
الفصل الأول :	
المقدمة	١
خطوات البحث	٣
— سبب اختيار البحث	٣
— مشكلة البحث	٣
— أهداف الدراسة	٥
— شرح مصطلحات البحث	٥
— منهج البحث	٦
— أهمية البحث	٧
— الدراسات السابقة	٨
الفصل الثاني :	١٠
واقع التعليم الاسلامي قبل الاحتلال الفرنسي	١١
— نبذة تاريخية عن الحالة السياسية في الثلث الأول من القرن التاسع عشر	١١
— التعليم الاسلامي في الثلث الأول من القرن التاسع عشر	١٤
— مؤسسات التعليم قبل الاحتلال	١٦
— أ ـ المساجد	١٦
— ب ـ الكتاتيب	١٨
— جـ ـ الزوايا	١٨
— د ـ المدارس	٢٠

الصفحة

- مراحل التعليم : ٢٢
- أ ـ التعليم الابتدائي ٢٣
- ب ـ المرحلة الثانوية ٢٣
- جـ ـ المرحلة العالية ٢٥
- الطريقة التعليمية ٢٦
- أشهر علماء الجزائر ٢٧
- تمويل التعليم ٢٨
- الأحباس والأوقاف ٢٨

خلاصة ٣٠

الفصل الثالث : ٣١

- التعليم الاسلامي في نهاية القرن التاسع عشر : ٣٢
- احتلال فرنسا الجزائر ٣٢
- المراحل التي مر بها التعليم الاسلامي في هذه الفترة ٣٦
- أ ـ المرحلة الأولى : غداة الاحتلال من ١٨٣٠-١٨٣٢ ٣٧
- ب ـ المرحلة الثانية : التعليم الاسلامي من١٨٣٢-١٨٤٨ الموافق لعهد الأمير عبد القادر. ٤١
- جـ ـ المرحلة الثالثة : التعليم الاسلامي من ١٨٥٢-١٨٧٠ الموافق لعهد نابليون ٣ ٥٢
- الصليب والقوة ضد التعليم الاسلامي ٦١
- اهتمام المبشرين بالمرأة المسلمة ٦٦

خلاصة ٦٩

الفصل الرابع : ٧٢

- أساليب فرنسا في القضاء على التعليم الاسلامي

الصفحـــــة

— أ ـ مصير مؤسسات التعليم الاسلامي ٧٢

— أ ـ المساجد ٧٢

— ب ـ المدارس ٨٠

— جـ ـ الكتاتيب ٨٦

— د ـ الزوايا والصوفيون ٨٧

— ابن الحداد الصوفي وثورة ١٨٧١م ٩٠

— البعض من طلاب الشيخ عبد الرحمن وزواياهم ٩٥

خلاصـــــة ١٠١

الفصل الخامس : ١٠٢

— دور التعليم الاسلامي في تحرير الجزائر ١٠٢

أ ـ التعليم الاسلامي في مطلع القرن العشرين ١٠٢

— ١ ـ جونار والسياسة الجديدة ١٠٢

— ٢ ـ التيارات الخارجية وأثرها على التعليم الاسلامي ١٠٩

— ٣ ـ ظهور نادي الترقي ١١٤

— ٤ ـ حزب نجم شمال افريقيا ١١٦

خلاصـــــة ١١٨

ب ـ جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ١٢٠

— الشيخ عبد الحميد بن باديس القائد الأول ١٢١

— أهم أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ١٢٥

— ١ ـ الشيخ البشير الابراهيمي ١٢٦

— ٢ ـ الشيخ الطيب العقبي ١٢٧

— الشيخ العربي التبسي ١٢٨

— الشيخ المبارك الميلي ١٢٩

الصفحـــة

- مبادئ جمعية العلماء ١٣٠
- التعليم الاسلامي في عهد جمعية العلماء ١٣٨
- المرحلة الأولى ١٣٩
- المرحلة الثانية : ١٩٤٠م - ١٩٤٣م ١٥١
- المرحلة الثالثة : ١٩٤٣م - ١٩٥٦م ١٥٤
- تعلـــيم الفتـــاة ١٥٨
- التعليم الرسمي في مواجهة التعليم الاسلامي ١٦٢
- أ - التعليم الابتدائي ١٦٢
- ب - التعليم الثانوي ١٦٣
- جـ - التعليم العالي ١٦٦

خلاصـــة ١٦٨

- أ - الصحافة والتعليم الاسلامي ١٧٠
- الصحافة الصادرة باللغة الفرنسية ١٧٨
- الصحف المزدوجة اللغة ١٧٩
- ب - التأليف والتعليم الاسلامي ١٨٠
- جـ - التعليم الاسلامي والمسرح ١٨٥
- - الحرب العالمية الثانية ومصير المسرح الجزائري ١٨٨
- د - الأدب الجزائري والتعليم الاسلامي ١٨٩
- هـ التعليم الاسلامي واتحاد الطلبة الجزائريين ١٩٢
- و تأسيس الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين ١٩٥
- ي التعليم الاسلامي وثورة التحرير ١٩٨

خلاصـــة ٢٠٦

الصفحـــة

الفصـــل السادس :

- نتائـــج البحث ٢٠٩
- توصـيات البحث ٢١٢
- الخاتـــــمة ٢١٥

المقدمـــة :-

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد :

تقع الجزائر ، في افريقيا الشمالية ، مساحتها (٣ر٠٠٠ر٠٠٠ كم٢) يحدها شمالا البحر الأبيض المتوسط، وشرقا تونس الخضراء وجنوبا الصحراء الكبرى ، أما غربا فبلاد المغرب الأقصى (١)، وعلى هذا الاعتبار تعد الجزائر من أوسع أقطار الشرق الأدنى ومساحتها تبلغ أربعة أمثال مساحة فرنسا الاستعمارية .

تعتبر الجزائر بمثابة البوابة على القارة الافريقية ، ذات مركز استراتيجي هام ، وتتمتع منذ فجر تاريخها بثروات زراعية ومعدنية جعلت منها في الماضي دوما هدفا للطامعين والمغامرين ابتداءا من الروم الى الوندال والبيزنطيين وانتهاء بالفرنسيين (٢) .

ان عمر الأمة ليقاس بمقاييس شتى ، منها قيمة التعليم في هذه الأمة وأهميته لقد عاشت الأمة الاسلامية دهرا من الزمن تتمتع بالتعليم الاسلامي الذي جعلها تفتح أصقاع الأرض من المحيط الى المحيط .

هذا التعليم الذي كان هدفه : " تنشئة الانسان الصالح الذي يعبد الله حق عبادته ويعمر الأرض وفق شريعته ويسخرها لخدمة العقيدة وفق منهجه "(٣).

واليوم نسمع كثيرا عما يسمى بالدول النامية المتخلفة ، ومن ضمنها عدد من الدول الاسلامية التي ابتعدت كثيرا عن مبادئها التي ميزتها في مختلف مجالات الحياة

---

(١) معلوم يوسف - المنجد في اللغة والأدب والعلوم - ط الخامسة - ١٩٣٧م بيروت . ص ١٣٥ .

(٢) الجزائر - وزارة الثقافة - البخاري حمانة " الثقافة " عدد ٨٣ ذي الحجة، محرم ١٤٠٤ هـ : ص ٣٥٣ .

(٣) توصيات المؤتمر العالمي الأول للتعليم الاسلامي سنة ١٣٩٧هـ تحت عنوان التوصيات العامة : ، ط ١ سنة ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م . ص ١٢

العلمية والعملية فأصبحت تعيش في حالة من الاضطراب والتمزق وهي تكاد تفقد شخصيتها حيث أن هذه المجتمعات لم تسلم بمختلف نظمها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والتعليمية . . . من التأثير الغربي الذي طغت عليه المادة ، فبالأمس فقط كان التعليم هو سلاح الشاب المسلم الذي كان ينهل من المنهج الصحيح وفق كتاب الله وسنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم - ولهذا ينبغي التصدي للمحاولات التي تبعد شباب اليوم عن منهله حتى لا يضعف رويدا - رويدا ويضيع مع التيارات الغربية المنحرفة الهادفة الى تحطيم هذه الشخصية وسلب الروح الاسلامية منها . وهذا مايراه كذلك المستشرقون منهم " جب " الذي يقول "لقد استطاع النشاط التعليمي والثقافي عن طريق المدارس العصرية أن يترك في المسلمين ولو من غير وعي منهم أثرا جعلهم يبدون في مظهرهم العام لادنيين الى حد بعيد . . ."(١)

فأهم ثغر يتسلل منه المستعمر لدى دخوله بلد ما هو التعليم الذي يمثل قيمة تلك البلد وهذا ماحصل بالفعل في الجزائر عند دخول الفرنسيين معلنين الحرب على كل ماهو عربي مسلم .

لذلك فقد عني هذا البحث بمناقشة القضايا الرئيسية التالية :

أولا : واقع التعليم الاسلامي قبل الاحتلال الفرنسي والمراحل التي مر بها في ظل الاحتلال الفرنسي للجزائر .

ثانيا : أساليب المستعمر في القضاء على التعليم الاسلامي .

ثالثا : دور التعليم الاسلامي في تحرير الجزائر.

---

(١) العروسي محمد - " التربية الاسلامية بين المنهج والمدرس" مقدم الى المؤتمر العالمي الأول للتعليم الاسلامي - ، ط (١) ١٤٠٣ هـ. ص ٩ .

* خطـــوات البحـــــث *

سـبب اختيار البحـث :-

اذا أردنا أن ندرس واقع التعليم الاسلامى فى الجزائر أو غيرها من الدول الاسلامية فلا يمكننا أن نصل الى شئ الا بالرجوع الى الماضى وظروفه ومنه نستنير لنخـــطط للمستقبل . فالجزائر كـمثيلاتها من البلدان التى مرت بمرحلة صعبة فى تاريخهـا ، اذ عاشت قرنا وثلاثين سنة تحت الاستعمار، وهذه الفترة كفيلة بأن تؤثر على حيـــاة الشعب الجزائرى بما فيها حياته التعليمية والثقافية .

وان سبب اختيار هذا البحث يرجع الـــى رؤيتي للواقع الذى عاشته الجزائـــر بعد سنوات من الاستقلال ، حيث افتقد التعليم الاسلامي في المراحل التعليميـــة المختلفة وأصبح يتبع النظام الفرنسي شكلا ومضمونا . مما يناقض حقيقة انتماء الجزائـــر كدولة مسلمة ينبغى أن تخضع للمبادئ والقيم الاسلامية في ميادين الحياة ومجالاتهـا الاجتماعية وعلى وجه الخصوص " التعليم " وحيث أن هذا المجال لم يحض بقـدر واف من البحوث رأيت أن هذا الجهد المتواضع سيمكن أن يسهم في افادة الباحثين فـــي مجال التعليم في الدول الاسلامية .

مشـــكلة البحـــث :

ان للمبادئ العامة التي تقوم عليها نظم التعليم أثر كبير في تشكيل وصياغة الشخصية الانسانية ، ووضع التعليم في الجزائر بعد الاستقلال ساهم في صياغة الانســـان الجزائرى وفق أهداف نظم التعليم الفرنسية التي أخضع الاستعمار لها التعليم الاسلامي الذى كانت تنعم به الجزائر قبل الاحتلال ، وهذا الأمر تسبب في انسلاخ المجتمـع من انتمائه لمبادئ وعقيدة الاسلام ، فمن هنا وجب تتبع مسببات هذا الوضع بالاجابـة

على السؤال التالي :-

ما هي الأساليب التي اتبعها الاستعمار لمحو التعليم الاسلامي وطمس الشخصية العربية المسلمة لهذا البلد ؟

ويتفرع من هذا السؤال الرئيسي الأسئلة التالية :

أولا : ما هي المحاولات التي وجهت ضد التعليم الاسلامي في عهد الاستعمار الفرنسي في الفترة مابين ١٨٣٠ م - ١٩٦٢م ؟

ثانيا : ماالآثار التي ترتبت على ذلك ؟

ثالثا : ماالجهود التي بذلت للتصدى لهذه المؤامرة التي كانت تستهدف القضاء على التعليم الاسلامي كسبيل لطمس الشخصية الجزائرية ودمجها بالشخصية الفرنسية ؟

أهداف الدراسة :-

تهدف هذه الدراسة الى تحقيق أمور شتى منها :

أولا : تنمية الولاء للدين الاسلامي من خلال دراسة مدى مساهمة التعليم الاسلامي في بناء الجزائر المسلمة الحرة .

ثانيا : ابراز المحاولات التي بذلها الاستعمار الفرنسي لطمس الشخصية الجزائرية المسلمة .

ثالثا : ابراز المحاولات الاصلاحية وحركات المقاومة في ارساء قواعد التعليم الاسلامي .

رابعا : اظهار دور التعليم الاسلامي في تحرير الجزائر.

شرح مصطلحات البحث :-

هناك مصطلحات استخدمت في البحث أهمها :

التعليم الاسلامي :

أقصد بالتعليم الاسلامي تعليم جميع ميادين العلم والمعرفة تحت ظل الاسلام ومستنيرا بكتاب الله وسنة رسول الله عليه الصلاة والسلام .

منهج البحـــث :-

ان المنهج الذى اتبعتـه الباحثة فى دراستها لهذا الموضوع يتمثل فـــى المنهج التاريخى الذى يصف ويسجل مامضى من وقائع وأهداف الماضى ، ولا يقـــف عند مجرد الوصف ، انما يدرس هذه الوقائع والأحداث ويحللها ويفسرها على أســس منهجية علمية دقيقة يقصد التوصل الى حقائق وتعميمات تساعدنا على فهم الماضـــى وفهم الحاضر والتنبؤ بالمستقبل .(١)

وقد عملت على تطبيق هذا المنهج عن طريق دراسة الفترة التاريخية المعني بهـا هذا البحث وتسجيل الأوضاع السياسية والاجتماعية في ذلك الوقت وتحليلها ومعرفـة آثارها ونتائجها على التعليم الاسلامي في الجزائر مما يساهم في فهم الوضع الحالـــي الذى تعيشـــه البلاد في ميدان التعليم والعمل على تحسينه .

---

(١) د . جابر عبد الحميد جابر - مناهج البحث فى التربية وعلم النفـــس : ط ٢ دار النهضة . ص ١٠٤ .

أهـــمية البحـــــث :-

تتجلى أهمية هذا البحث في فهم الواقع الذى عاشته الجزائر سنين طويلة من تغريب وتبعية . . .لذا آمل أن يسهم هذا البحث في تنمية الوعي الاسلامى لدى :

أولا : المعلمين والمربين المسؤولين عن ترسيخ قواعد الاصلاح في المجتمع وفي نظام التربية والتعليم .

ثانيا : القائمين على وضع المناهج التعليمية لسعي وتحقيق مبادئ وأهداف التعليم الاسلامي ومتطلباته .

ثالثا : المسؤولين عن جهاز الاعلام باعتباره مسؤولا بصورة غير مباشرة عن ارساء قواعد التعليم الاسلامي ودعم توجيهاته في المجتمع .

رابعا : لدى " أبناء الاستقلال " ،الذين ولدوا بعد الاستقلال فلم يشهدوا من الاستعمار الا آثاره ولدى الشباب المسلم في العالم بأسره لمعرفة تاريخهم والاستفادة منه في صياغة حاضرهم . فرحم الله الشيخ الجليل " ابن باديس " اذ يقول :

" علينا أن نعرف تاريخنا ،ومن عرف تاريخه جدير بأن يتخذ لنفسه منزلة لائقة به في هذا الوجود ولا رابطة تربط ماضينا المجيد بحاضرنا الأعز والمستقبل السعيد الا هذا الحبل المتين المتمثل في اللغة العربية ، لغة الدين ،لغة الجنس ، لغة القومية ،لغة الوطنية المغروسة "(١) .

---

(١) الجزائر - وزارة الثقافة - محمد صغير غانم - " الثقافة " عدد ٦٦ ،محرم - صفر - ١٤٠٢ هـ ص : ٦٣ .

الدراسات السابقة :-

من الدراسة السابقة ، الموضوع الذى قدم كبحث دكتوراه تحت عنوان : " التعليم القومي والشخصية الجزائرية من سنة ١٩٣١م - ١٩٥٦م بتاريخ ١٩٧٤م بجامعة المنصورة بجمهورية مصر العربية .

واسم الباحث : تركي رابح .

يتضمن البحث الوضع الاجتماعي والسياسى والاقتصادى والثقافي للمجتمع الجزائرى من عام ١٩٣١ م الى عام ١٩٥٦م وتليها دراسة الشخصية الجزائرية في ضوء الأوضاع السابقة . وينتقل بعد ذلك الباحث الى السياسة الفرنسية التعليمية في الجزائر والوسائل التي اتبعتها فرنسا لتنفيذ سياستها التعليمية بالجزائر.

وأخيرا وتحت عنوان " الجهود الوطنية في نشر التعليم القومي في الجزائر ومحاولة تحقيق الشخصية القومية للجزائريين " ، ينتقل الباحث من خلاله الى صميم الموضوع وهو " جمعية العلماء المسلمين الجزائريين " وتليها جهود بقية المنظمات الوطنية في ميدان التعليم .

لقد كانت دراسة د / تركي رابح عبارة عن دراسة تربوية للشخصية الجزائرية تركز على الطابع القومي للجزائر وهو الطابع العربي - حيث كانت رؤية الباحث للموضوع رؤية تتسم بالقومية العربية ومن أهم نتائج الباحث أن للتعليم العربي دور قيادى انتهى بانتصار ثورة ١٩٥٤م - وذلك بتكوين لأجيال عديدة تكوينا قوميا .

فمن هنا يتضح الفرق الجوهرى بين موضوع الباحثة والدراسة السابقة وهو أن الباحثة حاولت اظهار الجانب العقائدى لمجهودات هذه الجمعية . فنظرت لها كحركة اصلاحية سلفية وليست قومية كما اعتبرها الدكتور / تركي رابح . كذلك مايجب الاشارة اليه هو أن الدراسة السابقة اقتصرت على الفترة مابين ١٩٣١م الى ١٩٥٦م فقط بينما الباحثة شملت فترة الاحتلال كلها أى من سنة ١٨٣٠ الى ١٩٦٢ الموافق لتاريخ الاستقلال .

ومما لا شـــك فيه أن الباحثة يمكنها الاستفادة من هذه الأطروحة القيمة الـــتي استغرق فيها الباحث الدكتور/ تركي رابح مدة عشر سنين تمكن من خلالها مـــن الرجوع الى المصادر الخاصة بجمعية العلماء نفسها ، من مجلات وجرائد . .

هناك دراسة ثانية قام بها الاستاذ بقسم (" تاريخ - جغرافيا - بمدينة قسنطينـة بالشرق الجزائري ، سنة ١٩٧٨م لنيل " دبلوم الدراسات المعمقة " . انها أول دراسة جامعية في حقل الدراسات العليا في الجزائر واسم الباحث هو : عبد الكريم بوصفصاف أما عنوان البحث فهو : " جمعية العلماء المسلمين " .

فهي دراسة قيمة ، لجانب من أهم الجوانب في حياة الأمة الجزائرية في ظـــل الاحتلال الفرنســي .

وتبدو أهمية الدراسة السابقة بالنسبة للباحثة من حيث أنها تحوى مصادر قيمـة من "تقارير سرية " تمكن الباحث من الحصول عليها بالاضافة الى تسجيله لمحادثـات شخصية لعدد من كبار العلماء .

الفصل الثاني

* واقع التعليم الاسلامي قبل الاحتلال الفرنسي *

- نبذة تاريخية عن الحالة السياسية في الثلث الأول من القرن التاسع عشر.

ينتمي أهالي الجزائر أصالة الى ثقافة عتيقة ،كانت ذات صلة مباشرة بالثقافات الشرقية ، ثم جاء الاحتلال الروماني .

لم يكن للرومان الا تأثيرا سطحيا لأنه لم يتغلغل الى أعماق البلاد . . . بل انه لم يتجاوز بعض المقاطعات الشمالية ،فلم يترك حينئذ احتلال الرومان للجنوب الجزائري أثرا ثقافيا يستحق الذكر رغم الستة القرون التي دامها بالجزائر.(١)

وبعد الاحتلال الروماني . . جاءت الى البلاد جماعات قليلة من الجزيرة العربية فانتشروا في نواحي كبيرة من البلاد ، تلقاهم الأهالي بالترحاب ، فتحوا لهم صدورهم ولاحظوا فيهم حسن الاستعداد ولطف المعاملة ،ووجدوا لديهم العون والمساعدة على ماكانوا يعانونه من جراء مخلفات الاستعمار الروماني ، وقد بهرهم ماجاؤا به من الهداية المحمدية فاعتنقوها وتبنوها وتجندوا لنصرتها حتى أنهم ساهموا في تبليغها الى المغرب ثم الى الأندلس غرب أوربا ،وجزء كبير من فرنسا ،ومنذ ذلك الحين أصبح سكان الجزائر مسلمين طائعين لله وحده مناديين بشعائره وعاكفين عليها الى أن وجدوا أنفسهم عرضة للهجمات الاسبانية ،فما كان على سكان الجزائر الا أن يستنجدوا بالخلافة الاسلامية الرشيدة التي كان مقرها مدينة "اسطنبول" العاصمة العثمانية . أمدهم السلطان العثماني بفئة قليلة من جيوشه ولكنها متمثلة لدين الله ومتفانية في مكافحة أعداء الله ،فنصرهم الله عز وجل سبحانه القائل : (ياأيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم)(٢).

---

(١) الفضيل الورتلاني - الجزائر الثائرة ،منشورات عباد الرحمن - ١٩٥٦م - ص ٣٤٤ .

(٢) آية (٧) من سورة محمد .

جامعة أم القرى - مكة المكرمة - عمادة شؤون المكتبات - قسم المعلومات - UMM AL-QURA UNIVERSITY MAKKAH

أقامت بالبلاد حينئذ جماعات معدودة لا من أجل الاستغلال والتعدى ولكن بقصد الحماية للدين وأهله .

لقد ذهب عدد من المؤلفين الغربيين والمسلمين ، جزائريين خاصة الى الحديث عن الدخول العثماني الى الجزائر باسم " استعمار عثماني واحتلال تركي وغزو تركي .

إنه لمن الغلط أن يوصف نفوذ الخلافة الاسلامية في الجزائر بما يطلق على الدولة الصليبية الغازية . فمن المعروف تاريخيا أن الجزائريين هم الذين استنجدوا بالخلافة الاسلامية ضد الغزاة الأسبان في القرن السادس عشر الميلادى ، " هؤلاء الأسبان الذين احتلوا كثيرا من الشواطئ وكادوا أن يدخلوا الديار فيخربوها أويحولوها الى دولة مسيحية كما فعلوا بالأندلس "(١) .

وفيما يخص سكان الجزائر في ذلك العهد ، فهناك اختلاف كبير حول عدد السكان في تلك الفترة لأن الحكام العثمانيين لم يهتموا بعمليات الاحصاء الا أن معظم المؤرخين يرتاحون لثلاثة ملايين نسمة ، وهو رقم معقول بالنسبة للفترة الأخيرة من العهد العثماني . أما اذا أردنا أن نعرف هذا الرقم بالنسبة لنهاية القرن الثامن عشر فاننا نؤيد رواية " حمدان خوجه " التي تذكر عشرة ملايين ، لأن سكان المدن في ذلك الوقت كانوا يزيدون على الأربعمائة ألف نسمة وهم لا يمثلون سوى ٣٪ من مجموع الجزائريين .(٢)

أما المؤلف " محمد العربي الزبيري " فهو يحصي عدد البدو آنذاك بحوالي ٩٥ ٪ من مجموع السكان .(٣)

---

(١) الجزائر، مجموعة المحاضرات بمعهد الدراسات الاسلامية - ١٩٦٢م — ١٩٦٤م ، مقال الشيخ أبو زهرة - القاهرة ص : ٥ .

(٢) خوجه حمدان بن عثمان " المرآة " تحقيق محمد العربي الزبيري ١٩٧٥ م، الجزائر ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع : ص ٤٧ .

(٣) الزبيري محمد العربي " التجارة الخارجية للشرق الجزائري ، ١٩٧٢ م ، الجزائر ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع : ص ٤٨ .

وان السكان الجزائريين سواء كانوا فى المدن أو فى الأرياف كان يسودهم المذهب المالكى ، وقد كان المذهب الحنفى هو المذهب الرسمى للدولة العثمانية ، وبقيت اللغة العربية هى لغة الجمهور ، أما اللغة التركية فلم تتجاوز النطاق الحكومى ، وكان الاسلام هو الدين الرسمى فى البلاد .

يصف لنا بعض الكتاب منهم : " محمد العربى الزبيرى " حالة المجتمع الجزائرى آنذاك بأنه كان ينعم بالاسلام فى ظل العثمانيين ، الاسلام بالنسبة اليه مصدر يأخذ منه تشريعاته ويبنى عليه علاقته الاجتماعية ، وتسير وفقه حياته اليومية غير أن البعض منهم فى الفترة الأخيرة قد انقاد للشعوذة وصار يؤمن بالخرافات التى ينشرها بعض الصوفية المتطرفين باسم الدين . . ولم تدرك السلطات الأوضاع فى حينها ، فاستفحل أمرها الى أن صارت مبعثا للقلائل والفوضى التى ساهمت فى عرقلة نمو البلاد نموا طبيعيا "(١) مهما كان الحال فقد اتفق المؤرخون بوجه عام أن الجزائر تمتعت بهدوء كبير فى ظل الحكم العثمانى ، فلا تكاد ترى ثورات دموية كبيرة ولا أحزاب معارضة ولا القبائل تقاتلت فيما بينها .

كانت حياة أبناء البلاد مع العثمانيين الأتراك تتسم بحسن المعاشرة والاخاء الاسلامى . اختلط العدد الكبير من الأتراك الذين قدموا بصفة فردية بأهالى البلاد . كانوا فى أغلب الأحيان مثالا للخلق الاسلامى والفضيلة أوقفوا أموالا كبيرة على مشاريع البر والاحسان ، جعلوا جزءا منها موردا أساسيا لنشر التعليم الاسلامى ، بنوا المساجد . . وكثرت مصاهرتهم مع أبناء البلاد فنشأت منهم الطبقة الكورغلية ، فأصبحوا من أحسن أبناء الوطن وأبرهم "(٢) .

---

(١) الزبيرى محمد العربى - المرجع السابق : ص ٤٨ .

(٢) سعد الله أبو القاسم - أبحاث وآراء فى تاريخ الجزائر - ص ٦٢ .

التعليم الاسلامى فى الثلث الأول من القرن التاسع عشـــر :-

لاحظ جميع المؤرخين العرب والغربيين منهم أن التعليم كان منتشرا فى كـــل أنحاء البلاد ، ومن الملاحظ أنه ليس هناك تعليم آخر فى ذلك العهد الا التعـليم الاسلامى الذى كان يشـمل حتى القرى والأرياف فكـــان الكثيـــرون مـــن أبنـــاء الجزائـــر يحسنون القراءة والكتابة. ولنا فى ذلك شهادة الغربيين أنفسهم منهم " الجنرال فالرى " ، كتب يقول عام ١٨٣٤ م أن " كل العـــرب (الجزائريين) تقريبا يعرفون القراءة والكتابة حيث هناك مدرستان فى كل قريـة "(١).

ومن شهادة أحد الرحالين الألمان الذين أقاموا بالجزائر سنة ١٨٣٠ يلاحـظ قائلا : " لقد بحثت قصدا عن عربى واحد فى الجزائر يجهل القراءة والكتابة غـير أنى لم أعثر عليه فى حين أنى وجدت ذلك فى بلدان جنوب أوربا "(٢).

وفيما يخص النسبة المئوية التى تحدد حجم هذه الظاهرة فقد تراوحت معظمهـا مابين ٢٠ و ٣٠ ٪ ، منها ماورد فى كتاب " سعد زغلول " اذ يقول : " لم تكن نسـبة الأمية حين دخول الجيوش الفرنسية سنة ١٨٣٠م سوى ٢٧٪ وماتدعيه بعـض التقارير الفرنسية أن عدد الأشخاص الجزائريين الذين يعرفون القراءة والكتابـة تفوق نسبتهم ٤٠٪ وأنه يكاد لا يوجد فى الجزائر أمى واحد "(٣).

الا أن هناك من قدر هذه النسبة المئوية بما يتجاوز ٥٥٪ (٤) من جملة سكـان القطر الجزائرى فى ذلك الوقت ممن يعرفون القراءة والكتابة . وهذا العدد الضخـم

---

(١) سعد الله أبو القاسم - الحركة الوطنية الجزائرية : ج٢ ط٢- ١٩٧٧ص: ٦٤ .

(٢) دودو أبو العيد - الجزائر فى مؤلفات الرحالين الألمان - ١٩٧٥م ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - الجزائر - ص : ١٣ .

(٣) سعد زغلول فؤاد - الجزائر فى معركة التحرير - ١٩٥٩م الجزائـــر : ص ٢٨ - ٢٩ .

(٤) رابح التركى - شيخ ابن باديس : ١٩٦٩م الجزائر - ص : ١٢٨ .

يدل على مدى ازدهار الوضع الثقافي قبل دخول جيوش الاحتلال الفرنسي ، وقلة الأمية في شعب من الشعوب لأحسن دليل على تقدمه في شتى الميادين .

لقد أبقى العثمانيون الأوضاع الثقافية والاقتصادية على حالها واهتموا في أول الأمر بلم شمل أطراف الخلافة الاسلامية . بنوا لأنفسهم مساجدا في مدن كثيرة من بلاد الجزائر غير أنهم لم يدخلوا الجنوب ولم يتركوا فيه أي أثر. انهم لم يختلطوا كلية بالقبائل ، وانما بالجانب القليل من أراضي القبائل الشمالية ، وذلك بسبب جبالها المرتفعة ووعرة المسالك بها وغيرة الأهالي على استقلالهم .

والأتراك لم يتهاونوا في دعم الدين والتعليم غير أنهم في نهاية عهدهم بالبلاد أهملوا المنشآت الاسلامية الخاصة بأهالي الجزائر وأصاب السكان تدهور أخلاقي واقتصادي الى أن نزلت بالبلاد المصيبة الكبرى المتمثلة في هجوم الفرنسيين على الجزائر.

وهذه سنة الله في خلقه اذ ينعم عليهم بالراحة والحرية يبسط عليهم من الرزق مايشاء ثم يبتليهم في المال والانفس . انما هو امتحان أرادهُ الله عز وجل لهذه الأمة .

فمن الثابت تاريخيا أن هناك أخطاء ومظالم ارتكبها جهلة وانتهازيون مغامرون فهي مهما كتب عنها لم تهدف الجزائري بوجه خاص انما شملت جميع أنحاء الخلافة بما في ذلك الأتراك أنفسهم . فقد استغل هذا الجانب من طرف الأوربيين أعداء الاسلام بصفة عامة ، وأخذوا يبرزونه في مؤلفاتهم ، منها ماجاءت به تقارير السادة الفرنسيين والقناصل الأوربيين الذين دوّنوا مذكراتهم خلال اقامتهم بالجزائر.

فقد يرى أحدهم أن المجتمع الاسلامي كان مكتوما عليه سرا من طرف الطبقة الحاكمة العثمانية ، حتى في العاصمة نفسها ، حسب قوله - " وقد كان الحكام يجهلون حياة السكان في الأرياف ، يفرضون على مواطنيهم الأراء المسبقة ، وقد ذهب هذا الأوربي بحديثه الى وصف سكان المغرب العربي ، أنهم أصل كل المصائب اذ :

" كانوا مخادعين ،كسالى جشعين ، منكرين للجميل[١] " .

فبمثل هذه الصفات تحدث الغربيون عن المجتمع الاسلامي بالجزائر في ذلك العهد ،وليس هذا بغريب ،انهم قوم منكرون !.

مؤسسات التعليم قبل الاحتلال :-

يقصد بالمؤسسات التعليمية تلك الأماكن التي يتلقى فيها طالب العلم عن شيخه أو مربيه العلم النافع ، المنظم بفروعه المختلفة ، الى جانب المبادئ التربوية الاسلامية ،ومن أهم المؤسسات التعليمية التي عرفت لدى المسلمين الجزائريين المساجد ،الكتاتيب ،الزوايا ،والمدارس .

أ - المساجد :-

للمسجد في الاسلام مفهوم شامل متكامل ،فهو لا ينحصر في كونه مكان للعبادة واقامة الصلاة وتلاوة القرآن الكريم فحسب ،انما المساجد في المفهوم الاسلامي " كلها مراكز للدعوة والجهاد والقتال ،والتعليم والتدريب ،فان الأرض كلها مراكز للدعوة الاسلامية ولابد للمسلم أن يرسخ قدمه على أرض الاسلام ويجعلها صالحة لانبات جيل صالح مسلم متمسك بالاسلام عقيدة وعملا[٢] ".

فالمسجد اذ هو أولا وقبل كل شئ مكان للعبادة حيث يتجه المسلمون فيه كل يوم خمس مرات أمام يدي الله عز وجل وانه مدرسة من مدارس العلوم الشرعية

---

(١) الجزائر - وزارة التعليم الأصلي ." ملاي بلحميسي " الاصالة ، عدد ١٤-١٥ ، ربيع الثاني - رجب ١٣٩٣ هـ :ص : ٧٥ .

(٢) عطار عبد الرشيد ليلي - الجانب التطبيقي في التربية الاسلامية . ط ١ ، عام ١٩٨١م - جده - ص : ٦٩ .

من قرآن كريم الى تفسير وفقه وعلم التجويد وحديث ، وللمسجد مهام أخرى ، منها مهمة المنتدى الاجتماعى ، ففيه تجرى احتفالات عقود زواج ، ومآتم العزاء وشتى المناسبات الدينية الأخرى.(١)

لقد كانت عناية الجزائريين بالمساجد كبيرة جدا من حيث الهندسة المعمارية والزخرف الجميلة .

تشير الاحصائيات الى أن عدد المساجد بالجزائر العاصمة(٢): مائة مسجد ينافس بعضها بعضا فى الروعة والجمال البديع .

من أهم هذه المساجد مسجد :"على بتشم" الذى أصبح فى عهد الفرنسيين "كنيسة النصر" ومسجد " كتشاوة" الذى أصبح غداة الاحتلال الفرنسى كنيسة "الجزائر" ومسجد الخوجة .

وفى قسنطينة بالشرق الجزائرى(٣): أهم المساجد فيها مسجد الأخضر ومسجد صلاح بك المعروف باسم جامع سيدى الكتانى .

أما مجمل الاحصائيات عن المساجد بمدينة قسنطينة فقد وردت لدى الشيخ أحمد توفيق المدنى(٤) بخمسة وثلاثين مسجدا ، تستخدم كمراكز للتعليم الاسلامى تقصدها الجماهير الغفيرة من قسنطينة وضواحيها .

---

(١) حداد يكن منى - أبناؤنا بين وسائل الاعلام - ط ٢ - ١٩٨٣م - سوريا ص ١٣٩ .

(٢)، (٣) مجاهد مسعود - الجزائر عبر الأجيال : ص ٥٧ .

(٤) المدنى أحمد توفيق - كتاب الجزائر - ط ٢ ، ١٩٦٣م - الجزائر - ص : ٢٨٤ .

ب - الكتاتيـــب :-

الكتاب عبارة عن مدرسة يقال لها فى اللهجة العامية " مسيد "[١] ، وهو تابـــع لمسجد أو ضريح ولي فى المدن والقرى . وأما فى الأرياف والبوادى ، فقد كانـــت توجد بيوت من شعر يقال لها : " الشرية " يلتحق بها الصبيان ويشرف عليها مايسمى " بالمؤدب " الذى يختاره شيخ القبيلة ، والمؤدب لم يكن يتقاضى راتبا معينا محدودا بل كان عادة يعيش من مساهمات التلاميذ فى السلك التعليمى بهذه المرحلة الخاصة بالكتاب وهى المرحلة الابتدائية وغيرها . وقد يختلف المبلغ الذى يدفعه الآبـــاء للمؤدب باختلاف ثروتهم ، فالفقير لم يكن يدفع له شـــيئا .[٢]

فقد كان التعليم فى الجزائر قبل الاحتلال يتسم بالطابع الاسلامى والقائمون عليه أشخاصا مخلصين يبذلون معظم أوقاتهم فى تربية وتعليم النشئ فى ســبيل اللـه ، وهذا على كل حال ماكانت تتمتع به معظم البلدان الاسلامية فى ذلك الوقت.

وتشـــير المصادر الى وجود عدد ثلاث آلاف كتّابا قبل الاحتلال الفرنســـى[٣] ، منهم فى مدينة قسنطينة حوالى ٧٩ كتّابا سنة ١٨٣٧م يلتحق بها عدد ١٣٥٠ تلميذ وكان فى نفس السنة ٥ كتّابا فى مدينة تلمسان حيث كان عدد سكانها يتراوح مابـــين ١٢٠٠٠ و ١٥٠٠٠ نسمة .[٤]

جـ - الزوايـــا :-

تعرف الزاوية " بمجموعة من الأبنيـــة المعدة للتدريس الابتدائى وحفـــظ

---

(١) تركى رابح - ابن باديس - فلسفته فى التربية والتعليـــم ص : ١٢٤ .

(٢، ٤) اللسان العربى : عدد ١ - ١٩٦٤م - تنسيق التعريب فى العالـــم العربى ، الرباط : ص ٣٦ .

(٣) المدنى أحمد توفيق - هذه هى الجزائر : ص ١٣٩ ، مكتبة النهضة القاهرة . ص ١٣٩ .

القرآن ولسكنى الطلبة ، وفيها قسم لنزول المسافرين كما نجد فيها مسجدا لاقامة الصلاة والوعظ ، والتدريس الثانوى والعالى وقد سميت بهذا الاسم اما لانزوائها بعيدا عن المدن ، واما لانها فى زاوية من المدينة "(١).

لكل طريقة من الطرق الصوفية أثناء الوجود العثمانى بالجزائر، زاوية كبرى رئيسية تشرف على عدد كبير من الفروع الصغيرة من الزوايا بمدن وقرى الجزائر، وقد تعرض الكثير منها الى الزوال فى ظل الاحتلال الفرنسى ومن شهادة " دوفول " Devoulx من جهته أنه كان بالجزائر العاصمة وحدها ٣٦ قبة وزاوية وقد كان أكبر عدد الزوايا " بالوادى " حيث كانت تتولى مسؤولية نشر التعليم ومبادئ الدين ، وكانت تدرس فيها العلوم والمعارف وتقوم بمهمتها فى تعليم أبناء الوطن وتربيتهم تربية اسلامية .

ومن أبرز هذه الزوايا بالبادية ، كانت زاوية " الهامل " و " الشلاطة " والتجانية و" سيدى على "(٢) ويشار من جهة أخرى بالنسبة للعاصمة الى زاوية ذات طابقين لسكنى الطلبة أسست سنة ١٦٢٩ م وزاوية الأندلس بنهج سوق السمن ، شارع الباب الجديد ، وزاوية قشاش بباب الجزائر وزاوية الشرفاء قرب جامع كتشاوة وزاوية سوق الجمعة وزاوية جامع " تشخطون "(٣) . ويشير نفس المرجع الى مدينة قسنطينة أن عدد الزوايا بها آنذاك ستة عشر زاوية .

أما تلمسان(٤) ، وهى احدى المدن الكبيرة بالغرب الجزائرى ، فقد كانت تضم حوالى أربعين زاوية ، ينبعث منها نور العلم والمعرفة ، التدريس فيها

---

(١) تركى رابح ـ الشيخ ابن باديس ـ ١٩٦٩م ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ص : ١٢٤ .

(٢) الجزائر ـ وزارة الثقافة ـ " الثقافة " د . عمار هلال عدد ٨٢ ـ ص ١٩٨ .

(٣) الجيلالى عبد الرحمن ـ تاريخ الجزائر العام : جـ٣ ص ٥٣٦ .

(٤) الجزائر ـ وزارة الثقافة ـ المرجع السابق : ص ١٩٨ .

قائم على يد شيوخ أكفاء ، من أتباع الطريقة ، فيتعلم الطالب أصول التشريع الاسلامى من فقه وعقيدة الى جانب اللغة العربية الأصيلة .

د - المدارس :-

لقد كانت مدينة الجزائر العاصمة وقسنطينة بالشرق الجزائرى وتلمسان فى غربها أهم المراكز للتعليم الاسلامى والثقافة الاسلامية ، فمنها كان ينبعث شعاع العلم والمعرفة فيعم النور على القطر الجزائرى تقريبا كله .

فالتعليم منتشر فى أقصى المناطق النائية وفى أصغر القرى والدواوير.

يرى المرء المدارس وهى تضم عددا كبيرا من أبناء الوطن ، وقد سجّل الجنرال " هوتيول " شهادته فى مذكرة بعث بها سنة ١٨٥٠م الى رئيس الجمهورية الفرنسية الثانية فى ذلك الوقت ، يقول : " كانت الثقافة الاسلامية قبل الاحتلال الفرنسى واسعة الانتشار . . وكان يوجد بالجزائر جامعات أهمها : جامعة قسنطينة وجامعة الجزائر العاصمة وجامعة مازونا وبسكرة وكانت هذه الجامعات فى مستوى جامعة القاهرة وجامعة تونس وجامعة فاس ، وكانت تضم آلاف الطلبة المسلمين "(١).

انما هى اشارة الى السياسة اللامركزية التى كانت تسير وفقها البلاد فى ميدان التربية والتعليم . لم يقتصر التعليم فى يوم من الأيام على العاصمة وحدها بل غرست بذوره فى سائر أنحاء البلاد لتكون فيها نهضة علمية شاملة .

يقول سعد زغلول فى كتابه : " كان بالجزائر فى يوليو ١٨٣٠م ثلاث مائة مدرسة وأربع جامعات دراسية فى كل من الجزائر العاصمة وقسنطينة وتلمسان ومازونا . . وكانت هذه المعاهد تضم ١٨٠ ألف طالب من مجموع الشعب البالغ وقتئذ ثلاثة ملايين ونصف نسمة "(٢).

---

(١) العسلى بسام - الله أكبر وانطلقت ثورة الجزائر - دار النفائس ، ط ١ - ١٩٨٢م . بيروت - ص ٤٢ .

(٢) سعد زغلول فؤاد - الجزائر فى معركة التحرير - الجزائر ١٩٥٦م . ص: ٢٨ .

هناك العدد الكثير من الكتابات الأوربية التي جاءت مؤكدة لماسبق الاشـــارة اليه . نذكر منها الاعترافات التي أدلى بها " أوجين كومبس Eugen Comps فـي تقرير له يشـير فيه بقوله :" فقد كانت هناك أكثر من ألفي مدرسة للتعليم الابتدائـي والثانوي والعالي ،كانت تتولى التدريس فيها نخبة من الأساتذة الأكفاء كما أن الطلاب كانوا من الشباب الناهض المتعطش للعلم والمعرفة ، هذا فضلا عن مئات المساجـد التي كانت تعنى بتلقين اللغة العربية لطلابها(١)".

أما الجنرال " فيالارد " من جانبه يرى أن العرب (الجزائريين) كانوا يتقنـــون القراءة والكتابة وأنه كانت توجد معاهد وجامعات في الجزائر العاصمة وقســـنطينـة ومازونـة وتلمسان ووهران .(٢)

ومرة أخرى تفيدنا مؤلفات المؤرخ(٣) الجزائري الجليل " عبد الرحمن الجيلالـــي باحصائه عدد المدارس بمدينة قسنطينة بسبع مدارس عليا منها مدرسة ابن فونـاس ومدرسة ابن الفكون ومدرسة الكتانية و ٨٦ مدرسة ابتدائية الى جانب المساجـــد والزوايا . . أما عدد الطلاب فهو يتراوح مابين الستمائة الى التسعمائة طالـــب .. كانت تحوي كذلك عددا من الكتب الدراسية الابتدائية نحو التسعين كتابا . أمـــا تلمسان فقد كانت تضم حسب قوله :" مدرستان وخمسون كتابا للدراسة"(٤).

وفيما يخص مدينة قسنطينة ، يؤكد الجنرال الفرنسي " بيدو " أنها كانت تضـــم مدارس للتعليم الثانوي والعالي ، تحوي ٦٠٠ أو ٧٠٠ طالب يدرسون تعاليم القـرآن الكريم والأحاديث النبوية ويتابعون دروسا أخرى في الرياضيات والفلك والبلاغـــة

(١ ، ٢) تركي رابح - الشيخ ابن باديس - الجزائر - الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ص : ١٢٨ .

(٣) الجزائر - وزارة الثقافة - د . عمار هلال ، الثقافة عدد ٨٢ سنة ص : ٦٥ .

(٤) الجيلالي عبد الرحمن - تاريخ الجزائر العام ،مصدر سابق ج ٣ ص ٥٣٨ .

وفى نفس الوقت كانت بهذه المدينة - قسنطينة - ٩٠ مدرسة ابتدائية تضم عددا من التلاميذ يتراوح مابين ١٣٠٠ الى ١٤٠٠. أما الاحصائيات الواردة عن الكاتب " بروزى " تشير الى وجود ١٠٠ مدرسة من المدارس العامة والخاصة بمدينة قسنطينة.(١)

فالاحصائيات متقاربة جدا، والصحيح على ماأعتقد أن مدينة قسنطينة كانت تحوى ٩٠ مدرسة ابتدائية و ١٠ مدارس مابين ثانوى وعالى.

الجزائر العاصمة : فقد أحصى الفرنسيون المدارس التى كانت موجودة بالجزائر العاصمة فجر الاحتلال الفرنسى بحوالى ٨٠ مدرسة ابتدائية و ١٢ مدرسة عليا وهذا الى جانب المدارس الخاصة بالبنات.(٢) وهذا ماأكده عمار هلال الذي أحصى مدارس العاصمة بمائة مدرسة يعلم فيها القراءة والكتابة والحساب.(٣)

هذا فيما يخص المدن الكبيرة، وأما فى الأرياف والقرى عند القبائل كانت الزوايا تبنى عادة ازاء ضريح الوالى الذى من أجله شيد المسجد تخليدا لذكراه وان لم يكن ضريح، تكون المدرسة عبارة عن كوخ أو بيت من الشعر.(٤)

مراحل التعليم :-

هناك ثلاث مراحل تعليمية فى العهد العثمانى : مرحلة التعليم الابتدائى والثانوى والعالى.

---

(١) تركى رابح - الشيخ ابن باديس ... ص : ١٢٨.

(٢) الجيلالى عبد الرحمن - المرجع السابق : ج ٣ ص ٥٣٨.

(٣) الجزائر - وزارة الثقافة " الثقافة " عدد ٨٢ مصدر سابق : ص ٦٥.

(٤) اللسان العربى : عدد ٧١ سنة ١٩٦٤م، مقال حميد بن سالم : ص ٣٧.

أ - التعـــليم الابتدائي :-

هي المرحلة الأولى التي يمر بها التلميذ الذي تتراوح سنه مابين الرابعـــــة والسادسة بالكتاب الذي يطلق عليه بالعامية الجزائرية " المسيد " وفي هـــــذه المرحلة يحفظ التلميذ القرآن الكريم تحت اشراف معلمين يختارهم سكان القريـــــة أو الحي وتدفع أجورهم مما تدره أملاك الأحباس أو من عند الأولياء الأمور أنفسهـــم.(١)

أما مقرر التلاميذ من المواد فقد كان كله دينيا ، ففي خلال السنوات الأربع الأولـــى كان التلميذ يحفظ عن ظهر قلب الفرائض الدينية ومايتصل بها من واجبات القيـــام بجميع شعائر الاسلام . . .

وفي نفس المدة هذه كان التلميذ يتعلم الكتابة والقراءة ليتمكن من تلاوة القـــرآن وحفظـــه.(٢)

وقد يرى البعض أن القرآن بهذه المرحلة وحده كاف لتكوين خبرة علمية واجتماعية لدى الطفل ، وبهذا عندما يصبح الطفل حافظا لمقرره من القرآن الكريم في هـــذه المرحلة ينتقل الى المرحلة الثانوية.(٣)

ب - المرحـــلة الثانويـــة :-

تعرف مرحلة التعليم الثانوي طبقا للتصور الاسلامي(٤) بمرحلة تعليمية يلتحـــق بها النشئ منذ بلوغه سن الخامسة عشرة تقريبا أو بلوغ الحلم . . فالتعليم الثانوي، تسمية أجنبية تربط المتعلم بنظام جديد محدد . . وهي تعني أن يدرس الطالـــب

---

(١) الزبيري محمد العربي - التجارة الخارجية للشرق الجزائري :ص ٤٨ .

(٢) اللسان العربي ، المرجع السابق ، مقال حميد بن سالم :ص ٣٦ .

(٣) غضبان منير محمد نجيب - أضواء على تعليم المرأة المسلمة : ط ١ - ١٩٨٣م مركز التعليم الاسلامي - مكة :ص ٣٥ .

(٤) الحصين سعد - تصور اسلامي للتعليم الثانوي - المركز العالمي للتعليـــم الاسلامي - مكة - ط ١ - ١٩٨٣م . ص : ٨ .

ثلاث سنوات بعد تسع سنوات في الغالب أو أربع سنوات بعد أن يدرس الطالب ثمان سنوات على الأقل . وهذا ما جعل بعض الكتاب ينفون وجود مرحلة ثانوية ضمن المراحل التعليمية في العهد العثماني . فقد ذكر د / التركي رابح [١] في حديثه عن المراحل التعليمية في العهد العثماني أن التعليم في ذلك العهد لم تكن مراحله متميزة بعضها عن بعض ، انما هناك مرحلتين فقط متميزتين بعض الشئ وهي : المرحلة الابتدائية والعالية ، أما الثانوي فهي مرحلة ضمن المرحلة العالية ، ورأي أن تقسيم د / تركي رابح هو الأنسب مهما كان الحال يشير بعض الكتاب " أن هذه المرحلة تتم في المساجد ، فيها يتلقى الطالب مبادئ الفقه واللغة والنحو والصرف والميراث والحساب " [٢] .

ولقد ذكر المؤرخون عددا غير محدود من المدارس والزوايا التابعة للتعليم بالمرحلة الثانوية منها في " سيدي بلعباس " و " معسكر " ومدرسة في " مستغانم " ومدارس في " الورشنيس " كمدرسة "ابن المرابط " ، أما المتيجة ففيها " زاوية المريوسي " كما تعرف " زاوية سيدي خير الدين " في مدينة " الأربعاء " وزاوية " النميلي " ببني موسى ، وزاوية سيدي العيد " بين بوفاريك والدويرة وزاوية " سيدي الهيمي " في أولاد منديل وزاوية " البركاني " بالقرب من " شرشال " .

أما في بلاد القبائل (البربر) فقد كانت لهم بعض الزوايا اشتهرت منها اثنتان زاوية مولاي شفقة " بوادي الزهر " وزاوية ابن علي الشريف " بالقرب من " آقبو " وحسب الاحصائيات الواردة في نفس المرجع أن عدد الطلبة بالثانوي يتراوح ما بين ألفين الى ثلاثة آلاف في كل ناحية [٣] .

---

(١) تركي رابح ـ الشيخ ابن باديس المرجع السابق : ص ١٢٣ ـ ١٢٤ .

(٢) الزبيري محمد العربي ـ المرجع السابق : ص ٤٨ .

(٣) اللسان العربي : عدد ١ ـ ١٩٦٤م مقال حميد بن سالم : ص ٣٧ .

ج - المرحلة العالية :-

تكون في المدارس المحلية والمساجد الكبيرة والجامعات العربية مثل الأزهر العتيق والزيتونة ،وفي هذه المرحلة يتلقى الطالب علوما مختلفة منها علوم شرعية سميت لدى بعض الكتاب بعلوم نقلية ، تشمل حفظ القرآن الكريم وعلومه من تفسير وحديث وفقه وأصوله . . وبجانب ذلك يدرس الطالب مايسمى بالعلوم العقلية : كالنحو واللغة والفلك والمنطق والفلسفة والحساب والتاريخ .(١)

ولنا في قول الشيخ توفيق المدني (٢) - رحمه الله - مايؤكد ذلك ،أن التعليم كان يشمل قديما على ثلاثة مراتب : أولى ، وتعطى في الكتاتيب ويقبل عليها الناس اقبالا شديدا . . وكان التعليم بها بسيطا جدا يشمل القراءة والكتابة والقرآن الكريم ،أما التعليم الثانوي والعالي فكان بالمساجد والزوايا يتولاه شيوخ .

ومن الغربيين الذين تطرقوا الى الحديث عن التعليم العالي أذكر منهم الجنرال " هوتبول " فيقول :" التعليم الثانوي ويشمل الأحداث بين العاشرة والخامسة عشر. والتعليم العالي للشباب ، ويشمل الفقه والحقوق والرياضيات وعلم الفلك والجغرافية والتاريخ والطب وكان التعليم الثانوي والعالي مجانا كالتعليم الابتدائي "(٣).

أما " شيمر " الرحالة المشهور الذي عاصر المجتمع الجزائري في تلك الفترة وقف وقفة المتأمل المعجب لينقل لنا الصورة التالية : المدارس موجودة بكثرة، الأطفال متجهون نحوها يكاد يكون سنهم السادسة من العمر، يتعلمون القراءة والكتابة والحساب وحفظ القرآن الكريم ،وبعد ذلك ينتقلون الى التعليم العالي على يد علماء فقهاء، وعند اتمام هذه المرحلة يتفوق يسافر الكثير منهم الى الخارج لمواصلة دراستهم أولتعلم أنواع الحرف كفنون التجارة .(٤)

---

(١) تركي رابح ،الشيخ ابن باديس مرجع سابق ص ١٢٥ .

(٢) المدني ،أحمد توفيق - كتاب الجزائر :ص ٢٨٣ .

(٣) العسلي بسام - الله أكبر وانطلقت الثورة :ص ٤١ .

(٤) دودو أبوالعيد - الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان-١٩٧٥م .ص: ١٣ .

أعتقد أن فى هذا دليل على عدم وجود جامعات بالمعنى الحديث - قبل الاحتلال بحيث لو كانت الجامعات بالعدد المذكور آنفا لما اضطر الكثير من الجزائريين الى الهجرة طلبا للعلم ، أرى أن الجامعات التى ورد ذكرها لدى بعض المؤلفين هى فى الواقع مساجد كبيرة مشهورة داخل البلاد يقصدها الطلبة من شتى أنحاء الوطن .

هناك ملاحظة أبداها " شيمر " ضمن حديثه عن الطب قبل الاحتلال ، فيرى أن الطب فى ذلك العهد يكاد يكون غير معروف فى الجزائر ، فلا يوجد فى المدينة على كبرها سوى طبيب عربى واحد وهو صيدلى فى نفس الوقت ، بل ويذهب " شيمر " الى أبعد من ذلك اذ يصف هذا الطبيب بأحط صفات الجهل والكسل وعدم اتقان اللغات الأجنبية حسب قوله . " فعلى الرغم من أنه درس الطب فى مدينة " ليفورنو " لمدة لم يستطع تحديدها فانه لم يكن يعرف كلمة ايطالية واحدة ولا أسبانية بل لم يكن يعرف حتى اللغة الفرنجية التى يتكلمها كل انسان فى الجزائر . "(١)

فيما يخص ذكر " شيمر " اللغة " الفرنجية " وادعائه أن كل انسان بالجزائر يتكلمها فالمراجع الأخرى لم تشر لذلك .

الطريقة التعليمية :-

أعتقد أن الطريقة التعليمية السائدة آنذاك هى نفسها التى كانت بالبلدان العربية الاسلامية الأخرى اذ هي طريقة عتيقة تقليدية لا تعتمد على أية وسيلة تربوية فهى لم تتطور منذ مئات السنين .(٢)

كان التعليم قبل الاحتلال الفرنسى للجزائر ، بصفة عامة ، ينظم فى شكل حلقات فيجلس الشيخ مستندا الى احدى أعمدة الجامع أو المدرسة ، فى مكان مرتفع بالنسبة

---

(١) دودو أبو العيد - الجزائر فى مؤلفات الرحالين الألمان - ١٩٧٥م : ص ١٤ .

(٢) الزبيرى محمد العربى ، المرجع السابق : ص ٤٨ .
المدنى أحمد توفيق - كتاب الجزائر - ط٢ - ١٩٦٣م - الجزائر - ص ٣٩ .

لمن حوله ليستمع الجميع ، والشيخ لا يقيد عملية حضور أو غياب الطالب ، والطالب حر في اختيار المادة العلمية التي يميل اليها ، والشيخ الذي يرغب الانتماء الى حلقتـــه .

وهذا ما جاء في تقرير قدمه " كومب " الفرنسي لمجلس الشيوخ سنة ١٨٩٤م كما يلي : " كان التعليم العالي قبل الاحتلال الفرنسي يشمل في أرض الجزائر جما غفيرا مـــن الناس المتعطشين للعلم . . يجلسون حول شيوخ علماء محترمين لا يتلقون عنهم العلوم الشرعية وقوانينها فحسب بل يتلقون أيضا علوم الرياضيات والآداب "(١) .

أشـــهر علماء الجزائـــر :-

بالجزائر العثمانية عدد من العلماء قد وصفهم المؤرخون بذوي المروءة والاحـــترام ولم يرو أحدهم - على الأقل ضمن المراجع التي بين يدي - أن علماء المسلمين فـــي الجزائر في ظل الخلافة الاسلامية العثمانية ، قد أهينوا أو نالهم أي أذى من الحكام بل بعكس ذلك كان رجال السلطة يستميلونهم اليهم فيكرمونهم ويمدونهم بالهدايـــا القيمة ويسمعون نصائحهم ومن جهة أخرى يخشون بأسهم .(٢)

ومما يلاحظ أن معظم العلماء الجزائريين هم خريجي كبار الجوامع والزوايا مثل الأزهر الشريف والزيتونة . . .

ومن بين هؤلاء العلماء الذين نبغوا في الجزائر في القرن الثامن عشر ولعبـــوا دورا هاما في المجال الثقافي بها : الشيخ حسن الجزائري الرومي ، والشيخ محمـــد ابن علي الجزائري ، والقاسمي ، والشيخ المنور التلمساني ، ومحمد البليدي ، ومحمد بـــن حسن الجزائري ، وأبو راس العسكري ، وأبو العباس المغربي " .

---

(١) المدني - أحمد توفيـــق - كتاب الجزائر - ط ٢ - ١٩٦٣م - الجزائر ، ص : ٢٧٩ .

(٢) الجزائر - وزارة الثقافة - الثقافة - د / هلال عمار : عدد ٧٩ ، محرم - صفر : ١٤٠٢هـ . ص ١٢٨ .

أما الشيخ توفيق المدني فيذكر لنا بعض العلماء الجزائريين قبل الاحتلال منهم:

أبو الحسن الونيسي (١٢٤٢هـ) .

سيدي محمد بن عبد الملك الراشدي مفتي المالكية (١٢٣٢هـ) .

سيدي محمد بن رجب الجزائري الذي ألف كتابا في معالجة أمراض الوباء وطرق الوقاية منه (١٢٢٠هـ) .

ولا ننسى الأمير عبد القادر الهاشمي ، فانه كان نابغة في العلوم والفنون وشاعرا موهوبا وهو من مواليد سنة ١٢٢٢هـ ، كذلك العلامة سيدي ابن الكبابطي مفتي المالكية بالعاصمة ، وسيدي محمد العنابي مفتي الحنفية ، وهذان الأخيران وقع الاحتلال بعهدهما . كذلك الكاتب النابغة سيدي حمدان عثمان خوجة الذي دافع عن المسلمين الجزائريين من خلال كتاباته الجريئة (١) .

فهم نخبة من علماء الجزائر قبل الاحتلال ، انهم علماء أجلاء أصحاب العلم والفضيلة خريجي أكبر المؤسسات التعليمية في العالم الاسلامي آنذاك ، فلا يمكن مقارنتهم بذلك الطبيب المتخرج من جامعة " ليفورنو " باوربا الذي ذكره " شيمر " آنفا .

تمويل التعليم :-

الاحباس والأوقاف (*) :-

الحبس أو الاحباس : قال صاحب المعجم : وحبس الشيء : أوقفه ، لا يباع ولا يورث وانما تملك غلته ومنفعته .

---

(١) المدني أحمد توفيق - كتاب الجزائر - ط ٢ : ص ٨٩ .

(*) الوقف : كل شيء حبسه صاحبه لوجه الله تعالى .

(٢) المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية اخراج د- ابراهيم أنيس د- عبد الحليم منتصر وجماعة . ص ١٥٢ ط ادارة احياء التراث الاسلامي . قطر .

وهي كما يعرفها المترجم لكتاب " جوان جلبس " عبارة عن " أراضي أو هبات التي توقف على شؤون العبادة الاسلامية كانت غلتها تصرف على المساجد والموظفين المسلمين وأنواع أخرى من الأنشطة الدينية "(١) .

كانت أحباس الجزائر العثمانية تقدر قبل احتلالها بأربعين مليون فرنك وقد كان للجزائر العاصمة نصيب يقدر بسبعة ملايين ينفق ريعها على مائة وخمسين مسجدا.

هذه الموارد المالية الطائلة جعلت الجزائر تنعم بدرجة عالية من التعليم في مختلف ميادينه . فقد كانت الأوقاف الاسلامية واسعة الانتشار نظرا لكثرة محبي العلم وكثرة أهل الخير والمساهمة الكبيرة فيها من طرف الحكام والمسئولين وما أشارت به الاحصائيات أن الجزائر العاصمة كانت تحوي ثمانية آلاف عقار تابع للأوقاف(٢) . خصص ضمن هذه الأوقاف جزءا كبيرا لفقراء الحرمين الشريفين والمرابطين والأندلسيين والشرفاء ، وفدية الأسرى الذين وقعوا في أيدي المسيحيين .

وفيما يخص الأحباس المسجلة باسم الحرمين الشريفين فقد وصفها الكثير من المؤلفين بأنها كبيرة جدا ومن الصعب حصرها . هناك احصائيات خاصة بهذه الأحباس وردت لدى الباحث الجزائري الكبير د/أبو القاسم سعد الله تفيد أن " مايزيد عن ثلاثة أرباع الأحباس جميعها مخصصة باسم الحرمين الشريفين "(٣) .

انه بمثابة الدليل القاطع على مدى اهتمام السلطات العثمانية بهذا الجانب الهام بل الرئيسي في تطوير المجتمع الاسلامي . فالوقف على كل حال مبدأ شرعي ومظهر من أهم مظاهر الحضارة الاسلامية ، انه بمثابة البئر الذي تسقى منه النبات والزرع فهو منقذها عند الحاجة .

---

(١) جليس جوان - ترجمة عبد الرحمن صدقي أبو طالب . ثورة الجزائر . الدار المصرية : ١٩٥٩م - ص : ٣٤ .

(٢) طحان مصطفى محمد - القيادة في العمل الاسلامي : ج٣ - دار الوثائق ١٩٨٥م - الكويت . ص : ٣٣٨ .

(٣) الجزائر - وزارة التعليم الأصلي - الاصالة عدد ١٤-١٥ ، د . أبو القاسم سعد الله ، ربيع الثاني - رجب ١٩٧٣م - ص : ٤٠ .

والجدير بالذكر أنه لايكاد يوجد باشا من البشوات بقى فى الحكم مدة طويلة نسبيا الا وقد بنى مسجدا أو كتابا أو زاوية أو وقف الأوقاف على ممتلكاته[١].

خلاصة :

هكذا كان أهالي الجزائر، قبل الاحتلال الفرنسي ، جميعهم مسلمين يتمتعون بحقوقهم الكاملة! ومما يلاحظ أن التعليم الذى كان سائدا في ذلك العهد هو التعليم الاسلامى . فقد كان يقوم أساسا على الدراسات الدينية واللغوية والأدبية وقليل منها علمية وأهم مايستخلص من هذه الفترة - قبل الاحتلال الفرنسي - بالنسبة لميدان " التربية والتعليم " أنه كان يستهدف العمل على غرس العقيدة الاسلامية ونشرها بين أبناء البلد وتربية النشء على القيم والمثل العليا واكسابه قدرا من المعارف المختلفة من أجل مجتمع متكامل من الناحية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ونسبة الأمية قليلة بين أفراد هذا المجتمع ،فالمؤسسات التعليمية مفتوحة لاستقبال أبناء الوطن بدون تمييز يذكر،كل حسب متطلباته سواءا كان بالمدارس أو المساجد أو الكتاتيب أو الزوايا ،كل منها ركن من أركان العلم والمعرفة يتولاها كبار الشيوخ ذووا العلم الواسع والفضيلة .

فقد امتازت هذه الفترة بالنسبة للتعليم الاسلامى بطابع الهدوء والاطمئنان وانتشار العلم رغم انعدام الوسائل التربوية - التعليمية في ذلك العهد .

والتعليم تموله الأوقاف وجملة التبرعات من الحكام العثمانيين وبعض الأثرياء من أبناء الوطن .

ومن أهم مظاهر نهاية الحكم العثمانى ظهور أنواع من الشرك بالله وقد بدأ ذلك ينعكس على التعليم الاسلامى حيث ادخلت فيه بعض الاعتقادات الخاطئة والخرافة ضمن المواد الشرعية باسم التصوف .

---

(١) سعد الله أبوالقاسم - تاريخ الجزائر الثقافى من القرن ١٠-١٤هـ : ج١ ١٩٨١م، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع . ص : ٢٢٣ .

الفصل الثالث

* التعليم الاسلامي في نهاية القرن التاسع عشر *

احتلال فرنسا للجزائر :-

خمس وثلاثون سنة مضت وفرنسا لا تزال تهتف بحقوق الانسان وحرية الشعوب انه انتصار عظيم حققته نتيجة ثورة ١٧٨١م ،ولكن للحكام الفرنسيين أطماعا من النوع الآخر ،انهم يفكرون ويخططون لمغامرة جديدة بالقارة الافريقية ،فالحروب الأوروبية التي خاضها الامبراطور " بونابارت "N. Bonaparte لم تؤثر فيهم ولم تنقص من عزيمتهم .

ونظرا لتصاعد الاضطرابات السياسية الداخلية التي كانت تعيشها فرنسا ، زادت حالة القلق لدى السادة الفرنسيين . تتابعت الظروف بسرعة فائقة ،انتقلت الحكومة الفرنسية من الامبراطورية الى النظام الملكي في شخص شارل العاشر الذي أجلسه " تاليراند " على عرش فرنسا .

وقد اقترن غزو الجزائر بأسماء هذين الرجلين شارل العاشر وتاليراند .

أ - شارل العاشر: (١٧٥٧م - ١٨٣٢م) ولد في فرنسا " بفرساوى " وأهم مايذكر عنه أنه كان يحكم فرنسا حكما استبداديا لا يرضاه الشعب . كان فاسقا ،منحرفا سيء الخلق ،مولعا بالمال والنساء . . ومغرما بالسياسة لأسباب شتى منها كسب المزيد من الأموال.(١)

ب - تاليراند : (١٧٥٤م - ١٨٣٨م) يعرف " تاليرند أنه من الرجال السياسيين الفرنسيين البارزين " فقد وفق بدهائه الى البقاء في مناسب الحكم رغما عن تقلبات الحكام ابان الثورة الفرنسية(٢) ".

كان "تاليرند " أسقفا لأوتان ولكنه سرعان ماخلع جبة الكاهن ليستبدل بها بذلة

---

(١) معلوم يوسف - منجد اللغة - ص : ٢٨٢ .

(٢) نفس المرجع السابق : ص ١٠٢ .

الحاكم العالى ، صاحب المقام السامى ، صاحب القوة والنفوذ فى الدولة الفرنسية.[١] من أهم مايقال عن تاليراند أنه من المطالبين بحقوق الانسان والمتحمسين لها ، كان وزيرا للشؤون الخارجية الفرنسية وتاليراند هو ذلك الرجل الذى وضع تلك الخطة الاستعمارية الخبيثة التى كادت أن تقضى على شعب بأكمله برئ لاذنب له سوى أنه شعب مسلم يعيش فى شمال افريقيا تلك المنطقة التى تكالب عليها الاستعمار منذ القرون البعيدة .

كان الملك العاشر قد اتّخذ قرار الغزو أساسا لانقاذ حكمه آملا من وراء هذه الحملة تحويل أنظار الداخل واهتماماتهم نحو الخارج ومن جهة ثانية لتظهر فرنسا بمظهر من يقوم بحرب صليبية غربية ضد قراصنة قطاع الطرق " جماعة من اللصوص المتوحشين " فما كان على الحكومة الفرنسية وعلى رأسها شارل العاشر ومحركه تاليرند الا أن هيأت نزاع مالى بين الحكومة الفرنسية والداى الذى كان يحكم الجزائر آنذاك[٢].

قد تعددت الروايات على كل حال ، ولكن خلاصتها كما أعلنها " شارل العاشر " في خطاب العرش يوم ٢ مارس سنة ١٨٣٠ مانصه : " ان العمل الذى سأقوم به ترضية للشرف الافرنسي سيكون باعانة العلى القدير لفائدة المسيحية كلها[٣] ".

مما لاشك فيه أن التعصب الديني كان من أوضح الأسباب وأبرزها . ولقد اعتبرته الحكومة الفرنسية انتصارا عظيما وأطلقت عليه اسم " فتحا صليبيا ".

وقد صرح بذلك وزير خارجية فرنسا في تقرير له حين قال : " انها المشيئة الآلهية التى قضت بأن تدعو سليل القديس لويس ليأخذ بالثأر ولينتقم للدين وليغسل العار الذى لحق بذاته[٤] ".

---

(١) المدنى أحمد توفيق - هذه هى الجزائر - القاهرة ص ٧٧ .

(٢) جلبيسى - ثورة الجزائر - ترجمة عبد الرحمن صدقى أبو طالب - مصر ، ١٩٥٩م - ص : ١٤ .

(٣) المدني أحمد توفيق - هذه هي الجزائر - مرجع سابق . ص : ٧٨ .

(٤) الجزائر - مجموعة المحاضرات - مرجع سابق . ص : ٢٨ .

والتاريخ على كل حال يكشف لنا أن " الاصلاح والتعمير "[1] دعوى باطلة وزائفة يدعيها الغربيون مخادعين الناس وأذكر منها حملة "نابليون" على مصر الشقيقة ، مصر ذلك البلد الذى يحظى بوجود الأزهر العتيق ، ومنبع العلم والمعرفة ، ومصر تلك البقعة من العالم الاسلامى التى يهاجر اليها المسلمون من شتى أنحاء العالم ، متعطشين ومتشوقين لعلومه بشتى فروعها ، مصر التى كونت الرجال حاملى الرسالة المحمدية عبر العالم بأسره .

فالسؤال الذى يطرح نفسه هنا هو : هل كان دخول " نابليون بونابرت " Napoléon Bonaparte لمصر من غير قصد ؟ بل هل كان دخوله بقصد الاصلاح والتعمير ؟ ولماذا ياترى اتخذت جيوش نابليون من الأزهر الشريف اصطبلا انهم داسوه بسنابك الخيل وجعلوه مراحا لدوابهم نتيجة حقد دفين على الاسلام وحسد على مؤسساته لامثيل له .

وها هى بلاد الشام العربية الاسلامية عندما وقعت فى قبضة الفرنسيين بعد الحرب العالمية الأولى ، ماذا حدث لتلك البلاد ؟ الذى حدث هو البلاء فلاتذكر الأرواح التى زهقت ولا الدور التى هدمت ولا المدن التى دمرت ، لأن ذلك سيملأ الصفحات تلو الصفحات .

فالذى حدث لبلاد الشام هو الخراب والدمار - انهم استولوا على مؤسساتها التعليمية تعدوا على بيوت الله ، خربوا المكتبات الثمينة ، سرقوا المخطوطات ، أدخلوا المسيحية المزيفة بسمومها . . انها صورة تبعد كل البعد على مايدعيه الغربيون " برسالة التمدين " أو بالحضارة ، هناك بعض المؤرخين وصفوا أعمالهم " بالأخطاء المحتومة " أو قصة ضمن القصص القديمة " ومن هؤلاء القائلين بذلك " آرنو " الفرنسى الذى كتب فى رسالة يعلق فيها على معاركه بافريقيا الشمالية قائلا :

---

(١) مجاهد مسعود - الجزائر عبر الأجيال - ١٩٧٢م - الجزائر : ص ٤٥٨ .

" كنا نكتسح ونهدم ونحرق وننهب وندمر المنازل والأشجار . . ولكن هذا كله كان يحدث في الماضي ، نعم ان العمل الاستعماري كان في الماضي البعيد قاسيا عنيفا وكان نهبا واغتصابا ولكن هذه كلها قصص قديمة . . ويضيف فيقول : هذا مايعرف باسم " الأخطاء المحتومة " التي تلازم كل عمل ، ففي البدء كانت البربرية أما اليوم فالشعوب المستعمرة تستفيد من تمدين المستعمرين "(١) .

فبماذا يفخر المستعمرون ؟ أبعدد القتلى أم بعدد الأيتام أم بعدد المهاجرين المظلومين الذين تركوا البلاد أم بعدد المتشردين من أهالي البلاد ؟

ان الكثيرين من الكتاب أعجبوا بالأساليب التي اتبعتها فرنسا الغازية نحو البلاد الفقيرة بافريقيا، افتخر الكثيرون " بالعناية الصحية " حسب قولهم التي قدمتها فرنسا لتلك البلاد منها انشاء المستشفيات والمستوصفات والمدارس ، فالأرقام على كل حال هي التي ترد على نفسها : في النيجر سبعة أطباء فقط لمليوني شخص ، في الفلتا العليا : ثلاثة ملايين نسمة يعتني بهم ثمانية أطباء "(٢) .

وقد جاء على لسان أحد أبواق الاستعمار وهو " موريس كون رنيه " أن فرنسا حققت السلم والرفاهية والتقدم في ميدان الصحة والتعليم ، ووصف الاعتداء على الشعوب الفقيرة برسالة التمدين " التي أدت حسب اعتقاده الى كسب صداقة وود السكان وهو أشرف وأنبل جانب من جوانب سياسة فرنسا في مستعمراتها "(٣) .

ومن الباحثين المسلمين الذين عرفوا الاستعمار د /تركي رابح الذي أحسن التعبير عنه حين قال :" الاستعمار سل يحارب أسباب المناعة في الجسم الصحيح "(٤) .

---

(١) فيكس ليون - الجزائر حتف الاستعمار - ترجمة محمد غياني - مكتبة المعارف ص : ٩٥ - ٩٨ .

(٢) نفس المرجع بنفس الصفحات .

(٣) فؤاد سعد زغلول - الجزائر معركة التحرير : ١٩٥٦م - الجزائر : ص ٢٩ .

(٤) الجزائر - وزارة الثقافة - " الثقافة " عدد ٨٧ - د / تركي رابح - شعبان رمضان - ١٤٠٥ هـ - ص : ٢٢٥ .

لقد أعجبني كثيرا هذا التعريف ، فهذا فعلا ماحاول القيام به في القطر الجزائري وفي سائر الأقطار الأخرى التي مرت بنفس المصير.

فقد اقتحمت الجيوش الغازية عاصمة الجزائر بتاريخ ١٨٣٠م وانتشرت عبر المدينة بشراسة لم يسبق لها مثيل في تاريخ شمال افريقية ، ارتمت على المحلات التجارية فنهبتها ، والمنازل والقصور وعلى كل العقارات الهامة فخربتها منها ماتحول الى فنادق لاستقبال وفود المعمرين ومنها ماأصبح ثكنة يأوي الجيوش الغازية ومنها ماتحول الى حانات. . خرج حينئذ المواطنون مطرودون ، مشردون ، حفاة عراة يبحثون عن مأوى فما كان حينئذ على الداي حسين الا أن يستسلم للأمر الواقع حيث اضطر الى توقيع معاهدة الاستسلام التي تسلم على أثرها الحكام الفرنسيون المحتلون مفاتيح المدينة بأكملها .

بهذه المعاهدة انتهى ملك الأتراك بالجزائر الذي دام ٣٢٠ سنة .

من أهم بنود المعاهدة هي أن " يتعهد القائد العام للجيش الافرنسي نحو صاحب السمو داي الجزائر بأن يترك له حرية نقل عائلته وكل ثروته الخاصة . . اقامة الشعائر الدينية المحمدية بكل حرية ولا يقع أي مساس بحرية السكان من مختلف الطبقات ولا بدينهم ولا بأملاكهم ولا بتجارتهم وصناعتهم وتحترم نساؤهم والقائد العام يتعهد بذلك عهد الشرف "(١). الا أن الواقع يثبت غير ذلك .

فهناك مراحل مر بها التعليم الاسلامي بالجزائر في نهاية القرن التاسع عشر ورأيت تقسيمها تاريخيا الى ثلاث مراحل ، حيث المرحلة الأولى تبدأ بدخول الفرنسيين الى الجزائر - من ١٨٣٠ الى ١٨٣٤ م أي غداة الاحتلال .

والمرحلة الثانية : من ١٨٣٤م الى ١٨٤٨ الموافقة لعهد الأمير عبد القادر الجزائري الى ما بعد هجرته .

والمرحلة الثالثة: من ١٨٥٢م - الي نهاية القرن التاسع عشر وهذه الفترة تمثل عهد نابليون ٣ والحركة التبشيرية المسيحية التي ازدهرت في عهده .

---

(١) المدني أحمد توفيق - كتاب الجزائر - ٢ - ١٩٦٣ - دار المعارف ص ٥٤٩ .

المرحلة الاولى : غداة الاحتلال من ١٨٣٠م ـ ١٨٣٤م .

لقد كان موقف الاستعمار من التعليم الاسلامي غداة الاحتلال موقف عداء صريح وان كانت الحكومة الاستعمارية قد تجاهلت في أول أمرها قضية التعليم ، ولم يكن انشغالها الا بطرد المواطنين من أراضيهم وسلب خيراتهم ،الا أنها سرعان ماانتبهت الى الخطر المحدق حول مستقبلها بهذه المستعمرة ،فرسمت لنفسها حينئذ سياسة استعمارية خاصة أطلق عليها اسم " سياسة التجهيل والتفقير " بعد أن كانت حسب زعمهم " رسالة الحضارة والتمدين " .

كانت البداية بانتشار موجة واسعة من الأكاذيب من أفكار مسبقة وأوهام راسخة في عقول الشباب الفرنسي ،أدت بالكثير منهم الى الاعتقاد برسالة الحضارة والتمدين " التي جاءت من أجلها فرنسا أو بما يدعيه البعض منهم انتقاما للشرف الفرنسي .

أما المسؤولون السياسيون بالحكومة الفرنسية الاستعمارية فلم يتمكنوا من اخفاء نواياهم ،صرح الجنرال " جيرار " Gerard وزير الحربية في عهد شارل العاشر في يوم ١٢ تشرين الثاني من عام ١٨٣٠ بقوله :" ان قرار الفتح (الذي جاءت به فرنسا) يتركز على أهم الدوافع المرتبطة أوثق الارتباط بحفظ النظام الاجتماعي في فرنسا بل وفي أوربا وذلك عن طريق فتح منفذ واسع وتصريف منتوجات مصانعنا لقاء منتوجات أجنبية أخرى غريبة عن أرضنا ومناخنا "(١).

وسعيا وراء تحقيق أغراض الاستعمار فانه أصدر سلسلة من القرارات بعد أشهر قليلة من نزول قواته أرض الجزائر ،كانت هذه القرارات الأولى بمثابة الضربة القاسية التي وجهها المعمرون بعد تقويض أسس الدولة الجزائرية . فهي ضربة عنيفة استهدفت الاستحواذ على الأحباس والحاق الأوقاف الاسلامية بممتلكات الدولة

---

(١) فيكس ليون ـ الجزائر حتف الاستعمار ـ ترجمة محمد غيانى ـ مكتبة المعارف : ص ١٢٧ .

الفرنسية سنة ١٨٣٠م ،لم تسلم منها حتى الاحباس الموقوفة لمكة المكرمة والمدينة المنورة ،كان هذا وفقا لقرار قائد جيوش الحملة الفرنسية " الجنرال كلوزيل "[1] الذى استولى بمقتضاه على جل الأوقاف الاسلامية ، فأصبحت تابعة للادارة الاستعمارية تحولت حينئذ من ميدان خدمة التربية والتعليم الاسلامى والمشاريع الخيرية الاسلامية الى مصدر تموين المشاريع الجهنمية الهدامة . أصبحت جل المؤسسات الاسلامية ملكا للاستعمار بما فى ذلك بيوت الله ، يعمل بها مايشاء ويسيرها كيفما يشاء وفق أهداف يرسمها هو بنفسه ، فهدم منها على هذه القاعدة ماهدم وتصرف بالبقية الباقية . .

من أهم جوانب قرار " كلوزيل " ماأشارت اليه مجلة " القبس "[2] الجزائرية وخلاصته كالتالى :-

القرار الأول : (شهر سبتمبر ١٨٣٠م) يأمر بوضع أملاك الدولة والاحباس الخاصة بمكة والمدينة تحت نفوذ " الدومان " (اشارة الى الأملاك العمومية الفرنسية) .

القرار الثانى : (شهر ديسمبر ١٨٣٠م) .

المادة الأولى : استحواذ الدولة المحتلة على جميع الأملاك التى كانت مدخولاتها مخصصة للمساجد أو لمكة المكرمة والمدينة المنورة .

المادة الثانية : مطالبة كل الأفراد العاملين فى الاحباس التصريح بأسمائهم وبالمدخولات التى يقبضونها لدى المدير العام لادارة الأملاك العمومية (الدومان)

المادة الرابعة : تأمر جميع رجال الدين ورجال التربية والتعليم (الأئمة والقضاة والعلماء وغيرهم من المكلفين بتسيير الأحباس بوضع مراسم عقود الملكية والدفاتر والوثائق الخاصة بها أمام مدير الأملاك العمومية .

---

(١) الجزائر - وزارة الأوقاف - القبس - عدد ٦ مقال الزبير سيف الاسلام ، ماى ١٩٦٩م ، ص ٩٧ / ٩٩ .

(٢) الجزائر - وزارة الأوقاف - القبس - عدد ٦ مقال الزبير سيف الاسلام ماى ، ١٩٦٩م ، ص ٩٧ / ٩٩ .

المادة السادسة : تعلن أن كل شخص يخبر الحكومة بوجود أوقاف لم يتم الاعلان عنها يكون له الحق فى نصف مبلغ الغرامة التى يعاقب بها المخالف .

كل هذا ضمن السياسة الخبيثة التى تحرض الأخ على أخيه فتنتهى فيه البغض والحسد والكراهية ، وجميع أنواع الرذيلة . أصبحت حينئذ جميع المؤسسات الدينية والتعليمية الاسلامية ملكا للاستعمار، كما أصبح الموظفون والعلماء والشيوخ القائمين على هذه المؤسسات خاضعين للادارة الاستعمارية لا يتسلمون وظائفهم الا اذا قدموا للاستعمار مايستوجب عطفه ورضاه. فكانت بداية التعدى الصريح على الاسلام . ولقد سيطرت ادارة الاحتلال على أراضى تعد بملايين الهكتارات ،وعلى النخيل الذى يعد بملايين الأشجار. . ضمت كل ذلك الى أملاكها فباعت منها ماشاءت وأهدت منها لمن شاءت ووزعت على أبنائها ماشاءت وأبقت على ملكها ماتبقى لها .

ومن شهادة المعمرين عن أنفسهم ،لنا هذا النص الذى جاء فى تقرير للوفد البرلمانى الذى أرسل الى الجزائر بعد ثلاثة سنوات من احتلال الجزائر العاصمة هو وحده يغنى عن كل تعليق . " لقد جمعنا فى " الدومين " أملاك المؤسسات الدينية و(معها الكتب) ،صادرنا ممتلكات فئة من السكان كنا قد وعدنا باحترام ملكيتها وبدأنا استعمال سلطتنا بفرض غرامة مائة ألف فرنك كقرض اجبارى ،وذهبنا أحيانا الى حد أن أخبرنا الملاك السابقين على دفع نفقات هدم بيوتهم ،بل نفقات هدم أحد المساجد . . وانتهكنا دون خجل بيوت الله والمقابر، وكلها ذات حرمة لدى المسلمين "(١) كان هذا هو البلاء الذى أصاب التعليم الاسلامى غداة الاحتلال وبعده أصدرت الادارة الفرنسية الجزائرية أوامر بمنع فتح مدارس جديدة للتعليم الاسلامى وتم غلق حوالى ألف مدرسة (ابتدائية - ثانوية - عالية) عدد تلاميذها

---

(١) الجزائر ، وزارة الأوقاف - القبس عدد ٦ ، نفس المقال :ص ١٠١ .

حوالى مائة وخمسين ألف تلميذ ، واحتلوا اثنان وستون مسجدا[١] ، وقد سمحت بفتح الكتاتيب القرآنية فى نطاق ضيق جدا ، فعرقلوا التعليم الاسلامى وذلك بمنع اللغة العربية والقرآن الكريم والتاريخ الجزائرى وكل مايعنى العالم الاسلامى ، ومنها تحتم على بعض المدرسين أن يواصلوا مهمتهم فى نطاق ضيق للغاية بل معظمه خفية .

فبهذا ينص كذلك قرار " دكروت " الفرنسى المعمر الذى جاء مدعما لسياسة المكر والخداع حيث قال للملأ من حوله : " فلنعرقل تطور المدارس الاسلامية والزوايا ماستعطنا الى ذلك سبيلا ولنعمل على تثبيط الأهالى معنويا ومادياً[٢] .

وفى مطلع عام ١٨٣١م أعلن " الدوق دى روفيق " الذى كان أنذاك قائدا أعلى للجيش الفرنسى بالجزائر ، قائلا : " ان هدفنا هو أن ندخل الفرنسية محل العربية بنشرها مابين الأهالى عن طريق السلطة والادارة ولا سيما اذا أقبل الجيل الجديد على التعليم فى مدارسنا "[٣] . انه الاستعمار ، فأين ياترى رسالة الحضارة والمدنية التى تغنّى بها - فها هو بعد أن دخل الجزائر الأبيّة يضع الخطوط العريضة لسياسته موضحا أهدافها بنفسه على لسان الحكام المستبدين ، لقد اتضحت لنا الخطة التعليمية التى تبناها المعمر ، وهى المتمثلة فى نشر الأمية ، ووضع العراقيل فى وجه المتعلمين ومنع التعامل باللغة العربية فى جميع المجالات وفرض عقوبات على معلمى اللغة العربية بدون اذن من الادارة الفرنسية ، وكثيرا مايرفض الطلب بدعوى أن اللغة العربية لغة متأخرة ، غير معترف بها ضمن اللغات العالمية ، وتراهم من الجانب الآخر يوسعون المجال للغة الفرنسية الدخيلة يصفونها بلغة الحضارة والتقدم ، وقد ذهب البعض منهم الى وصفها بلغة الاناقة والموضة قصدا منهم اغراء النساء والفتيات العربيات ، فالمرأة بطبيعتها تحب الأناقة وتميل اليها .

---

(١) الجزائر ، وزارة التعليم الاصلى - الاصالة عدد ١٤-١٥ مقال أبوالقاسم سعد الله : ص١٧.

(٢) مرسى محمد منير - التعليم العام فى البلاد العربية - ط٢-١٩٧٤م القاهرة ، ص ٦ .

(٣) الجزائر - الاصالة ، نفس المرجع السابق : ص ١٧ .

المرحلة الثانية : التعليم الاسلامى من ١٨٣٤م - ١٨٤٨م، الموفق لعهد الأمير عبد القادر الجزائرى :

أسرعت فرنسا شعبا وحكومة تهتف بانتصارها على الجزائر ، فعم الاطمئنان قلوب المعمرين فقد تحقق حلم الجزائر - الفرنسية ، وبدأ الحكام والمسؤولين يعبرون عن فرحتهم بهذا الفوز العظيم ، وذهب البعض الى وصفه بعهد انهيار الدين الاسلامى وانتصار " الفتح الصليبى " وتغنوا بذلك على رؤوس الملأ ، منهم سكرتير للجنرال " بيجو " وهو " ويتشى " الذى سبق الأحداث من شدة الفرح والتفاؤل العجيب قائلا : " آخر أيام الاسلام قد دنت ، وفى خلال عشرين عاما لن يكون للجزائر اله غير المسيح ، ونحن اذا أمكننا الشك فى أن هذه الأرض تملكها فرنسا ، فلايمكن لنا أن نشك بحال فى أنها قد ضاعت من الاسلام الى الأبد "(١).

كما أدلى السيد " جانتى دوبيسي " بتصريح " لأعضاء البلدية جاء فيه " اننا أخذنا الجزائر . . وسنعمل فيها كل مايحلو لنا سواء من ناحية الهدم أو غيره "(٢).

انه - على ماأعتقد - نوع من الشذوذ الذى يصيب النفوس المريضة التى تهوى شتى أساليب النهب والجريمة ، انها شخصية المستعمر " المصلح " المزعوم !

هناك فى التاريخ الاسلامى العديد من العبر ، وفي التاريخ الاسلامى دروس كثيرة لم تترك الحوادث تمر الا وأشارت اليها فعالجتها . انها تؤكد لنا أن الكافر لن ينعم بالراحة والاطمئنان مادامت البلاد الاسلامية تنبت رجالا مؤمنين يتوكلون على الله تعالى وحده القائل : (ومن يتوكل على الله فهو حسبه . . .)(٣).

(١ ، ٢) خرفى صالح - صفحات من الجزائر - دراسات ومقالات - ١٩٧٢م الشركة الوطنية للنشر والتوزيع : ص ٣١٥ .

(٣) آية (٣) من سورة الطلاق .

هكذا كان الأمر بالنسبة للجزائر المسلمة التي أنجبت خير خلف لخير سلف في شخص ابن الشيخ محيي الدين الهاشمي وما هو سوى أحد الأبناء البررة لهذا الوطن المحتل .

رافق الاحتلال الفرنسي انتشار الخوف بين أبناء البلد فتشرد العدد الكبير منهم واضطروا الى الفرار بأنفسهم الى المناطق الجبلية الفقيرة والقرى المعزولة فماكان حينئذ على كبار القوم ورؤساء العرب الا أن يجتمعوا لدراسة وضعهم هذا بمسجد مدينة " بسكرة " سنة ١٨٣٤م حيث تمت مبايعة الشاب " عبد القادر بن محيي الدين " بالامارة تحت الشجرة احياء لسنة رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم " على أن يؤسس فيهم دولة اسلامية عربية "(١) وقد اجتمع الناس على أنه رجل يضرب المثل في خلقه وشجاعته وذكائه . .(٢)

أما الفرنسي " فليب " فقد ذكر الأمير عبد القادر في كتابه بقوله (بترجمة حرفية) " اننا لا نفهم شيئا من حياة المغامرة للأمير عبد القادر الجزائري ، فهي حافلة بدروس حديثة بالنسبة للمسلمين والمسيحيين معا . انه رجل حربي ، بارع ، بعيد عن العالم ، في عزلة ، ينادي بتعاليم دينه وأصحابه تربطهم وحدة العادة والأصل والايمان . . "(٣)

لقد تخللت فترة الحرب عدة معاهدات عقدتها فرنسا مع الأمير عبد القادر وما هي الا معاهدات غش وخداع من طرف الفرنسيين الذين كانوا يغتنمون فرصة وقف

---

(١) د . سعد الله أبو القاسم - أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر - ١٩٧٨م - ص: ٧٣ .

(٢) شهادة شفوية من أجدادنا أحياء يرزقون عن آبائهم وأجدادهم .

(٣) فليب ديستيورشاترين - افريقيا في مفترق الطرق - ١٩٥٥ م باريس الخامسة (بالفرنسي) ص : ١٣٣ .

القتال لتشديد ضرباتهم ومضاعفة عدوانهم داخل الأراضي الوطنية التابعة لسلطة الأمير عبد القادر .

تعتبر معاهدة " تافنا " أول معاهدة بين الأمير عبد القادر والجيوش الغازية، تم التوقيع عليها من الطرفين ، الفرنسي والجزائري في يوم ٤ شباط ١٨٣٤م.

والجانب الذي يهمنا من هذه المعاهدة هو ما تنص عليه احدى بنودها الخاصة بالمؤسسات الاسلامية ، فالقوات الفرنسية تتعهد بعدم التعرض لها بل تجعلها موضع الاحترام . وصدق الله القائل : (كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم ان الله يحب المتقين)(١).

ومن صفات الكافر أنه منافق ، كذاب ، يخون العهد . . وهذا مالم يكن الأمير غافلا عنه، لقد انتقده الكثير من المؤلفين المسلمين على توقيعه المعاهدة مع الفرنسيين الكفرة ، وذهب الكثير منهم الى اتهامه بملاطفة الكفار واللين معهم .

فالواقع على كل حال يختلف بالنسبة لكاتب أو باحث بين الكتب والوثائق وبين شخص في قلب المعركة ، يعيش الأحداث روحا وجسدا وأعتقد أن للأمير أهدافا حربية وراء قبوله للمعاهدة . لقد كان الأمير عبد القادر حكيما في تصرفاته ، وكان يحب العلم ويقدره ، ولم يخف عنه مدى قيمة نشر هذا العلم بين أبناء أمته ، وتوعية المجتمع الجزائري يعتبر جانبا من أهم جوانب سياسة الأمير الباسل . فقد كان يعتقد في ذلك واجبا من واجباته المقدسة نحو الامارة التي تولاها ، انها مسؤولية وضعها المسلمون على عاتقه ، سيسأل عنها يوم القيامة ، وهذا يرجعنا الى الأثر الوارد عن سيدنا عمر رضي الله عنه القائل :" والله لو عثرت دابة في طريق بغداد لسألني الله لماذا لم تسولها الطريق "(٢).

---

(١) آية (٧) من سورة التوبة.

(٢)

انهم رجال آمنوا بالله ايمانا صادقا !

لم يكن جهاد الأمير حينئذ يقتصر على السيف وحده ، انما كان كما قال هو عن نفسه :

فان شئت علمـا تلقني خير عالـم ∴ وفي الروع أخباري غدت توهن القوى (١)

فالمعركة كانت بالسيف والقلم معا فقد كانت تربية الأمير رحمه الله اسلامية وهي تبدأ بأصحابه ، فقد خصص لهم رتبا في الجيش لكل رتبة من رتبهم في الصف علامات تحمل آيات قرآنية وشعارات اسلامية أخرى بمثابة مدرسة تربوية يتقيدون بها في سلوكهم ومعاملاتهم ، كانت رتبة الآغة تميزها أربع علامات من الذهب ، اثنان على منكبيه احداهما مكتوب عليها " أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله " والأخرى " الصبر مفتاح النصر " واثنتان في صدره في شكل هلال فذات اليمين مكتوب عليها " لا اله الا الله " وذات الشمال مكتوب عليها " محمد رسول الله - صلى الله عليه وسلم " .

وقد كانت لرتبة رئيس الخيالة علامتان من الذهب مكتوب عليها : " الخيل معقود بنواصيها الخير الى يوم القيامة " ، والأخرى على صدره مكتوب عليها " محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم - " ، . . والسياف - سياف المشاة - بعلامتين من الفضة مكتوب على أحديهما " لا أنفع من التقوى والشجاعة " وعلى الأخرى " ولا أضر من المخالفة وعدم الطاعة " . ولسياف الخيالة علامة واحدة من الفضة مكتوب عليها " أيها المقاتل أحمل تغنم " وقد خصص الأمير عبد القادر " شيعة محمدية - أي وساما مصنوعا من خالص الذهب أو الفضة يمنح مكافأة لمن أظهر شجاعة نادرة . . أو أنقذ أخاه من أيدي العدو " . (٢)

---

(١) بوعزيز يحي - الأمير عبد القادر - ط٢ ، ١٩٦٤ . دار الكتاب الجزائري ، ص : ١٤٣ .

(٢) اسماعيل العربي - المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير " الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - ص ٢٢٨ .

وقد كان الأمير يرى أنه من واجبه نحو الدين الاسلامي دعم علومه لأن الاسلام يدعو الى العلم ويجعله واجبا وفريضة ، فمن الضروري اذا أن تشتمل دراساته على جميع فروع العلم ألاّ تقتصر على العلوم الشرعية فقط وانما تشمل كذلك الطبيعية والرياضية والأدبية فها هو الأمير يحدثنا عن نفسه قائلا : " . . فتحت المدارس في المدن وبين القبائل وكان الأطفال في هذه المدارس يتعلمون بدون مقابل ، العبادات والصلاة وحفظ تعاليم القرآن الكريم وفروضه ومعرفة القراءة والكتابة والحساب بصورة جيدة ، وكان الذين يريدون مواصلة تعليمهم بعد ذلك يرسلون الى الزوايا والمساجد لتعلم التاريخ وعلوم الدين وخصصت للطلبة رواتب على حسب معارفهم ودرجاتهم وظهر لي أن العلم هام جدا فعملت على تشجيعه . . "(١).

لمساعدة الطلبة في تعليمهم كان الأمير عبد القادر يبذل أقصى جهده لتوفير الكتب لطلبة العلم . كما كان يحافظ على الكتب القديمة والمخطوطات العتيقة خوفا عليها من الضياع . وقد تمكن من جمع الكتب والوثائق من كل مدينة يحل بها . فأسس مكتبة ضخمة تحوى عددا من المجلدات والمخطوطات القيمة وغير ذلك من المراجع المفقودة .

ونجد ما يؤكد ذلك ضمن رسائله رحمه الله التي بعث بها الى سلطان الباب العالي بمدينة اسطنبول . وفيما يلي نص الرسالة :

من عبد القادر بن محيي الدين الى السلطان عبد الحميد باسطنبول ، رسالة تحمل تاريخ تشرين الأول - الموافق لاكتوبر سنة ١٨٣٨م .

. . " ان شعب الجزائر متحد الآن وأن علم الجهاد قد طوى ، فالطريق آمنة وعامرة والعادات السيئة قد قضي عليها وتستطيع المرأة أن تعبر وحدها ليلا ونهارا من الشرق الى الغرب دون خوف على نفسها . وقد يلتقي الرجل بقاتل أبيه بل يحتكم الى القضاء ،

---

(١) العسلي بسام - الأمير عبد القادر - ط ١ - ١٩٨٠م - دار النفائس ، بيروت : ص ٨٩ .

وأن كتاب الله وسنة رسوله هما فقط أساس الأحكام . . انني لم أتقدم لتولي مسؤولية الحكومة بدافع الطموح أو الرغبة في السلطة والجاه ولكن الله وحده يعلم أسرار القلوب - لأحارب في سبيل الله ولأحقن الدماء بين المسلمين ولأحمي أملاكهم ولأمد البلد كما تقتضي ذلك الغيرة على الدين والوطن . . "(١).

ومما يلاحظ من هذه الرسالة أن المجتمع الجزائري تحت لواء الأمير عبد القادر كان ينعم بالصحة العامة من حيث الخلق الكريم والعلاقات الاجتماعية التي أساسها التربية الاسلامية ، وقد اختار الأمير عبد القادر لسلوكه منهج الله عز وجل الذي بينه في كتابه المنزل وهو الموعظة الحسنة " مصداقا لقوله تعالى : (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن . .)(٢). ولقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : الدين النصيحة - قيل لمن يارسول الله ؟ قال : للهورسوله .(٣)

هكذا يظهر لنا الأمير أسوة حسنة في سلوكه مع الناس وقد يتجلى ذلك بكل وضوح غير أسطر رسالة أخرى بعث بها كذلك الى السلطان عبد الحميد باسطنبول حيث يبين فيها الأمير أن العمل شاق والجهود جبارة ، فيقول : ". . وشهرت على ساعد الجد والاجتهاد وبذلت للمسلمين نصحي في جمع الكلمة والجهاد وصيرت من وجهتي وجهتين ، فتارة بجمع الكلمة وزع البغاوة وآونة للدفع (كذا) عن المسلمين وقمع الكفار العنات (كذا) ، ودفع الله عن الاسلام بذلك من الشر بعضه . وشيد من أركان الدين ماكان الكافر يحاول نقضه وضيقنا على الكافر المجالات وصاروا لا يؤمنون في جمع الحالات (كذا) . . واجتمعت كلمات المسلمين من حدود طاعة الشرفا (كذا) في حدود تونس وانتفا (كذا) منها كل شر ولم يتق الا ما يسر ويونس (كذا) تسير

---

(١) النميمي الجليل - بحوث ووثائق في التاريخ المغربي (١٨١٦-١٨٧١م) ، الدار التونسية للنشر - ١٩٧٢م . ص : ٢٢١ .

(٢) آية (١٢٥) من سورة النحل .

(٣) رواه مسلم ، رقم (٥٥) من الايمان .

المرأة وحدها مسيرة شهر لا تخاف الا الله ولا تخشى من أحد نكرا . . " كذا (١) .

فليس من الغريب أن يتناول بعض المؤرخين الفرنسيين الأمير عبد القادر وعصره في محاولاتهم الاستعمارية للتضليل بتاريخ المقاومة الجزائرية المجيدة تحت لواء الأمير الشاب الذي لم يتجاوز سنه الرابع والعشرين عند مبايعته وانه لمن الغلط أن يعتمد الباحث المسلم اعتمادا كليا على المصادر الأجنبية اعتقادا منه بانها موضوعية ، وثقة بها لأنها جاءت على لسان أجنبي ، قد يكون المؤرخون الفرنسيون ، درسوا تاريخ الحملة الفرنسية على الأراضي الجزائرية ، والوصف دقيق في كثير من الأحيان الا أنه ملئ بالأكاذيب والدسائس التي يخفونها عبر أسطر معظم كتاباتهم ، فهي حرب ضد التاريخ والتعاليم الاسلامية ، فهي محاولة منهم لتجريد أبناء المسلمين من أبطالهم كما حاولوا في الماضي القريب تجريد آبائهم من شخصيتهم العربية الاسلامية فهي بمثابة دس " السم في العسل " . مهما كان الحال يجب أن نلتزم بالحذر واليقظة عند تناول المراجع الأجنبية ، ان لغتنا العربية الأصيلة لم تكن في يوم ما محل ثقة لديهم بل كثيرا ما نجدهم ينتقدون مصادرها حتى أنهم يرفضونها كأداة تاريخ بينهم (٢) .

ولنا على سبيل المثال المؤرخ الفرنسي المختص " جورج ايفير " الذي كتب عن الأمير عبد القادر في عدة مناسبات قائلا : " انه (الأمير) لم يكن بطل جنسيته عربية في الجزائر لأنها لم توجد ولم يكن سياسيا مجددا يهدف الى ادخال الحضارة الأوربية على مواطنيه الذين كانوا (نصف برابرة) ولكنه كان مرابطا طموحا أراد أن يحل نفسه محل الأتراك واستغل لتحقيق ذلك الهدف غفلة الفرنسيين ونسبة الشريف

---

(١) التنسي الجليل - المرجع السابق : ص ٢٢٤ (يلاحظ على هذه الرسالة كثرة استعمال كلمة كذا بدون قوسين لأن في نفس المسألة كلام بالعامية .

(٢) الجزائر - وزارة التعليم الأصلي - الاصالة - عدد ١٤ - ١٥ . مقال د / أبو القاسم سعد الله - ربيع الثاني - رجب - ١٩٧٣م . ص: ١٧ .

وشـجاعته الشخصية . . قلد الأتراك فى ادارتهم . . فملأ خزانته بالمال مثلهم.(١)

أما الكاتب " جوليان " فقد تناول فى كتابه شخصية الأمير عبد القادر فنسب اليه ماينتهى به الى التشكيك فى وطنيته ، بدون أن يذكر المصدر الذى أخذ منه هـذا الكلام الخطير.(٢)

والمتصفح لكتاب " فليب ديستيور " يجد نفس الأوصاف وهكذا . . .

لقد تعددت محاولات المستعمر للوقوف فى طريق الأمير عبد القادر بشـتى الأساليب فكانت كل فرصة يثور فيها المسلمون ضد الاحتلال الفرنسى تستغل للامعان فى القمع والسطو دون تمييز على الممتلكات الخاصة والاستحواذ عليها وعلى معظـم الأوقاف المحبوسة على المؤسسات التعليمية الاسلامية ، وكان هذا من جملة الأسـباب التى جعلت الأمير عبد القادر يبدى موافقته على وقف القتال حتى يسترجع أبنـاء الوطن أنفاسهم ويعزز جيش الأمير الباسل صفوفه .

مما لا شـك أن فرنسا ثارت ثائرتها لظهور الأمير البطل على ساحة القتـال ، فاتجهت ادارة الاحتلال الى اصدار سلسلة من القوانين الرسمية الهالكة كالسكينـة الحادة فى عنق الطير الضعيف - تم رسميا سنة ١٨٤٤م شهر اكتوبر بيع أرض الأوقاف للمعمرين وتوزيعها عليهم وفق القانون الذى أساسه : أن عقد الوقف الاسلامى لا يمنع صفقة البيع الفردى أو الهبة.(٤) وبهذا القرار تمت السيطرة الكاملة للاستعمار علـى أراضى الأوقاف ووزعت على أبناء الكفرة ، فأصبحت الادارة الفرنسية هى التى تباشـر سائر الأعمال ورفعت على رؤوس الملأ شـعار الظلم والسـرقة الكل للفرنسيين ولا شـئ للجزائريين " .

وأحسن عمل قامت به الحكومة الفرنسية آنذاك هو تكوين لجنة للتحقيق أوفدهـا البرلمان الفرنسى(٣) لعلها تلخص مدى " التقدم " الذى أحرزت عليه فرنسا الغازيـة

---

(١) نفس المرجع السابق ، ص: ١٧ .

(٢) سعد الله أبو القاسم - أبحاث وآراء فى تاريخ الجزائر: ١٩٧٨م ، ص : ٧٣ .

(٣) مسعود مجاهد . الجزائر عبر الأجيال : ص ٧٤ .

(٤) تركى رابح ، ابن باديس ، فلسفته وجهوده فى التربية والتعليم ص٨٥ .

بالجزائر لم يكن هذا التقدم المذكور يقاس بعدد المعاهد العلمية التى بنتهـــا حكومة الاحتلال للمواطن ولا بعدد المستشفيات الخاصة بالمواطنين المجهزة بأحـدث الوسائل وبنخبة من كبار أطباء فرنسا . . انما المقياس التى يعتمد عليه الســادة الحكام المستعمريـــن يتمثل فى قيمة المستلكات التى تمت مصادرتها وأقصى حـــد وصلت اليه عملية القضاء على المؤسسات التعليمية ومدى الجهل والشقاء الذى استطاع المعمر غرســه بين الأهالى .

انه الجزء البسيط فقط من المخططات الكبيرة الذى تبنته حكومة الاحتـــلال والذى أقره " دكروت " الفرنسى الحاقد . وجه " دكروت " نداء لسائر المعمرين بالجزائر طالبهم فيه بعرقلة تطور المدارس الاسلامية والزوايا ما استطاعوا اليه سبيلا " لنعمـــل باختصار على تثبيط الأهالى معنويا ومادياً "(١) .

فعلا ، كانت سلطات الاحتلال ترى فى وجود المدارس الاسلامية مدافع موجهـــة اليها قد تضرب من حين لآخر ، لذلك خصصت الجانب الكبير من سياستها للقضـــاء عليها . أصدرت حكومة الاحتلال الأوامر لجيوشها لازالة كل شئ يعوق طريقهـــا ، فأعطى الحق فى سلب ونهب وهدم وتخريب المؤسسات التعليمية الخاصة بأبنـــاء المسلمين فى مدن وقرى يمر بها جيش الاحتلال . وقد كان الجيش الفرنسي فـــى درجة من الذكاء جعلته يصحب دائما معه فرقة من العلماء يقومون بجمع أمهات الكتب والوثائق القيمة وبعض المخطوطات العتيقة لعلها تفيدهم في حياتهم العلميـــة والعملية بالجزائر وسائر بلاد المسلمين مستقبلا . ومن جهة أخرى كانت الجيـــوش الغازية تهجم بسلاحها الفتاك على العديد من المكتبات الاسلامية وان صادفهـــم الحظ ووجدوا مصاحفا داسوها بأرجلهم وعبثوا بها . ومن بين هذه المكتبات ، مكتبة الأمير عبد القادر ، التى هجموا عليها بوحشية واضحة اذ أخذوا منها ما أخـــذوا وأشعلوا النيران فى البقية الباقية .

---

(١) مرسى محمد منير - التعليم العام فى البلاد العربية - ط٢ - ١٩٧٤م القاهرة : ص ٦ .

وماأجمل تلك العبارة التي قالها الأمير المجاهد حين رجع الى عاصمته الثانية بالزمالة مارأى من مكتبته التي كرس حياته في تشييدها . قال الأمير والحزن يملأ صدره " سبحان الله كل شيء كنا نحبه وتعلقت أفكارنا به كان يعوق حريتنا ويقف في صدورنا عن الوصول الى مطلوبنا والآن صرنا أحرارا متجردين لا شغل لنا الا مقارعة الأعداء ومصارعتهم ."(١) رحم الله الأمير انه مثال الوفاء والتضحية في سبيل الله .

لقد استمرت فرنسا في سياستها العدوانية ضد التعليم الاسلامي وكان ضمن اقامته به آنذاك هو التعدي على القضاء الاسلامي ، فانتزع الفرنسيون البرامج الاسلامية الخاصة بتكوين موظفين أكفاء في السلك القضائي فاستبدلوها بقوانينهم الوضعية ،قضوا على جميع الاختصاصات في المحاكم الشرعية وحولوها الى محاكم مدنية شعارها الظلم والظلام .(٢)

وقد اضطرت حكومة الاحتلال من جهة أخرى الى تكوين طبقة من مستعمرين فرنسيين أو مستشرقين أوربيين وتوزيعهم على جميع مؤسسات البلاد(٣) ولتجعل منهم سلاحا ضد الأهالي العزل ،زودتهم باللغة العربية كما عملت على تشجيع الالتحاق بهذه الفئة من المخابرات والجواسيس تشجيعا ماديا وترقية في الرتب . أصبح الفرنسي يتقن اللغة العربية . فهو يتخلل الأماكن المزدحمة كالمقهى والنادي ومعظم الأماكن التي يكثر فيها النقاش والجدال وتبادل الأسرار ! فقد تمكن المعمرون من خلق جو من الفوضى وسوء التفاهم في الوسط الشعبي .وانعكس ذلك على أصحاب الأمير عبد القادر ومساندية مما أدى الى تشتت شملهم وتراجع العدد الكبير من أصحابه وتآمرت عليه بعض

---

(١) بو عزيز يحي - الأمير عبد القادر - رائد الكفاح الجزائري - ط ٢ - ١٩٦٤ دار الكتاب - الجزائر : ص ٦٧ .

(٢) بوصفصاف عبد الكريم - جمعية العلماء المسلمين الجزائريين - ط ١-١٩٨١م ص : ٤٤ .

(٣) الجزائر - وزارة الثقافة - سعد الله أبوالقاسم - الثقافة ،عدد ٧٩ ، المرجع السابق ص ٦٦

القبائل وضايقه السلطان المغربي آنذاك وجهز جيوشا ضده . فاضطر الأمير عبد القادر أن يستسلم للأمر الواقع ، لأن المقاومة التي كانت صعبة في الماضي لم تعد ممكنة اليوم (١) - سنة ١٨٤٨م .

ومن أهم عواقبها ما نص عليه التقرير الفرنسي سنة ١٨٤٩م حين أعلن :

" . . . أهم الأمور التي يجب أن يعتني بها قبل كل شيء هو السعي وراء جعل اللغة الفرنسية دارجة وعامة بين الجزائريين ، الذين عقدنا العزم على استمالتهم الينا وتمثيلهم وادماجهم فينا وجعلهم فرنسيين (٢) " .

---

(١) اسماعيل العربي - المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير - الشركة الوطنية للنشر والتوزيع : ص ٣٢ .

(٢) الجزائر - وزارة التعليم الأصلي " الأصالة عدد (٢) مقال تركي رابح " ص: ٦٥ .

ج ـ المرحلة الثالثة : التعليم الاسلامي من ١٨٥٢م - ١٨٧٠م الموافق لعهد نابليون الثالث :

انتهى عهد الجمهورية الثانية سنة ١٨٥٢م ، تولى زمام الحكم الفرنسي " نابليون الثالث " الذي اعتلى عرش الامبراطورية الجديدة .

ولد نابليون الثالث في باريس سنة ١٨٠٨م توفي في انكلترا سنة ١٨٧٣م،(١) كان لنابليون الثالث اهتمام خاص بالجزائر وكانت أول خطوة قام بها هي تأسيس وزارة خاصة باسم وزارة الجزائر، تولى المنصب الجديد ابن عمه " جيروم ".

يختلف نابليون عن غيره من الحكام ، انه على مايبدو من خلال أعماله يتمتع " ببعد النظر" وطمع وجشع فهو طموح ، يحلم بالبطولات ، منها التي خاضها نابليون بونبارت.. في التعدي على مصر والشام وفلسطين .

هناك من المؤرخين من وصف نابليون الثالث بالعاطفي ، الذي تنقصه الخبرة. " يتأمل في مستقبل الجزائر التي أوجدتها ملكة شارل العاشر، وفي نفس الوقت يرغب في انهاء مابدأ به الجنرال " بيجوا " الاستعماري ، على كل حال النوايا كانت حسنة "(٢) (ترجمة حرفية) .

هذا رأي فليب العنصري أحد المدافعين بشدة عن الجزائر ـ الفرنسية .

لا أتعرض هنا الى الادعاءات فيما يخص نفي وجود الجزائر واعتبار ميلادها مع دخول الفرنسيين ، وأمثال هذا المؤلف كثيرون . . . انما الشيء المهم هنا هو معرفة موقف نابليون الثالث وسياسته الجديدة من التعليم الاسلامي .

كانت أول خطوة اتخذها نابليون الثالث هي استمالة المسلمين بالجزائر ومحاولة لفت أنظار الدول الاسلامية من حوله ، فاختار نهجا جديدا يسير عليه ، فريد من نوعه

---

(١) معلوم يوسف ـ المنجد اللغة والآداب ، ط ٥ ، ص : ٥٦٧ .

(٢) فليب ديستيور شاترين ـ افريقيا في مفترق الطرق : ١٩٥٥ ، باريس (بالفرنسية) : ص ٥٦ .

لتسيير شؤون المستعمرة اذ تقدم بنفسه فى صورة الصديق المخلص المنقذ المتفاهم للأوضاع التى يعيشها المواطن الجزائرى بالنسبة لما ينعم به المعمر من الحرية والرفاهية .

وقد شرع نابليون الثالث بتهدئة الوضع الذى ازداد اضطرابا وفوضى بعد هجرة الأمير عبد القادر وتعهد لأهالي المسلمين بأن يجعل حياتهم فى أمن تام ، أن يرجع لهم بعض حقوقهم ، فاتخذ فى هذا الشأن مبادرات لم يسبق لها مثيل فى تاريخ الاحتلال الفرنسى للجزائر، كانت عبارة عن قرارات تعترف للأهالي بحق الملكية المطلقة على الأرض الباقية لديهم ، فاستبشر الأهالي خيرا بالجمهورية الجديدة ووضعوا ثقتهم بها . فقرار نابليون الثالث يمنحهم حق الاحتفاظ بما تبقى لهم من أملاكهم الخاصة بالاضافة الى الجانب من الأوقاف التى لم تصل اليها أنياب الاستعمار بعد ، كانت الفرصة سانحة للمسلمين لكى يسترجعوا فيها أنفاسهم ، فتمكنهم من تعزيز تعاليم دينهم والنظر فى شؤونهم ، فقد تخلى العدد الكبير منهم عن هذه المسؤولية المقدسة خوفا من بطش المستعمر ، وانتشرت غمامة البؤس بين المواطنين ، وأصبح الكثيرون يعتقدون ضياع الجزائر الى الأبد مع استسلام الأمير عبد القادر . ولم يقتصر على المواطنين العاسيين فقط بل شملت هذه الحالة كذلك العلماء وطلبة العلم ، فلازم التلاميذ معظمهم منازلهم ، أما العلماء فقد غادر الكثيرون البلاد عملا بالفتوى التى سبق أن شاعت فى البلاد والتى تقتضى وجوب الهجرة من ديار الكفر مهما كان الحال ، واعتبرت على أساسها الجزائر دارا من ديار الكفر، لا يجوز للعالم الاقامة بها ، فتدفقت على أثرها الوفود من العلماء قاصدة المشرق العربى .

لقد أصبح الجزائريون يرون أنه لا جدوى من محاولة هزم فرنسا وتأكد لهم ذلك بعد استسلام الأمير عبد القادر، فاستقر رأى العدد الكبير منهم على ترك هذه البلاد .

وقد نسب بعض المؤرخين ظاهرة الهجرة الى نداء من بعض الطرقيين ، منهم الشيخ المهدى ، مقدم الطريقة الرحمانية ، الذى نصح الأهالي بمنطقة " وادى سيدو " (غرب الجزائر) بأن يغادروا هذه الأرض المضطهدة والهجرة الى ديار الاسلام

للمحافظة على دينهم ودنياهم ، وقد غادر الشيخ المهدى نفسه الجزائر فى أواخر سنة ١٨٤٧م الى سوريا ولحق العديد من تلامذته رفقة عائلاتهم.(١)

مهما كان الحال، أن الأسباب التى جعلت سكان الجزائر يهبون نحو الهجرة فرادى وجماعات فهي أسباب تنحصر فى ذلك الوقت فى عاملين فقط : العامل الديني والعامل الاقتصادى .

وبينما كان الأهالي بالجزائر يهرعون خارج بلادهم ،كان نابليون الثالث بفرنسا يحلم حلما فريدا من نوعه ،بل فى أحلام عجيبة نحو المستعمرة ،كان يحلم فى السلطة والنفوذ ليس فى الجزائر فحسب ،انما فى نطاق أوسع ، يريدها مملكة تشمل الجزائر وسائر البلاد الاسلامية ،لعله كان شديد الاعجاب بالخلافة الاسلامية العثمانية التى انتشر سلطانها شرقا وغربا ! ليس من الغريب أن يحلم أحد الحكام الفرنسيين بهذه السلطة ،فقد حلم من قبله " نابليون بونبارت" الا أن هذا الأخير اتخذ أسلوبا آخر لتحقيق أهدافه .

وبمثل هذا لا يزال البعض يحلم اليوم ،فاليهود فى فلسطين المحتلة واعتداءاتهم المتكررة على الدول الاسلامية كسوريا والاردن ومصر لهو خير دليل على ذلك ،كذلك الاتحاد السوفياتي فى الشرق من خلال عدوانه على أفغانستان المسلمة وعلى باكستان . . !

فحاشى لدين الله أن يتولاه الكافر النجس ، فالله عز وجل جاعل كيدهم فى تضليل وهازمهم شر الهزيمة !

لقد ازداد نابليون الثالث ابتهاجا وعزيمة حين زار القطر الجزائرى لأول مرة سنة ١٨٦٣م . اتسعت أمامه الآفاق المنشودة ،ففي الجزائر طبيعة غراء وأراض خصبة شاسعة ، تمثلت له حينئذ " المملكة العربية " بكل خيراتها المادية والبشرية ، اهتزت

---

(١) الجزائر، وزارة الثقافة ، الثقافة ،عدد ٨٢ - مقال عمار هلال : ص ٦٩ .

نفسه طمعا . . فخرج للملأوأعلن بكل ثقة وثبات .

" انني لست امبراطور الفرنسيين فقط بل أنا امبراطور العرب أيضا "(١).

وبدأ الهدوء يعم أنحاء البلاد ، أصبح الناس يترقبون الأخبار ومنهم من استعجل الأحداث ، وبالنسبة لنابليون الثالث فقد بدأت علامات الملك العظيم تظهر ، فازداد تفاؤلا .

وفي زيارته الثانية للجزائر أعلن : " ان الجزائر ليست مستعمرة بأتم معنى الكلمة بل هي مملكة عربية وأن الأهالي يجب أن يلقوا منا كل مساواة ونفس الحماية التي يلقاها المستعمرون "(٢).

هكذا كان قرار ، الجمهورية الثالثة ، أن الجزائر جزء لا ينفصل عن فرنسا ، انها سياسة خبيثة تقر الإدماج كليا بالمستعمر ، لغة ، ودينا ، وعادات وتقاليد !!

و قد اتخذت الحكومة الجديدة الشروع في العمل حيث تم احياء نص القرار الصادر بتاريخ ٢٤ يناير عام ١٨٥٠م وهو مشروع خاص بالتعليم الاسلامي .

من أهم ماجاء في نص القرار :-

يقرر مجلس الوزراء أن :

١) الفصل الأول : التعليم الابتدائي والثانوي .

المادة الأولى : ان التعليم الابتدائي والثانوي الذي يعطى في المدارس الاسلامية قد وضع تحت رقابة الوالي الذي يشرف عليها .

٢) الفصل الثاني : المدارس العليا الاسلامية .

المادة الثالثة : قد انشئت مدارس على نفقة الدولة في كل واحدة من مدن المدية وتلمسان وقسنطينة من أجل تكوين الاطارات الدينية والعدلية والتربية والعامة للأهالي ، و(المكاتب العربية) .

---

(١) ، (٢) المدني - أحمد توفيق - كتاب الجزائر ص : ٦١ .

المادة الرابعة : التعليم يعطى مجانا بالمدارس العليا ويشتمل على - حصة للنحو والأدب - حصة للقانون والفقه - حصة في علم التوحيد .

المادة السادسة : مدير وأساتذة المدارس العليا الاسلامية يقع تعيينهم من طرف وزير الحرب باقتراح من الوالي العام بالجزائر اما الوقاف(*) فالجنرال هو الذي يعينه .

المادة الثامنة : ان المدارس العليا موضوعة تحت رقابة الضباط الجنرالات قادة المقاطعات ويشرفون عليها بواسطة (المكاتب العربية) .

المادة التاسعة : يتفقد المدارس العليا كل سنة ضابط فرنسي ملحق بالمكاتب العربية وواحد من أساتذة التعليم العربي من طرف الوالي العام بالجزائر.

وزير الحرب مكلف بتنفيذ هذا القرار(١) . حُرر في ايليزي الوطني يوم ١٨٥٠/٩/٣٠م.

ماذا يستفاد من هذا القرار ؟

التعليم الاسلامي الذي كان ينعم بالحرية والرقي قبل الاحتلال وضعت له القيود وسيق به الى معتقل عسكري ، فمن الغريب أن يبلغ زمام التعليم الاسلامي الى أيدي العسكريين ، والسؤال الذي يطرح نفسه هنا : منذ متى كان العسكريون ناشرين للعلم ؟ ، ومنذ متى كان العسكري المسيحي الفرنسي أهلا لادارة تعليم اسلامي عربي ؟

انه الكارثة بعينها ! لم يقصد الاستعمار ، بهذا القرار ، وضع التعليم الاسلامي في خدمة العلم والحضارة العربية الاسلامية كما يدعون ذلك ، انما وجهوه وفق مشاريعهم الاجرامية التي لا تعود سوى بالخسارة على أهلها ، والخسارة تكون في العلم واللغة والدين .

(*) الوقاف : مراقب عام .

(١) الجزائر - وزارة الأوقاف - " القبس " عدد (٧) ، مقال الزبير سيف الاسلام أوت - سبتمبر ١٩٦٩م ، ص : ١٠٢/١٠٥ .

أصبح المدرسون والاداريون تعيّنُهم الادارة العسكرية والفرنسية والمناهج تشرف عليها لجنة عسكرية فرنسية ، ومن ناحية المدارس فلم يعد الجزائريون أحرارا في انشاء المدارس المرغوب فيها ، فالحكومة الفرنسية هي الوحيدة المسموح لها بفتح المدارس ، هناك اتجاه آخر تم التركيز عليه ضمن مخطط نابليون الثالث وهو مابينه " بوتون " اذ قال : " ان من أنجح الوسائل للوصول الى تهدئة كاملة للجزائر نشر معرفة اللغة الفرنسية وتعميمها في أوساط السكان والأهالي[١] " ، وفقا لهذا المخطط الاجرامي تمت السيطرة الكاملة على التعليم الاسلامي ، ادخل التعليم الفرنسي في المدارس فزاحمت اللغة الفرنسية ، اللغة العربية الوطنية الى أن احتلت مكانتها ، وشرع من جهة أخرى في فتح العدد القليل من المدارس والتعليم فيها لم يكن في يوم من الأيام قوميا ولا وطنيا ولم يكن دينيا اسلاميا بل كان أبناء الوطن يدرسون تاريخ " الغاليين " وعظماء الفرنسيين وأدباءها . .

وتم حينئذ انشاء جامعة الجزائر العاصمة ، الا أنها تعنى بصفة خاصة بأبناء المستعمرين والوافدين الأوربيين الذين استوطنوا الجزائر.[٢]

اشتدت الحرب " الباردة " على التعليم الاسلامي ومؤسساته ، وقد اتخذت حكومة الاحتلال من المبشرين أعوانا لها للتعجيل في تحقيق أهدافها .

ففي تقرير رسمي لوزارة المعارف ، وضعه المفتش العام " هنري بورجو " عن الحالة التي آل اليها التعليم في تلك الفترة ، يؤكد هذا الأخير أن جميع الطلبة هم من أبناء المعمرين ولا مجال لتعليم أولاد الفلاحين ، ويكشف التقرير من جهة أخرى عن النشاط الكثيف الذي تقوم به فئة المبشرين وعن نواياهم السيئة فيقول : ان القسيس وهو صاحب النفوذ العظيم في مدينة " تيزي أوزو " (ببلاد القبائل الكبرى) يحارب

---

(١) الجزائر - وزارة الثقافة - الثقافة - عدد (٨٥) مقال : أحمد مهساس : ص ٦١ .

(٢) د . مرسي محمد منير - التعليم العام في البلاد العربية . ط ٢ ، ١٩٧٤م القاهرة : ص ٢٨ .

التعليم الاسلامي بكل شـــدة وعنف ، يساعده على ذلك العمدة المعروف بعـــدائه للمسلمين .

وينقل لنا " هنري بورجو " جزءا من حديثه مع الوكيل العام باحـدى المـــدارس الاستعمارية في محاولة منه لاقناعه بضرورة اغراء أولاد المسلمين بشتى الوســـائل والأساليب لعلهم يلتحقون بمدارسهم ، وفي ذلك كسب عظيم بالنسبة لمســـتقبل الجزائر - الفرنسية ، فرد عليه وكيل المدرسة بلهجة حادة : " ان هذا الجنس يجـــب أن يزول "(١) .

هكذا كانوا يخشون المواطن المتعلم ، لأن العلم النافع والنابع من العقيـــدة الاسلامية بمثابة السلاح في يده ، انه لا يكفيهم حرمانه من التعليم الاسلامي بـــل يطردونه من صفوف مدارسهم ، لا يريدونه انسانا متعلما بل جاهلا أميا ، لأن الجزائري ، حسب اعتقادهم ليس له حق في الوجود !

وضمن السياسة الجديدة لنابليون الثالث نحو التعليم الاسلامي قرر انشاء مجموعـة زوايا عبر الجزائر ، يبلغ عدد هذه الزوايا خمسة عشر تمولها باريس بنسبة ثلاثة أربـاع من ميزانيتها ، تشـرف على ادارتها سلطات الاحتلال ، ولما أراد " جول فيري "Jules Ferry تطبيق التشريع " النابليوني " ، آثار ذلك صيحة عارمة من الاستنكار من كلتا الجهتين ، ففي الجزائر ، غضب المعمرون فقاوموه لأنهم اعتبروا هذا المشروع تشجيعا للتعـــليم الاسلامي من طرف حكومة الاحتلال ، اما الجزائريون ، أبناء الوطن فقد استقبلوه بالرفض والاستنكار لأن ادارة الاحتلال من خلال هذا المشروع وماسبقه من المشاريع الاستعمارية الأخرى تريد أن تشد التعليم الاسلامي بأنيابها فتجعله يسير وفقا لتعليماتهـــا .

وفي فرنسا عارضه العديد من الفرنسيين من رجال الفكر والأدب الفرنسي(٢) ، اذ اعتبروه

---

(١) مسعود مجاهد - تاريخ الجزائر : ص ٣٧٤ .

(٢) الجزائر - وزارة الثقافة ، عدد : ٨٥ ، مقال : بو علام بالســـايح ، ص : ٤٩ .

تنازلا من الحكومة الفرنسية لصالح التعليم الاسلامي ،وهؤلاء جماعة المعارضين، هم المتحمسون للجزائر ـ الفرنسية ،أمثال : " فيكتور هيقو "Victor Hugo الذي تأثر لحال البؤساء من الفرنسيين ، وألف فيهم كتابه المشهور، " البؤساء" الذي وزع عبر العالم وقد فرض ضمن المناهج الدراسية بمدارس الجزائر، يكاد الطالب الجزائري يحفظه عن ظهر قلب ! لكن حالة الجزائريين المسلمين ،الغرباء في أراضيهم ، المتشردين الذين يعانون من ظلم الاستعمار أشد ظلما الى جانب انتشار الأمراض والأوبئة نتيجة الكوارث الطبيعية ،فهذه الحالة لم تمس شعور هذا الأديب العاطفي ، الحساس !! ونفس الشئ يقال عن " لامارتين "Lamartine وغيره.. هؤلاء يطالبون بالقضاء على التعليم الاسلامي ونشر الجهل والأمية بين الأهالي حتى يفتح المجال للتعليم في شكله الفرنسي .

وتتابعت القرارات ضد التعليم الاسلامي في عهد نابليون الثالث، فأصبح كل من التعليم الابتدائي والثانوي مقننا تقنينا شديدا وهو خاضع لمراقبة " المكاتب العربية العسكرية وقد كان هذا التعليم سنة ١٨٦١م لا يشمل الا الجزء الواحد في المائة من السكان الأهالي وعدد المدارس يمثل حوالي ٢١٤٠ مدرسة أهلية تستقبل (٢٦٤٩٩) تلميذ (١) .

أعتقد أن تصريحات " بوتون " Boutmy تكفي لكشف الستار عن الأهداف التي يسعى اليها التعليم المفرنس ، ويشير هذا الأخير الى أن الجهود المبذولة كانت تقتصر على ايجاد نخبة استعمارية صغيرة ليجعلوا منها داعية لاستعمار غربي وثقافة أجنبية دخيلة ،ويضيف " بوتون " قائلا أن " هذه المحاولات باءت بالفشل ولو في مرحلتها هذه . . . فقد كانت تصطدم بمعارضة المعمرين وسوء فهمهم لها" (٢).

---

(١) الجزائر ـ وزارة الثقافة ـ الثقافة عدد (٨٣) ـ مقال: بو علام بالسايح شهر ذو الحجة ـ محرم ١٤٠٤ ـ ص : ٥٣ .

(٢) الجزائر ـ وزارة الثقافة ـ الثقافة ـ عدد (٨٥) مقال أحمد مهساس :ص ٦١ ربيع ٢ جمادى ١٤٠٥هـ.

ولم يبق من السياسة الجديدة سوى الشطر الأخير منها والمتمثل في " التجنيس " ، وهكذا توجت أعمال نابليون الثالث باصدار قانون " المواطنة الفرنسية " سنة ١٨٦٥م، يمنح حق المواطنة لكل جزائري بلغ من العمر واحد وعشرين سنة ، الشرط الوحيد المطلوب أن يتخلى الشخص عن قانونه الشخصي كمسلم ، كانت نتيجة ذلك أن قامت الاحتجاجات والفئات المعارضة في القبائل والقرى الجزائرية واستمرت الاضطرابات وتواصلت موجة الاعتداءات على المؤسسات الاسلامية من طرف المعمرين ، وذهب ضحيتها عددا من حملة العلم والمعرفة من مدرسين وطلبة ، ومنهم من قتل واستغلى الأساقفة الكاثوليك هذه الفرصة ليصعدوا من مضايقاتهم ضد العلماء والشيوخ فتضاعف حينئذ عدد المهاجرين .

وقد أشارت احصائيات " شارل آجرون لعام ١٨٧٠م الى مايقرب من ستة وثلاثين مدرسة ابتدائية عربية - فرنسية ، يتردد عليها نحو ١٣٠٠ تلميذا مسلما ، واعداديتين عربيتين - فرنسيتين وثلاث مدارس . . ولم يبق منها سنة ١٨٨٢م الا ست عشرة مدرسة ابتدائية "(١).

١٨٧٠م ! لهذه السنة أهمية بالغة في تاريخ فرنسا سواء من الداخل أو في الخارج ، بالنسبة لداخل فرنسا ، فقد كانت سنة ١٨٧٠م نهاية حلم نابليون الثالث حيث تنبه من نومه الطويل منزوعا من عرشه بعد أن أثبت عجزه أمام الجيوش الألمانية المحتلة . أما في الخارج ، بالذات في المستعمرة الجزائرية فقد كانت سنة ١٨٧٠م ، بمثابة المرحلة التمهيدية لسلسلة من الثورات الجديدة ضد المحتل .

---

(١) الجزائر - وزارة الثقافة - الثقافة عدد (٨٥) مقال : أحمد مهساس : ص ٧٢ .

الصليب والقـوة ضد التعليم الاسلامي :

رحمه الله الشيخ البشـير الابراهيمي اذ قال :

" السيف والصليب " ذلك للتمكن وهذا للتمكين "[١].

فعلا ، استصعب الأمر على الفرنسيين المعمرين ، لم يفن بعد العنصر الجزائـري رغم هجرة الأمير عبد القادر ، فاتجهت فرنسا حينئذ الى التنصير[*] فاتخذته سـنـدا لها ، بل سلاحا حادا للقضاء على العقيدة الاسلامية من النفوس المؤمنة ، قد صـرح بذلك " دوكورسيل " سنة ١٨٤١م في تقرير له الى وزير التربية والتعليم جاء فيـه : " لا يمكن للجزائر أن تكون فرنسية الا اذا أصبحت مسيحية "[٢]. وهذا التصريح دليـل قاطع على فشـل الجيوش الغازية أمام جيش الأمير عبد القادر في ذلك العهد .

ازداد اهتمام الحكام المعمرين بمستقبل " الجزائر ـ الفرنسية " ! فكثفوا جهودهم ووسعوا نطاق أعمالهم وطورت الوسائل وتنوعت وتم انتخاب الهيئة التنصيرية لقيـادة الحملة الجديدة .

ينحصر العمل التنصـيري في ثلاثة أقسام :

١) التنصـير بين الجماعات : هذا القسم اختار ميادين عمله داخل المؤسسات التعليمية والمراكز الصحية وأماكن الندوات واللقاءات الدينية العامـة .

٢) التنصير الفردي : يتطلب تكوين علاقات خاصة مع الشخص الواحد والتحلي بالصبر والمثابرة كالترحاب بالضيف واظهار له الود وحسن الاسـتقبال الى أن يأنس له فيثق به ـ تتواصل الزيارات وبذلك يكون قد وصل الـى الهدف !.

(*) التبشـير : حركة تقوم بنشر المسيحية .

(١) الابراهيمي ـ عيون البصائر ـ السلسلة : ٢ ط ٢ ـ ١٩٧٠م ، ص : ٦٤ .

(٢) الجزائر ، وزارة الثقافة ـ الثقافة عدد ٦٨ ، مقال : خديجة بقطاس ، جماد ١-٢ ١٤٠٢هـ ، ص ٤٩ .

٣) مايسمى بالعمل " المطبعي " : وهو العمل الخاص بالفئة المثقفة فقط ، يتطلب حينئذ نشاطا خاصا بالمنشورات والصور والوثائق والكتب والمجلات ، يخصص منها مجموعة للأطفال مصحوبة بباقة من الورد أوقطع من الحلاوة ! .

لم يحمل المنصوفي يوم ما عملا يهدف به الى تعليم هؤلاء الأبرياء وانما لتغرس فيهم تعاليم المسيحية ، لقد اتخذوا من السياسة التعليمية حربا عنيفة يقوم بها رجال القساوسة ، وكانت المدرسة من أحسن الوسائل لترويج أغراض المبشرين ، ولنا في ذلك مثال يضرب في وهران اذ وصل عدد التلاميذ الى ١١٥ بعد ان كانوا ٤٠ تلميذا فقط يتلقون التربية النصرانية بالمدرسة التبشرية خلال سنتين فقط - عام ١٣٢٨م . (١)

وفيما يخص القيادة العامة لهيئة التنصير فقد كانت يرأسها " زويمر " المعروف الذي كان يحمسهم ويشجعهم ماديا ومعنويا ، ولنا في مؤتمر القدس لسنة ١٩٣٥م تأكيدا واضحا لسياسة استعمارية تنصيرية .

" أيها الاخوان الأبطال والزملاء الذين كتب الله لهم الجهاد في سبيل المسيحية واستعمارها لبلاد الاسلام ، ولكن مهمة التبشير التي ندبتكم دول المسيحية للقيام بها في البلاد المحمدية ليست هي ادخال المسلمين في المسيحية فان في هذا هداية لهم وتكريما وانما مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الاسلام ليصبح مخلوقا لاصلة له بالله وبالتالي فلاصلة تربطه بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها ، لقد قضينا أيها الاخوان في هذه الحقبة من الزمن من ثلث القرن التاسع عشر الى يومنا هذا على جميع برامج التعليم في الممالك الاسلامية ونشرنا في تلك الربوع مكاتب التبشير والكنائس والجمعيات والمدارس المسيحية الكثيرة التي تهيمن عليها الدول الأوربية والأمريكية والفضل اليكم وحدكم ! " (٢)

---

(١) محب الدين الخطيب - المؤيد - سنة ١٣٣٠ هـ - ص ٤٨ .

(٢) الميداني حبنكة - أجنحة المكر الثلاثة : ط١ ، ١٩٧٥م - دار القلم - دمشق : ص ٥٩ .

من هذه الخطبة تتجلى النوايا السيئة التي قصدها الاستعمار وهي لا تـــزال قائمة الى يومنا هذا ضد الديار الاسلامية ، انها الطريق الممهد للسيطرة علـــى العالم الاسلامي ، فالتاريخ يروى لنا عن " شـارل دوفوكو " أحد الرحالة الكاثوليك الذي ذهب الى المغرب الأقصى ، جمع الوثائق وأتى بخريطة قيل عنها أنها كانت السـبب الرئيسي في احتلال فرنسا للمغرب ، هيئت لهم الفرصة ومهدت لهم الطريق وفتحـت لهم الآفـاق (١).

فقد أدرك الحكام الاستعماريون الفائدة العظمى التي تعود عليهم من المنصرين وسعوا لهم الميدان . فتحوا الأبواب على مصرعيها ، تغلغلوا بداخلها اناثا وذكـورا وسيطروا على جل المؤسسات .

يعتبر الجنرال " بيجو " أول حاكم فرنسي شرع في اقامة عدد من " الترابيسـت " وهي فرقة من رجال الدين أرسلت للجزائر من الهيئة التنصيرية العالمية ، فأقامهـــا مبدئيا بمدينة " موزايا " لما تمتاز به هذه الأخيرة من جو لطيف وطبيعة غناء ، وأبدى " بيجو " رغبته في الحصول على أربعة أو خمسة مراكز أخرى قرب الأطلس ، كما جاء في قوله " لأن تأثيرها يستعمل بكل شـدة على هيمنتنا السلمية على العرب . . فالعرب ليحترمونا ويحترمون رجال الدين كثيرا (٢) ".

خصصت حكومة الاحتلال هدايا قيمة لمن تثبت جدارته من بين هؤلاء المبشـرين . أذكر على سبيل المثال " ريجس " أهدى له الماريشال " راندون " " جوقة الشـرف "

---

(١) خرفي صالح - صفحات من الجزائر (١٩٦٢-١٩٧٢م) الشركة الوطنيـــة للنشر والتوزيع : ص ٣١٤ .

(٢) الجزائر - وزارة الثقافة - الثقافة عدد ٦٨ ، مقال خديجة بقطاس : ص ٥٤ ، جمادى ١ - ٢ / ١٩٨٢م .

سنة ١٨٥٣م لما أظهره " ريجس " من تفوق في عملية الزحف الاستعماري داخل الجزائر.(١)

وضمن هذه السياسة الاستعمارية الهدامة كانت المساعي التنصيرية تهدف الى خلق جو من الذبذبة والتشكيك بين أفراد الجزائر، انهم يريدون من العربي أن يتنكر لعروبته ومن المسلم أن يتنكر لاسلامه ، فهو أسلوب من أساليب هذه اليد الخفية التي تعمل من أجل تفرقة أبناء الوطن الواحد ، تسلط الأخ على أخيه ، فيسهل عليهم ضرب أحدهما بالآخر ، فيرتاحوا منهما معا ، انها سياسة شيطانية أساسها " فرق تسد " ، أنشؤوا فكرة " البرابرة " وخلقوا من فئة فئتين ومن شعب شعبين ومن لغة لغتين ، وازداد نشاطهم حدة !

فليس من الغريب أن يطلع المواطن الجزائري على الصحف والمجلات ، يجدها تشيد بالبرابرة ، تدعوهم فيها للتآخي والتضامن مع المسيحيين لأن الانجيل هو مركز الاتصال الذي تلتقي فيه الروح البربرية والروح المسيحية الفرنسية حسب افتراءاتهم العنصرية . . فالبرابرة ، حسب كتاباتهم ، قريبون من الانجيل . . أن الحياة الفرنسية والبربرية قد كيفتها وصبغتها المسيحية . .(٢)

انها بداية لسلسلة الأكاذيب والافتراءات التي ينشرها الاستعمار لعلها تشعب النيران الأهلية فيحترق الطرف الواحد فيسهل حينئذ القضاء على الطرف الثاني أو الطرفين معا بدون رحمة ولا شفقة ، انه الاستعمار ولو كان بثوبه النصراني ! انه المتفجر الهائل ، يفرق أبناء العقيدة الواحدة الى قوميات شتى ، فهو سلاح خطير . انهم وجهوا ضربة عنيفة لوحدة الشعب الجزائري ، عززوا مراكزهم في القبائل الكبرى بشتى الوسائل المتطورة ، بنوا فيها المدارس ومنعوا فتح المدارس الحرة الخاصة بالتعليم الاسلامي الا في نطاق ضيق جدا ، ومنعوا العلماء والمشائخ الوصول لتلك المنطقة ،

---

(١)، (٢) الجزائر - وزارة الثقافة - الثقافة ، عدد ٦٨ - مقال خديجة بقطاس ، ص : ٥٤ .

وضعوا لهم العراقيل لعزل هذه المنطقة وأبنائها عن الوطن الجزائري وعن اللغة العربية والعقيدة الاسلامية ، لأن الاسلام هو الموحد بين المجتمعات الاسلامية فالمؤمن أخ المؤمن ، فالرسول الكريم صلى الله عليه وسلم يقول : " المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا "(١).

لم يكن الاختلاف بين المسلم وأخيه في يوم ما اختلاف أساسه قومي وانما الله عز وجل يقول : (ياأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير "(٢).

---

(١) الحديث رواه البخاري : ٥ / ٧٠ في المظالم ومسلم رقم ٢٥٨٠ في البر والصلة .

(٢) سورة الحجرات ، آية ١٣ .

اهتمـــام المبشـــرين بالمرأة المسـلمة :

صدق الشاعر العربي في قوله :

الأم مدرســـة اذا أعددتهـــا

أعددت شـعبا طيـب الأعـــراق .

تمثل المرأة عادة في المجتمعات الاسلامية نصف سكان المجتمع ، ففي الجزائـــر ٧ر. ٥٪ (١) في التعداد العام للسكان الجزائريين هم من النساء ، والمرأة غداة احتـــلال الجزائر ، كانت لا تزال متمسكة بالتعاليم الاسلامية ، فهي العاطفية نحو الدين والوطن فهي مربية الأجيال ومعدة لها ، فان صلحت المرأة صلح المجتمع الذى تعمل على بنائه مرحلة بعد مرحلة كالعمود بعد الثاني ! لقد كانت المرأة الجزائرية ذات مكانـــة لائقة بها ، فهي امرأة مسلمة مصونة مهمتها الأساسية لا تتجاوز حدود بيتها (٢) ، هـــذه فـالمرأة المدنية تحسن تربية أولادها وتقضي أوقاتها فى صناعة الطرز على الحريـــر والجلد ، أما المرأة في البادية فهي تتسم بالشجاعة والنشاط أكثر من غيرها ، تقـــوم بنسج الصوف وتحلب البقر وتجمع السنابل وتعتنى بتربية المواشى والدجاج . ولكنها مثلها مثل الحضرية فهي لا تستطيع الذهاب الى المدارس رغم أن المدارس كانت منتشرة فى كامل أنحاء الوطن قبل الاحتلال الفرنسي ، بعض الناس يعتقدون أنه من العيـب أن تتعلم البنت القراءة والكتابة حتى لا يكون لها أى علاقة بالوسط الخارجي ، هـــذه الظاهرة لا تزال موجودة الى يومنا هذا فى بعض القرى الجزائرية ، وقد شذت عـــن هذه العادة بعض بنات العـائلات الغنية الذين لم يجرؤا بعد أن يبعثوا ببناتهـــم الى المدارس العامة ولكنهم يحضرون المدرس الى بيوتهم أو ببنات المدرسين أنفسهـــم اللواتي كان لهن الحظ في أخذ العلم ولو القليل منه على أيدى آبائهن ، ولذلك نجـد من حين لآخر فتاة متعلمة (٣) .

---

(١) الجزائر ، وزارة الثقافة ، الثقافة عدد ٨٤ - مقال : تركى رابح ، ص : ١٧٦ .

(٢) الجزائر ، وزارة الثقافة ، الثقافة عدد ٨٢ - مقال أنيسه بركات : ص ١٩٩ .

(٣) الزبيرى محمد العربي - التجارة الخارجية للشرق الجزائرى : ص ٤٧ .

ان العدو الفرنسي عندما دخل أرض الوطن وجد فيها شعبا متمسكا بقيمه وعاداته، فوجد المرأة داخل بيتها ، تؤدي وظيفتها نحو الأسرة والمجتمع في أحسن حال ، كانت متمسكة بتعاليم الدين الاسلامي الحنيف عن شهادة أحد الرحالة الأوربيين في حديثه عن أيام العيد في الجزائر سنة ١٨٣٠م فيذكر المرأة قائلا :

" والنساء والفتيات محجبات . . لا يشاركن في الواقع في مباهج العيد بصورة ولكنهم يتفرجن على المشاهد البهيجة بحرية ، ووجوههن محجبة لا ترى منهن الا عيونهن السوداء التي تلتمع "(١).

الله أكبر ! انه الاسلام يمشي فوق أرض جزائرية مسلمة، هكذا كانت المرأة الجزائرية ، كانت محتشمة ، وقورة ، وهذا الذي أقلق الاستعمار داخل البلاد ، فقد تنبه الاستعمار بسرعة لما للمرأة من التأثير العميق على أفراد الأسرة والمجتمع بصفة عامة ، فقد تبين لهم أخيرا أن النبات الطيب من الأرض الطيبة ، وبذلك وجهوا معظم نشاطهم ضدها ، حيث أنشئت أول مدرسة فرنسية ابتدائية في مدينة الجزائر عام ١٨٣٦ م أطلق عليها اسم "المدارس الفرنسية الاسلامية" الا أنها كانت خالية من اللغة العربية ومن التاريخ العربي الاسلامي ، مناهجها تحمل طابعا أجنبيا ، غربيا ، عنصريا ، أعقبتها مدارس أخرى عديدة في مختلف أنحاء الوطن ، وصل عدد تلاميذ تلك المدارس عام ١٨٥٠ م الى ٦٤٦ تلميذا وتلميذة (٢).

و بقيت المرأة المسلمة بعيدة عن المدرسة مستقرة في بيتها ، لم يؤثر عليها بعد هذا الوجه الجديد من السياسة الاستعمارية ، فدبروا لها حينئذ وسيلة للوصول اليها بين جدران بيتها بتكوين فريق

---

(١) أبو العيد دودو - الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان : ص ٧٠.

(٢) الجزائر - وزارة الثقافة ، " الثقافة " ، عدد ٨٤ - مقال تركي رابح : ص ١٧٨ .

من المنصرات لحمل هذه المهمة الى النساء المسلمات داخل منازلهن ، أسسوا جمعيات نسائية منها جمعية " الشابات المسيحيات " أو " أخوات المسيح " ، لا تزال هذه الأخيرة قائمة الى يومنا هذا ببعض المدن الجزائرية ، اختارت لنفسها مؤسسة من المؤسسات التعليمية ووجهت اليها عنايتها الكاملة ، ادخل فيها نظام الداخلي للبنات البعيدات عن المؤسسة ليكون التأثير فيها بدرجة أكثر ! وركزت الفرقة التنصيرية من جهة أخرى على مجال التمريض وبالأخص أمراض النساء والولادة ، يعتبر هذا القسم أنجع سبيل سلكه الاستعمار ضد المرأة المسلمة ، تشجع الناس شيئا فشيئا ، أخرجوا نسائهم قاصدين هذه المراكز ، الاستقبال حار والعناية فائقة ، الامكانيات متوفرة بهذه المراكز جنبا الى جنب مع الصليب والانجيل .

الجميع مجندون من أجل الهدف الواحد خصصت هدايا للترحيب والتشجيع فسر المبشرون وصفقوا كثيرا ابتهاجا وسرورا بظهور النتائج الايجابية الأولى ، فهان التعب ، فتحت المرأة المسلمة أبواب بيتها ، نزعت عنها جلبابها ، فضاعت كرامتها ، فقد صدق المبشر ، صمويل زويمر " لما اشتكى له أعضاء التبشير من استعصاء المسلم على المبشرين وعجزهم عن التأثير فيه ، فقال : " ان أقصر طريق لذلك هو اجتذاب الفتاة المسلمة الى مدارسنا بكل الوسائل الممكنة لأنها هي التي تتولى عنا مهمة تحويل المجتمع الاسلامي وسلخه من مقومات دينه " (١) .

وقد تم انعقاد في مدينة قسنطينة مؤتمر أعلن فيه رسميا عن مشروع انشاء بيت باسم " مؤتمر قسنطينة التبشيري " (٢)

المطلقات والأرامل الصغار ، يجب أن تكون عبارة عن أماكن يخيم عليها الجو العائلي في ظل المسيحية ، ومكوث هؤلاء النساء في تلك البيوت يجب أن يطول أو يقصر حسب ما تقتضيه الحاجة بالنسبة لكل واحدة منهن .

(١ ، ٢) الميداني حبنكه - أجنحة المكر الثلاثة - : ص ٦٤ - ٦٥ .

خلاصـــــة :

من أهم مايستخلص من الفصل السابق هو أن التعليم الاسلامي في نهاية القـــرن التاسع عشر مرّ بمراحل عدة في الفترة مابين ١٨٣٠ و ١٨٧٠م. والمرحلة الأولـــى التي مر بها التعليم الاسلامي ،غداة الاحتلال هي مرحلة تمت فيها السيطرة علـــى الأوقاف الاسلامية التي كانت مصدر تمويل رئيسي للتعليم حيث تم تجريد المواطنـــين المسلمين من أملاكهم والتدخل في معظم المؤسسات التعليمية . وهذه الصورة انمـــا هي لون من ألوان القهر والاضطهاد للأهالي المغلوبين على أمرهم ،أن يتخلوا عـــن أملاكهم ويستسلموا لفرنسا الطاغية ،فكانت كذلك بمثابة الخطة المدبرة تهدف الـــى محاربة التعليم الاسلامي من خلال المناهج الدراسية التي أصبحت ،بعد دخـــول الاستعمار الفرنسي ،مجردة من المفاهيم الاسلامية عقيمة لا هدف منها سوى ابعـــاد أبناء هذه الأمة عن كل مايربطهم بهذه الجزائر العربية الاسلامية ومن ثم تقليص ظـــل اللغة العربية بغية اخلاء مكانها للغة المعمر !

أما المرحلة الثانية : فهي الموافقة لتاريخ ١٨٣٤م - ١٨٤٨م مع ظهور الأمـــير عبد القادر الجزائري في وجه الغزاة - فقد اصطدمت القوات الفرنسية بحركة الأمير الباسل الذي وقف متحديا المحتلين من وجهتين وهما الوجه العسكري من جهة ومن جهـــة أخرى وجه المربي المصلح ناشر العلم والمعرفة .

لقد صادفت هذه الحركة موجة عنيفة مضادة ،من الانتقام والعنصرية لـــدى المعمرين الفرنسيين فحاربوه أشد الحرب ،أحرقوا مكتبته واستولوا على المجلدات الثمينة . فكانت مرحلة ازدهار وحياة بالنسبة للتعليم الاسلامي .فقد عادت بالخير على أهالي البلاد . اذ تبنتهم بالتربية الاسلامية الصحيحة .فكونت فيهم العقيدة السليمة و أنقذتهم من الجهل ومخاطره . وأهم مايقال عن الأمير عبد القادر أنه تنبـــه الى أن المقاومـــة العسكريـــة لا معنى لها دون التسلح بالتربية والتعليـــم الاســـلامي .

وقد توافق المرحلة الثالثة التي مر بها التعليم الاسلامي بتاريخ ١٨٤٨م - ١٨٧٠م وهي فترة استسلام الأمير عبد القادر الى القوات الاستعمارية بعد أن تمكنت هذه الأخيرة من تشتيت شمله عن طريق الاغراء من جهة وخلق الفوضى والبلبلة من جهة ثانية . كانت فترة انهزام مما لاشك فيه حيث انتشر الرعب والفشل بين الأهالي فهاجر الكثير من العلماء وطلبة العلم نحو المشرق والعربي ، فنتج عن ذلك النقص في الاطارات وضعف المستوى التعليمي وارتفاع نسبة الأمية .

وقد أخذت الأمور تتغير مع حلول سنة ١٨٥٢م مع ظهور الجمهورية الفرنسية بقيادة نابليون الثالث .

ومن أهم ما يقال عن سياسة "نابليون الثالث" نحو التعليم الاسلامي أن أهدافها ثابتة رغم التغيير في الأساليب العدوانية وتعددها .

بعد أن فشلت الأساليب الاستعمارية من القهر والعنف رأت حكومة " نابليون الثالث " ضرورة تجريب خطة جديدة وأساليب أخرى في صورة اللين والملاطفة مع الشعب الجزائري المظلوم . ومن أبرز أعمال نابليون الثالث أنه عمل على تهدئة الأوضاع وبث في الشعب الجزائري الثقة بفرنسا المحتلة والتفاؤل تحت رايتها . فما كان على نابليون الا أن يعلن أنه امبراطور العرب كذلك وأن الجزائر ليست مستعمرة انما هي جزء من فرنسا . . وهذه أهم نقطة يشار اليها في سياسة " نابليون الثالث " انه وجه كل جهوده من أجل " الجزائر الفرنسية " وكان لذلك انعكاس سيئ على التعليم الاسلامي حيث ضيق الخناق عليه بل خلع تماما من بين أيدي أبنائه القائمين عليه ليصبح في أيدي الوزارة الحربية الفرنسية . فأصبحت هي المسؤولة على تسيير شئونه .

ومن جملة الأساليب القاضية على التعليم الاسلامي التي برزت أثناء فترة الحاكم نابليون الثالث " التبشير المسيحي " . وقد اقتضت هذه الخطة الجديدة تكوين هيئة خاصة وزعت على اثرها المسئولية حيث تولى البعض منهم مهمة المؤسسات الصحية

والبعض الآخر اهتم بالمؤسسات التعليمية فقد تم توغلهم داخل المدارس بصفة الصديق الوفي . أخذوا يجذبون أبناء المسلمين اليهم بشتى أساليب الاغراء مستغلين الضروف القاسية التي كانت تمر بها البلاد من مجاعة وأمراض معدية . .

وكانت المرأة الجزائرية المسلمة العنصر الرئيسي الذي وجهوا اليه جل طاقاتهم الى أن تمكنوا منها . فكانت حينئذ هي الخسارة الكبرى التي ابتلي بها التعليم الاسلامي حين أخذ يفرمنه " نصف مجتمعه " و " صانع أجياله " .

الفصل الرابع

(أساليب فرنسا في القضاء على التعليم الاسلامي)

ـ مصير مؤسسات التعليم الاسلامي :=

تلعب المؤسسات التعليمية في البلاد الاسلامية دورا رئيسيا في التعريف بالفكر الاسلامي ونشره وتطبيقه الا أن هذه المؤسسات قد انخفضت فعاليتها وحددت أدوارها من قبل الاستعمار الذي سيطر على الجزائر المسلمة سنين طويلة . لذلك فقد عنى هذا المبحث بتوضيح العوامل السلبية وتأثيرها في هذه المؤسسات أثناء فترة الاحتلال الفرنسي التي تمثلت في المساجد والمدارس والكتاتيب والزوايا .

أ ـ المساجد :

" في هذا الوطن الجزائري شعب عربي مسلم ،ذو ميراث روحي عريق وهو " الاسلام " وآدابه و أخلاقه ،وذو ميراث مادي ،شاده أسلافه لحفظ ذلك التراث وهو المساجد بهيا كلها وأوقافها "[1] الشيخ الابراهيمي .

كثرت الكتابات عن المساجد بالجزائر في ظل الاحتلال الفرنسي ،نظرا لشدة معاناة هذه الأخيرة فلم تسلم منها المباني ولا الموظفين ولا القائمين على شؤونها ،أما المباني فخربوها ،كشفوا جدرانها ،أخذوا ما يؤخذ منها ،من زخرفة مرمارية ثمينة ،اعتدوا على أمكنة الصلاة سرقوا منها السجاجيد القيمة والمنابر المنقوشة الفخمة ، اعتدوا على المصلين قتلوا منهم ما شاؤوا ،فارتوت بيوت الله بدماء المسلمين الابرياء .

انهم المعمرون ،قوم ظالمون تراهم يسخرون من دين الله عزوجل ،يدخلون رجالا وأناثا الى مساجد الله في مظهرهم الغير اللائق بحرمتها ،يسمعون المسلم أنواع الشتائم وشتى أنواع الكلم السيء العديم الخلق ،يدوسون أرض المسجد بأحذيتهم النجسة كثيرا ما تتبعهم كلابهم في " نزهتهم "هذه .

وقد هدمت الكثير من المساجد ،فأصبحت أمكنتها أسواقا وشوارعا للمارة ،ولا غريب في ذلك . .. هكذا يفعل المحتل الغاصب ،ببيوت الله أينما وجد ،ألسنا نذكر فلسطين الشقيقة وما تعانيه من بطش اليهود المحتلين ؟ ألسنا نسمع أنين المسجد الاقصى ودعوته " اللهم اني مغلوب فانتصر " .

---

(١) الجزائر ـ وزارة الأصالة ـ " الأصالة ـ عدد١٤ ـ ١٥ مقال الابراهيمي ص٢٧٦ .

لقد شرع الفرنسيون منذ اللحظة الأولى من تاريخ احتلال الجزائر الى تحويل بعض المساجد الى كنائس بدعوى أن المعمر بحاجة الى معابد خاصة به ،وبمثل هذه الاقتراءات تم تحويل عددا من بيوت الله الى مستشفيات ومصحات ومحطات للقطار والبعض الآخر أصبح فنادق للمسافرين .

لم يقم الفرنسيون بهذه الأعمال عبثا لوقتهم ، وانما كانوا على يقين تام بالدور العظيم الذى يلعبه المسجد وسط المجتمع الاسلامى ،لم يكن المعمر يجهل تلك المسئولية الكبيرة التي تحمل المساجد في شتى الميادين وبالأخص ميدان التربية والتعليم الاسلامى .

فالمسجد في النظام الاجتماعي الاسلامي يعنى "كل موضع يتعبد فيه المسلم فهو مسجد"(١). ولا يمكن تحديد معنى العبادة بالصلاة فقط ، فالمسجد ليس مجرد مصلى .. انما هو مركز تدارس القرآن الكريم وفهم علومه وتشريعاته ومركز لسماع السنة النبوية والمواعظ المحمدية وعدا اوقات الصلاة الخمس ،فالمسجد مؤسسة ثقافية عظيمة تتحدد وظيفتها في تكوين الفكر.(٢)

لقد صور لنا الرحالة الغربيون هذه الظاهرة في صورة واضحة تبين لنا المسلمين الجزائريين بمساجدهم اما مؤدين صلاتهم أو في حلقات دراسية بزوايا المسجد ، وكان هذا المنظر يثير الدهشة وكل معاني الاعجاب لدى أبناء الفرنسيين ، الا أن الحكومة الاستعمارية رأت في ذلك الخطر بعينه على مستقبل هؤلاء ، وكثيرا ماثارت عصبيتها النصرانية ، ويظهر ذلك من تصاعد الاعتداءات على المساجد وموظفيها ،فهدموا وسلبوا وقتلوا مابدا لهم من موظفيها الأبرياء .

ويعود بنا أحد الرحالة الألمان وهو "فاغنر" يصف لنا المساجد في شهر الصيام .

---

(١) المملكة السعودية - وزارة الحج والأوقاف - التضامن الاسلامى - مقال : حسن محمد باجوده - ج٣ ، رمضان ١٤٠٦هـ - ص : ٥٧ .

(٢) الرفاعي أحمد - مقالات في الدعوة للامام الشيخ العربى التبسي - ط ١ - ١٩٨٤م - قسنطينة - ص ١٨ .

يقول " فاغنر " أن المسلمين لا يمنعون أحدا من الدخول الى مساجدهم الا أن على الزوار أن يخلعوا أحذيتهم حفاظا على طهارة المكان . . وفي شهر رمضان تضاء عدة مصابيح بالجامع الكبير . . وفي وصفه للصلاة يقول " فاغنر " . . " يؤم الناس فيها شيخ الاسلام . . فالمسلمون يصطفون خلف الامام دون أن يقيموا وزنا للأصل والنسب ، فهناك الحضر والأتراك والكراغلة والعرب والقبائل والبسكريين (*) والزنوج " .

أما عدد المساجد الذى وجد في عهد اقامة " فاغنر " الرحالة الألماني فهي تقدر بحوالى تسعة وثلاثون ، دائما مكتظة بالمصلين . (١)

وكل يوم يمر وتزداد وحشية المعمرين ضد سكان المدن والقرى وتشتد ضرباتهم على الدين الاسلامي ومؤسساته ، الأمر الذى دفع بالأهالي الى الانسحاب نحو المناطق الصحراوية القاحلة والجبال الجرداء واضطهادهم من ديارهم جعل الكثير منهم لا يفكر في تعليم أبنائه .

ونتج عن ذلك قلة المصلين بمساجد القطر الجزائرى على وجه العموم اذ أنهم من جهة أصبحوا يخشون بطش العدو ومن جهة ثانية لا يجدون أين يصلون الجماعة . وليس هناك وسائل يسمعون بها نداء الصلاة ولا التى يتأهل بها المصلى لاقامة الصلوات . (٢)

وقد أشار الشيخ الامام التبسي رحمه الله في احدى مقالاته الى مدينة " باتنا " عاصمة لاحدى دوائر القطر الجزائرى ، تبعد بحوالي ٤٠٠ كم عن الجزائر العاصمة ، " لقد عاشت باتنة المسلمة زهاء قرن وليس بها مسجد ومنذ مايزيد على الثلاثين سنة ، فشكلت فيها جمعية دينية قاست الأمرين فى سبيل بقائها وتولت بناء مسجد

(*) البسكريين وهم سكان بسكرة . انظر الخريطة

(١) دودو أبوالعيد - الجزائر في مؤلفات الرحالة الألمان : ١٨٢٠-١٨٥٥م) - ١٩٧٥م ، ص ٧٥ - ٧٨ .

(٢) الرفاعى أحمد " مقالات في الدعوة " للشيخ الامام التبسى - مرجع سابق : ص ١٠٧ .

صغير مجهز بأرقى الوسائل[١].

ان الحكومة الفرنسية لم تتراجع في سياستها نحو المساجد بعد أن أعلنت عن القرار الخاص بالأوقاف الذى مكنها من الاستيلاء على عدد ضخم من المال كان ينفق على مائة وخمسة عشر مسجدا منها خمسة عشر جامعا كبيرا[٢]، قامت سلطات الاحتلال وفقا لسياستها التوسعية بهدم الكثير من هذه المساجد فى شتى أنحاء القطر الجزائرى اما لتوسيع الشوارع أو لاقامة بنايات جديدة في محلها ،ومن شهادة أحد الرحالة الغربيين[٣] أن دناءة المعمرين تجلت بوضوح في فتح القبور والأضرحة الجميلة بحثا عن الأموال أو فى سبيل التسلية فقط.

وهناك عدد كبير من المساجد التى فقدت وظيفتها الأصلية بل لم يبق منها سوى المبنى قائما ،البعض منها أصبح مسرحا والآخر مخزنا للتبن أو ثكنة تضم الذخيرة من الأسلحة الفرنسية ،وبعض المساجد تم تحويلها الى كنائس مابين يوم وليلة ،وقد علق " فاغنر " الألماني على هذه الوحشية العنصرية بقوله : " هكذا اعتدت فرنسا على حرمات المسلمين وذلك مالن يغفره لها الجزائريون ولن ينسوه أبدا[٤]".

و في قول الشاعر العربى : أبى البقاء الرندى " خير وصف :

" حتى المساجد قد صارت كنائس ما .·. فيهن الا نواقيس وصلبان

حتى المحاريب تبكى وهي جامدة .·. حتى المنابر ترثى وهي عيدان[٥]".

---

(١) " الرفاعى أحمد - مقالات فى الدعوة للشيخ الامام التبسي - مرجع سابق : ص١٠٨.

(٢، ٣) دودو أبو العيد - الجزائر في مؤلفات الرحالة الألمان - المرجع السابق ، ص ٣٣ - ٣٦.

(٤) نفس المرجع بنفس الصفحة .

(٥) الجزائر - وزارة التعليم الأصلى - الاصالة - عدد ١٤ - ١٥ - مقال : الطاهر بوشوشي : ص ٢٩٩.

ولنا في مسجد "كتشاوة" في عاصمة الجزائر أحسن مثال عن تصرف ادارة المعمرين ازاء المساجد .

مسجد كتشـــاوة :

" شيده حسن باشا سنة ١٧٩٤م، مسجد " رائع البنيان على نمط مسجد "السيدة" الذى كان يقابل الجنينة في ساحة الحكومة (أى ساحة الشهداء اليوم) ، فهو المسجد الجامع الذى حطمته الدولة الفرنسية بعد الاحتلال بسنتين فقط يوم ١٨ / ١٢ / ١٨٣٢" (١)

ومن الكتاب من حدد اليوم بـ: ٢٤ / ١٢ / ١٨٣٢م على أساس أنه يوم اختاره "كولان" بمناسبة عيد ميلاد المسيح (النويل) ، مهما كان الأمر فالمهم أن قوات العدو اقتحمت المسجد ابان منتصف الليل ، فتحت الأبواب وهرع خلق كثير من الناس ، دخلـــوه ، فقد أصبح "كنيسة" ملكا لهم ، كانوا فارحين مهللين كأنه يوم نصر وقد عبر أحدهم عن فرحته الغامرة وفرحة أعداء الله فى ذلك اليوم بقوله :

" ان الجيوش الفرنسية عندما نزلت في "سيدى فرج" يوم ١٤ جوان ١٨٣٠م قد اطلع الله بها من جديد شمس الانجيل على هذا البلد الافريقى" (٢) .

ومما ذكره المؤرخون المنصفون أن السلطة الاستعمارية استعملت في احتلالهـــا لهذا المسجد العتيق الحديد والنار ، جعلت الجنود الفرنسيين يندفعون علـــى المصلين بالسكاكين فقتل فيه من قتل وأرضخ من أرضخ تحـــت نعـــال الجنـد (٣) ولـــم نجـــد ذلـــك لـــدى الكتـــاب الفرنسيين بل لقد ادعى بعضهم أن الاستيلاء الفرنسى على مسجد "كتشاوة" تـــم

---

(١) الجيلالي عبد الرحمن - تاريخ الجزائر العام - ج٣ ط ٢ - ١٩٨٣ - دار الثقافة : ص ٥٢٩ .

(٢) الاصالة ، عدد ١٤ - ١٥ ، مقال الطاهر بوشوشى مرجع سابق ص ٢٩٧ .

(٣) الجيلالي عبد الرحمن - تاريخ الجزائر العام - مرجع سابق ص ٥٢٩ .

بموافقة المسلمين وقيل أن مفتي الجزائر كتب رسالة للوالي العام على الجزائر " الدوق دي روفيقو " آنذاك يقول فيها : " لئن تحولت الشعائر في مسجدنا فان ربه لم يتحول وقد كان في استطاعتكم أن تأخذوه قسرا لكنكم فضلتم الطلب على القوة وهذا مظهر من مظاهر التسامح هيهات أن ننساه[1] ".

والقارئ لهذه الكلمات يلاحظ لأول وهلة أنها رسالة مزعومة ، اما مكذوبة أو غير موجودة .

اعتقد أن مثل هذه الكلمات لا يمكن أن تلصق بمفتي الجزائر ونحن في ١٨٣٢م ، أي سنتين فقط بعد الاحتلال ، فالاستعمار لم يؤثر بعد على أعضاء السلك الديني مثل الأئمة والقضاة وشيوخ الطرقية . . اهتمام السلطات آنذاك كان موجها كلية نحو الاستيلاء المادي فقط من أعمال نهب وتخريب الأموال والأراضي والمؤسسات .

والسؤال المطروح هو : لماذا تأخرت سلطات الاحتلال في رفع " الصليب " على رأس الكاتدرالية لمدة سبع سنوات كاملة بعد احتلالها المسجد[2] !

لم يكن الجواب نسيا أو تهاونا وانما تخوفا شديدا من غضب الأهالي المسلمين ، فهي " القصبة " العتيق بالجزائر العاصمة ، لازال قائما ليشهد على أن أول مابدأ به الحكام الفرنسيون لدى دخولهم الجزائر سنة ١٨٣٠م هو رفع " الصليب " على أعلى بنايه مشرفة ، كانت هذه البناية هي مسجد " القصبة " القديم ، حيث أطن " الكونت " دي بورمون " للملأ " أن الصليب لابد أن يأخذ نصيبه الآخر من الانتصار العسكري المبين[3] .

لم تقتصر الاعتداءات الاستعمارية على مساجد العاصمة فحسب وانما شملت معظم المساجد بالقطر الجزائري ، فهكذا وقع لجامع " حسن باي " بقسنطينة اذ صير

(١ ، ٢) الأصالة ، عدد ١٤ - ١٥ - مقال الطاهر بوشوشي مرجع سابق ص ٢٩٥ .

(٣) الاصالة - نفس المرجع (عدد ١٤ - ١٥) : ص ٢٩٥ .

المعمرون بهذه المدينة على اختيار أجمل المساجد بها لتحويلها الى كنائس.(١)

ومساجد القطر الجزائري تتحلى بالفن المعماري الرائع اذ كان المهندسون الجزائريون يبذلون أقصى جهدهم في بنائها وفي زخرفتها البديعة الا أنه لم يبق منها في عهد الاحتلال الا القلة القليلة ،وقد أدى هذا الأمر بالشعب الجزائري أن يطالب حكومة الاحتلال بفصل الدين الاسلامي عن الدولة الفرنسية المسيحية وتم صدور قانون سنة ١٩٠٥م يقضي فصل الدين عن الدولة ،واستثنت الطائفتان النصرانية واليهودية منذ ذلك العهد الا أن القرار لم يطبق على المسلمين ،لا تزال الحكومة الفرنسية تتدخل في شؤون المساجد من أوقاف وموظفين حتى اضطر المسلمون لمقاطعة المساجد الحكومية وأخذوا ينشئون مساجد لأنفسهم ، حرة ،بناها الشعب بنفقاته الخاصة ،منها مساجد فخمة ، تعد من تحف الفن المعماري الاسلامي ،بلغت تكاليف بعضها نحو الخمسين مليون فرنك.(٢)

كانت المساجد الجزائرية شعلة في النشاط ،فيها يتلقى الطفل مبادئه الأولى للتعليم العربي الاسلامي ،كانت قاعة مقام المدرسة الابتدائية تهيء التلميذ لدخول مؤسسات التعليم العالي آنذاك الى جانب المهام التربوية الأخرى الى أن تدخلت سلطات الاحتلال بغرض قرارها الحكومي لسنة ١٨٩٨م بنص هذا الأخير على تعيين ٣٣ مدرسا متخرجين من القسم العالي بالمدرسة الثعالبية بالعاصمة ، يعلمون أبناء الشعب في ٣٣ بلدة من بلدان الجزائر الكبرى وبأكبر مسجد من مساجدها .والشطر الأساسي أن تقتصر المواد التعليمية على النحو والفقه والتوحيد .

وقد تصرفت ادارة الاحتلال في اختيار المدرسين الذين لم تتوفر فيهم شروط الكفاءة أو شروط الاخلاص والوفاء للرسالة المقدسة نحو وطنهم ، هؤلاء يتخذون

---

(١) الجيلالي عبد الرحمن - تاريخ الجزائر العام - نفس المرجع :ص ٢٥٥.

(٢) القاضي الجزائري - الجزائر عبر الأجيال - ص : ٣٥٥ - ٣٥٦.

الوظيفة وسيلة لنشر أفكارهم الموالية للفرنسيين والتجسس على أفراد الشعب ، ولنا في ذلك شهادة للسيد " برك " الفرنسي في مقال نشر بعد موته قال فيه : " لقد وصل بنا امتهان واحتقار الدين الاسلامي الى درجة أننا أصبحنا لا نأذن بتسمية المفتي أو الامام الا من بين الذين اجتازوا سائر درجات التجسس ولا يمكن لموظف ديني أن ينال أي رقي الا اذا ما أظهر للادارة الفرنسية اخلاصا منقطع النظير "(١).

وقد بدأ دور المسجد يتقلص شيئا فشيئا ، ألغيت الحلقات والمحاضرات العامة التي من شأنها اثارة الحمية الاسلامية ، أما اللغة العربية وعلومها ودروس الفقه وأصوله . . فلم يبق لها أثر في المساجد ماعدا بعض الدروس الهزيلة "(٢).

لم تطمع الأمة الجزائرية في اصلاح وضعية مساجدها ، وكيف يكون ذلك يا ترى وعلماؤها تحت السيطرة الاستعمارية بل الكثير منهم في الغفلة واللامبالاة !

" لن يصلح المسلمون حتى يصلح علماؤهم فانما العلماء من الأمة بمثابة القلب اذا صلح تعليمهم فالتعليم هو الذي يطبع المتعلم بالطابع الذي عليه في مستقبل حياته "(٣).

انه منهج حياة ! انه نداء الى أبناء الأمة الاسلامية من أجل الاصلاح والاستقامة من الشيخ عبد الحميد بن باديس بعد سنوات طويلة من الاحتلال .

صيانة المساجد :

مع مرور الأيام ووضع المجتمع الجزائري على هذه الحالة من الظلم والذل ازداد فقرا ويأسا ، فأصبحت وضعية المساجد في حالة من التدهور المستمر خاصة

---

(١) القاضي الجزائري - الجزائر عبر الأجيال - ص : ٣٥٥ / ٣٥٦ .

(٢) خوجة حمدان بن عثمان - " المرآة " - ترجمة العربي الزبيري - ص : ٢٨ .

(٣) وزارة الشئون الدينية - " مجالس التذكير من حديث البشير النذير للامام المصلح الشيخ ابن باديس " ، ط ١ - ١٩٨٣م - الجزائر - ص : ١٤ .

وأن الحكومة الاستعمارية تكره للأغنياء أن يساهموا في بناء المساجد أو أن يمدوا بيوت الله بالعون المادي فتصلح من حالها ،وكانت النتيجة أن انصرف المسلمون عن الاعتناء بمؤسساتهم الدينية ،فلم يفكروا في اصلاحها ،أهملت البناء وشوهت مظاهرها الفنية التي كانت مفخرة الحضارة الاسلامية بالجزائر ،وقد تخلى الأهالي عن سد احتياجات المساجد من تصليح المراحيض وادخال المياه اليها كذلك بالنسبة لمجاجيد الصلاة ،لم تعوض .

وليس من الغريب أن تصل حالة المساجد الى هذه الدرجة من البؤس والاهمال والاستعمار قد استولى على مواردها الأساسية من حبوس وأوقاف .

ب - المدارس :-

" المدرسة جنة الدنيا وكل شعب لا تبنى له المدارس تبنى له السجون "(١).

الشيخ الابراهيمي

فالمدرسة هي بحق منبع يشرب منه الظمآن مايحلو له من العلم والمعرفة . فهي أساس يشيد عليه البناء ، فان صلح تكوينه ، استقام بناؤه وكتب له العمر الطويل .

لقد عرفها الحكام الفرنسيين ، منهم " جول فيرى " وزير التربية والتعليم الفرنسي ، سنة ١٨٨٣م في صورة تتجلى من خلالها نواياهم الخبيثة وأهدافهم الخطيرة . يقول " جول فيرى " : -

" المدرسة ، سلاح ماض في التغلب على الروح الوطنية الجزائرية التي أدت الى اشعال الثورات المتوالية وجعلت الجزائر بالنسبة لنا جحيما لا يطاق "(٢). حقا لقد سلك

---

(١) بوصفصاف عبد الكريم - جمعية العلماء .. ط ١ - ١٩٨١م :ص ١٤٩ .

(٢) مصطفى محمد طحان - القيادة في العمل الاسلامي - ج٢ ص ١٢٤ .

الاستعمار طريقا الى التغريب ، فتغلغل في جميع الميادين ، شمل السلوك الفردى والجماعى ، استعان على ذلك بالمناهج الدراسية والجرائد والمجلات والمؤتمرات العامة التي توجه الفكر الاسلامي .

فلم تكتف الحكومة الفرنسية بغلق العديد من المدارس واعتقال مدرسيها وانما هدمت أكبر عدد منها نهائيا واستبدلتها بمدارس فرنسية - مسيحية راقية مادياً .

ولنستمع الى النائب الفرنسي " طوكفيل " عام ١٨٤٧م وهو واحد من القلة القليلة التي تأسفت للوضع الذى أصبح عليه التعليم الاسلامي في ظل الحضارة والمدنية الفرنسية التى يدعونها ، يقول " طوكفيل " : وخربنا المدارس فهوت دعائم العرفان وشتتنا شمل الزوايا ، لقد انطفأت في الجزائر مشاعل العلم وأهملنا العلماء والفقهاء المسلمين فصاروا قوما بورا ، وقذفنا بالمسلمين في البؤس والجوع فأصبحوا ينادون ويلا وثبورا ، ثم رمينا بهم في حالة أكثر همجية مما كانوا عليها فسخطوا علينا سخطا كبيرا "(١) .

لقد كان وصول الفرنسيين الى الجزائر بمثابة السكين الطاعنة في قلب التعليم الاسلامي ، اذ منذ فجر الاحتلال والمدارس مثل سائر المؤسسات التعليمية تعاني من شتى أنواع الاضطهاد والمضايقات ، وما يذكر أن حوالي ألف مدرسة ابتدائية وثانوية وعالية أغلقت من طرف الادارة الاستعمارية سنة ١٨٣٠م .(٢)

ان هذه النكسة التي لحقت المؤسسات التعليمية من طرف العدو الفرنسي قد أثرت يأسا في قلوب أبناء هذا الوطن من علماء ومدرسين وطلاب علم فتشتت العدد الكبير منهم وترك أغلب العلماء مناصبهم انتقلت الوظائف التعليمية الى أيدى الطامعين الذين أصبحوا يحولون مصاريف الأوقاف لجيوبهم .(٣)

---

(١) مصطفى محمد طحان - القيادة في العمل الاسلامي - جـ٢ ص ١٥٧ .

(٢) محمود قاسم - الامام عبد الحميد بن باديس ، ط ٢ ، دار المعارف ، ١٩٦٧م - القاهرة : ص ٧ .

(٣) الجيلالي عبد الرحمن - تاريخ الجزائر العام : جـ٣ ص ٥٣٥ .

في حين اتخذت الصليبية قناعا آخر، وفتحت لها واجهات أخرى ودفعت بهجوم شديد على مراكز التعليم الاسلامي، ضيقت الخناق عليها، ولاحقت هذا التعليم في داخل المدارس الحرة، وقد تبنت الكنيسة الخطة الاجرامية التي تهدف الى القضاء على الوجود الاسلامي في الجزائر.

وفي سنة ١٨٨٣م أسس الفرنسيون عددا من المدارس الابتدائية والمتوسطة الخاصة بأبنائهم وبعض أبناء البرجوازية الجزائرية في محاولة لاستمالتها والتقرب منها، كما ادخلت مادة اللغة العربية ضمن البرامج الدراسية في بعض المدارس الحكومية بمدينة تلمسان والجزائر العاصمة ومدينة قسنطينة، وكونت هيئة التدريس من مستشرقين فرنسيين يتقنون اللغة العربية ولكنها مجردة من ثوبها الذي يحوى كل أسرارها، بل لا يعرفون منها سوى الأشعار والأمثال، فصدق من قال: "كانوا يعلمون العربية بالفرنسية"(١).

وما ان أضحت سنة ١٨٩٢م حتى أنشأت فرنسا نوعين مختلفين من التعليم، تعليم أوربي راق خاص بالأوربيين لتأكيد سيادتهم على العنصر العربي.

أما النوع الثاني من التعليم فهو تعليم فقير مخصص للأهالي، وقد ادعت السلطات الفرنسية بأنه تعليم يهدف الى الحفاظ على اصالة المجتمع الجزائري وقيمه وتقاليده وقد اقتصرت مناهجه على اللغة والدين وبعض الدراسات الزراعية والأعمال اليدوية(٢).

ولكن الحقد الدفين الذي تكنه ادارة الاحتلال للأمة الاسلامية جعلها تعترض سبيل تعليم هذه "الكمشة"* من أبناء الوطن النجباء، الأمر الذي جعلها تتراجع في قراراتها حيث انعقد مؤتمر المستعمرين بالجزائر - سنة ١٩٠٨م، أعرب فيه المعمرون عن رغبتهم في الغاء التعليم الابتدائي لهؤلاء التلاميذ الغاء نهائيا، ومن

---

(١) الجزائر - وزارة الثقافة - الثقافة عدد ٧٩ - مقال د/ سعد الله أبو القاسم، ص: ٦٦.

(٢) مرسي محمد منير - التعليم العام في البلاد العربية، ط ٢، ١٩٧٤م - القاهرة، ص: ١٢٩.

* الجماعة

الملاحظ أن " عدد الطلاب المسلمين الجزائريين المقبولين في المدارس آنذاك لم يكن يتجاوز ٤١ ألف طفل من أصل ١٫٧٨١٫٠٠٠ طفل كانوا في سن الدراسة "[١].

لقد كان التلميذ الجزائري يقضي حياته التعليمية متخبطا بين الهدوء والرضى وبين السخط والرفض ، انه فريسة القرارات الاستعمارية التي تتقلب وفقا لما تقتضيه سياسة كل حاكم يدخل البلاد ، يتسلم فيها مقاليد الحكم والسلطان .

رغم قلة المقاعد المخصصة لأبناء الوطن ورغم الصعوبات والشروط القاسية على قبولهم وتسجيلهم ، فذلك كله لم يمنع من بروز فئة من طلبة متفوقين وعلماء جزائريين في ذلك العهد ، حملوا لواء العلم والمعرفة عبر العالم باسم الجزائر الاسلامية . فأصبحوا علماء يعتز بهم عبر العالم .

وقد يعرف " العالم " في اللغة " بالشخص المتصف بالعلم "[٢]، ومن الكتاب من[٣] حدد معنى " العلماء " بالنسبة للجزائر بـ" نخبة من الجزائريين المثقفين الذين بالرغم من تعليمهم العربي وتوجيههم الاسلامي أصبحوا هادفين بشكل واضح سياسيا ووطنيا " .

في مثل هذا التعريف ليس تضييقا للمجموعة الكبيرة من العلماء الجزائريين فحسب وانما كذلك طردا للعديد منهم خارج حدود هذه المجموعة ، اعتقد على كل حال لا التعليم العربي ولا التوجيه الاسلامي يمنعان العالم أن يكون له أهداف سياسية ووطنية هذا من جهة ، ومن جهة ثانية أنه لم يكن علماء الجزائر كلهم أصحاب هدف سياسي ووطني واضح " ان بالجزائر علماء أجلاء كرسوا حياتهم في سبيل العلم تعلما وتعليما ، فنالوا منه الدرجات العليا لا يمكن غض النظر عنهم ، ولنا في ذلك الشيخ العلامة : محمد بن أبي شنب "[٤].

---

(١) العسلي بسام - الله أكبر وانطلقت الثورة - دار النفائس . ط ١ ، ١٩٨٢م - بيروت - ص ٤٢ .

(٢) معلوم يوسف - منجد اللغة . ص: ٥٢٧ .

(٣) أبو القاسم سعد الله - الحركة الوطنية الجزائرية : ج٢ ط٢ ، ١٩٧٧ / ص٤٢٨

(٤) الجيلالي عبد الرحمن - محمد بن أبي شنب - الجزائر - ١٩٨٣م / ص٨ ١ .

في هذه الصدد نذكر بعضا من حياة هذا العلامة ،ففي ذلك ذكر لبعض المدارس الموجودة آنذاك وأنموذج من المناهج الدراسية الخاصة بهذه الفترة التاريخية .

ولد محمد بن أبي شنب سنة ١٨٦٩م ،بمدينة المدية (تبعد بحوالي ٨٠كم عن العاصمة) ، قرية تاكبو ،التحق بالمكتب القرآني ودرس عن شيخه أحمد بارماق من علماء المدية ، حفظ القرآن الكريم ، تعلم اللغة الفرنسية بالمدرسة الابتدائية بالمدية الى أن حصل على شهادته فارتقى بها الى " الكوليج " وهي المدرسة المتوسطة حاليا - تضم أربع سنوات من الدراسة بعد الشهادة الابتدائية - فتخرج منها مع مبادئ جيدة في العلوم المختلفة كالتاريخ والجغرافية والحكمة والحساب والطبيعيات وغيرها . .وقد تقدم الى الجامعة الجزائرية - الفرنسية فنال منها الشهادة في اللغة العربية - دبلوم آراب وذلك في يوم ١٩ جوان ١٨٩٤م ،وفي نفس السنة ناب عن الشيخ أبي القاسم ابن سديرة في دروسه العربية بالجامعة ،فمكث فيها عاما كله ،حينئذ تقدم للمدرسة العليا وهي الثانوية حاليا - Lycée لأخذ اللغة الايطالية وعلوم البلاغة والمنطق .

وفي سنة ١٨٩٦م دخل في سلك طلبة " البكالوريا " فحصل على شهادتها الأولى واتجه نحو تحضير دروس الفلسفة والمنطق . . ولى وجهه نحو درس اللغة الأسبانية والألمانية واللاتينية . . وأخذ الفارسية عن أجداده وأسلافه (التركية) أخذ كذلك " العبرانية " !

وفي سنة ١٨٩٨م عين أستاذا بالمدرسة الكتانية في مدينة قسنطينة وقد عين مدرسا بالمدرسة الثعالبية بالعاصمة سنة ١٩٠١م يدرس بها اللغة والنحو والصرف والمنطق والعروض والبيان وغيرها .

وفي سنة ١٩٢٠م انتخبه المجمع العلمي العربي بدمشق (الشام) عضوا به وبقي مهتما ببحوثه اللغوية والأدبية والتاريخية في مجلته العلمية . . وفي هذه السنة تقدم بتأليف كتابين قيمين نال بهما درجة الدكتوراه . .

انها حياة العالم الجليل " محمد بن أبي شنب " المشهور لدى أبناء الجزائر، انها حياة حافلة بالعلم والمعرفة ، نال من خلالها اعجابا لا مثيل له في العالمي العربي والغربي معا ، قد كشفت لنا حياته عن نوعية الدراسة العربية في المدارس الفرنسية وأشهر المدارس في ذلك الحين هي المدرسة الثعالبية بالعاصمة والمدرسة الكتانية بمدينة قسنطينة ، وأول مايلتحق به التلميذ الجزائري هو الكتاب القرآني ، ومن الملاحظ أن المناهج الدراسية كانت مجردة من الطابع الديني الاسلامي .

يعتبر محمد بن أبي شنب من القلة القليلة التي ساعدها الحظ للانضمام الى الصفوف الدراسية ومن المجموعة الصغيرة التي تمكنت من مواصلة مسيراتها التعليمية ، فقد كان الشيخ محمد بن أبي شنب مجالا للنقد من طرف بعض الكتاب الجزائريين ، وورد ذكر الشيخ الجليل لدى البعض منهم ، ضمن الجماعة الموالية لحكومة الاحتلال .

أعتقد ، - والله أعلم - ، أن الشيخ محمد بن أبي شنب كان رجلا ساعيا من أجل العلم انه لم يدع في يوم ما الى يقظة شعبية ولا الى ثورة ضد المعمرين الغزاة ولا الى مساندة فرنسا الاستعمارية بل كل مايعرف عنه أنه كان بحرا من العلم ، يحب العلم ويخدم العلم فقط !

لم يكن كل الجزائريين خريجي المدرسة الفرنسية في مثل صورة محمد بن أبي شنب بل الكثيرون تشبعوا بمفاهيم فرنسا فانقلبوا موالين لها !

لقد ظلت فرنسا الاستعمارية بالجزائر تحارب وجود المدارس الخاصة بالتعليم الاسلامي ، كانت الجيوش الغازية عند عبورها المدن أو القرى ، تتجه الى مدارسها تحولها الى ثكنات لاقامتهم ، وكثيرا مايطلع الفجر والمدارس قد ازيل أثرها ، وقد استبدلها الغزاة بفنادق تأوي القادة العسكريين !

جـ ـ الكتاتيـــــب :-

الكتـــاب هـو المكـان الـذى يتلقـى فيـه الأطفـال تعليما قرآنيـا ، وفـى الحقيقـة لولا هـذا التعليـم القرآنـى لانعـدم التعليـم الاسلامـى بالجزائـر المحتلـة ،لقـد كانـت الكتاتيـب مثـل غيرهـا مـن مؤسـسات التعليـم الاسلامـى، شعلـة مـن النشـاط ممـا جعلهـا محـل الاهتمـام البالـغ مـن طرف سلطات الاحتـلال ،فان كانـت ادارة الاحـتلال لا تمانـع فـى وجـود الكتاتيـب ائتناعـا مباشـرا فالكتاتيـب كغيرهـا مـن المؤسـسات التعليميـة الجزائريـة لـم تسلـم مـن قراراتهـا ولا مـن عداوتهـا للديـن الحنيـف .

وهكـذا فرضـت ادارة الاحتـلال ترخيصـا تمنحـه سلطـات الاحتـلال وفقـا لشـروط قاسيـة . لـم يكـن هـذا الترخيـص فـى يـوم مـا مبنيـا علـى أسـاس الدرجـة العلميـة لـدى المعلـم ولـم يكـن هـذا الترخيـص مبنيـا علـى أسـاس مكـارم الأخـلاق والفضيلـة التـى يجـب أن يتحلـى بهـا كـل معلـم، انمـا هـو ترخيـص لا يمنـح الا بعـد تقييـم المعلـم علـى أسـاس مـدى تقديمـه مـن خدمـات لصالـح المستعمـر ومـدى اخـلاصـه لهـم .

واعتبارا لهـذا القـرار بـدأ التعليـم القرآنـى فـى الكتاتيـب يتراجـع ،أصبـح عـدد الشيـوخ المرضـى عنهـم قلـة نادرة ،لـم تكتف حكومة الاحتلال بذلك بـل اضطهدت الشيوخ فـى

كتاتيبهم : فاضطر البعض منهم اللجوء الى العمل السرى ، اتخذوا من بيوتهم أو محلاتهم كتابا لتعليم كتاب الله عز وجل لأبناء الوطن ، والقليل منهم من تحدى المعمر فعرض عليه وجوده وواصل رسالته .

د - الزوايا والصوفيون :

الزوايا :

لقد اجتهد الكثيرون فى تعريف الزاوية تعريفا شاملا متكاملا بدون نقص من قيمتها ولا الحد من واجباتها ، ومنهم من مثلها بالدير التي تضم الأخوات المسيحيات انما هي خاصة بالمسلمين (١) ، وهؤلاء هم جماعة المتفنين بالثقافة الفرنسية ، الناشئين بين أيديها .

أما الصنف الأول من المؤلفين فهم الذين تلقوا تربيتهم في ظل مدارس التعليم الاسلامي ، فقد عبروا عن الزاوية " بمقر المرابط في حياته أو بعد مماته والتي يكون قد أسسها بنفسه أو أسست على ضريحه من بعده من طرف الأتباع . . وقد استمرت في التطور بأحداث وظائف جديدة لها الى أن استقرت وظائفها النهائية في العهد العثماني . . حيث جمعت بين العبادة والتعليم والتوجيه والحرب في وقت الخطر (٢) .

وقد تطرق الشيخ الجليل محمد البشير الابراهيمي رحمه الله الى تعريف الزاوية ، فاعتبرها " مراكز مشايخ الطرق الصوفية وقد كانت قبل الاستعمار الفرنسي تقوم بجانب من التعليم الديني والعربي ولكن الاستعمار سخرها حتى أصبح معظم القائمين عليها

---

(١) صوالح محمد - الاسلام والثورة الثقافية - قديما وحديثا - ١٩٣٤م صوبيرا الجزائر (بالفرنسية) : ص ١٣٣ .

(٢) فيلالي مختار الطاهر - نشأة المرابطين والطرق الصوفية وأغراضها في الجزائر خلال العهد العثماني ، ط١ ، باتنة - ١٩٧٦م - ص : ٤٧ .

مطاياه يرتكب الموبقات باسمهم(١).

فالزاوية اذا مؤسسة تعليمية اسلامية تابعة لاحدى الطرق الصوفية ، فاذا وجد شيخ الطريقة ، قائد الزاوية ، صالحا ، مستقيما ، صلحت الزاوية واستقامت وعادت بالخير على أهلها ، وفي هذه الحالة تصبح الزاوية بمثابة مدرسة للأطفال والشبان يتلقون فيها مختلف العلوم الدينية ، فهي كذلك مدرسة الكهول ، وبمثابة مسجد يؤدى فيه الشعائر الدينية ، والزاوية مؤسسة للتطوع من أجل مجاهدة النفس والشيطان وتطهيرها من أوساخ الدنيا وتزكيتها بالخصال الحميدة ، والزاوية مؤسسة اشعاع ديني تتكفل بتطور المجتمع ، وهي اعانة على الاهتداء الى الفضيلة والانسجام والوئام ، فكانت أيضا ملجأ يلجأ اليه أصحاب القضايا والخصومات والمشكلات التي يستعصي حلها على الأهالي فيجدون فيها النصيحة والوسيلة لحل مشاكلهم وارجاع الوئام والتآلف بين الأفراد والجماعات ، فالزاوية هي مؤسسة تفرغت أيضا الى الدعوة الاسلامية ودين الحق فبلغت بها جميع أنحاء افريقيا .

انه لمن الخطأ الكبير أن يتهم بعض المؤرخين الجماعة الصوفية جميعها ، بدون استثناء ، حملوها ذنب فئة من المنحلين الخرافيين أصحاب البدعة والضلال ، وقد ألصقت بهم أعمال الضالين المادين الذين تمكنت منهم ادارة الاحتلال فأغرتهم بالمال والسلطان والنفوذ ، أصبحوا أداة بل لعبة " تتوجه حيثما يوجهونها بأساليبهم الخبيثة " .

والصوفية هي كما عرفها ابن خلدون رحمه الله ، " تعني العكوف على العبادة والانقطاع الى الله تعالى والاعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة وكان ذلك عاما في الصحابة والسلف "(٢).

---

(١) ابراهيمي محمد البشير - عيون البصائر - سلسلة ٢ ط٢ ، ١٩٧٠م ، ص: ٢٤٤ .

(٢) فيلالي مختار الطاهر - نشأة المرابطين والطرق . . المرجع السابق ص: ١١ .

ولنا في الصوفية بمثل هذا المفهوم السليم والنقي ، رجالا عرفوا بالتقوى والـــورع ، قاموا بالأعمال البطولية حاملين راية الجهاد في سبيل اعلاء كلمة " لا اله الا اللـــه " من جديد في هذا الوطن الأبي ، اذكر على سبيل المثال " الطريقة القادرية التـــي ساهمـــت فـــي كفـــاح طويـــل ضـــد جيوش الغـــزاة الفرنسيين ، قدمت التضحيات الجسيمة ماديا ومعنويا ، صامدة في وجه العدو .

ولنا في " الطريقة الرحمانية " مثالا يضرب في الجهاد والتضحية تحت راية الاسلام يقول في هذا الصدد الفرنسي " شارل روبير آجرون " : " اننا سلفا نجد دائمـــا يد مرابطية - يعنى طرقية - وراء كل الانتفاضات التى يقوم بها الأهالي ضدنا "(١) .

فلو كانت الطرقية جميعها من صنع الاستعمار ، لما شهد لها هذا الفرنســـي والسياسى الخبير ، ومما يؤكد قوله هذا هو تلك الثورات التى قادها كل من " الشـــيخ المقراني " و " الشيخ بو مزراق " و " الشيخ الحداد " (١٢٨٨هـ / ١٨٧١م) وثـــورة أولاد سيدى الشيخ " وبو عمامة " بالجنوب الوهراني (١٢٩٨هـ - ١٨٨١م) وقبلهـــم " لا لا فاطمة " " بجبال جرجرة " (١٢٧٣هـ - ١٨٥٧م) والسنوسيون بالصحـــــراء (١٣٣٤هـ - ١٩١٦م) وكلهم من أتباع الطرق وأبناء الزوايا . .

---

(١) الجيلالي عبد الرحمن - تاريخ الجزائر العام : جـ٣ - المرجع الســـابق : ص : ٢٥٥ .

وكأنموذج لجماعة الطرقيين المعتدلين أذكر الشيخ " ابن الحداد " باعتباره من كبار الشيوخ المتصوفين :

ابن الحداد الصوفي وثورة ١٨٧١ م :-

يدعى " محمد امزيان بن علي بن الحداد " ويكنى " ابن الحداد " ولد في قرية صدوق سنة ١٧٩٠م، وتوفي سنة ١٨٧٣م ،ابن الحداد شيخ من كبار الشيوخ المتصوفين ،الا أنه يمتاز بتجنبه للبدع والخرافة ،وقد يشهد على نفسه بقوله :" ولقد رأيت كثيرا من الناس يعتقدون الولاية في غير أهلها وهم أهل البدعة الشنيعة كترك الصلاة ومنع الزكاة وترك الصوم والذكر وجميع أفعال البر وهم من أهل السحر والشعوذة والمكاشفة "(١).

وقد بين لنا الشيخ " ابن الحداد " ، حالة المسلمين الجزائريين في تلك الفترة حين اختلطت عليهم الأمور وكثرت حولهم القيود وازداد الخنق عليهم ،فانتشرت الفوضى والبعد عن الدين كما يقول " ابن الحداد " : " ان المسلمين ابتعدوا عن الحقيقة الاسلامية بعدا شديدا . . فيما يتعلق بالايمان فقد أصبح المسلمون — مقلدين تقليدا رديئا ،فلا يفرقون بين الرسول صلى الله عليه وسلم ومرسله ولا بين النبي عليه الصلاة والسلام وأصحابه . . يؤمنون بالولاية في بعض الأشجار والأحجار يحفظون القرآن الكريم بغير فهم . . وأما القرآن فقد أهمل العمل به أصلا . . فلا يحللون حلاله ولا يحرمون حرامه فيزعمون أنهم حملة القرآن "(٢).

انه كلام قيم ،بعيد المغزى . . فهو بمثابة الصورة الحية المعبرة على الواقع الذى وصل اليه المجتمع الجزائرى المسلم آنذاك ،فقد انحرف الناس وساءت

---

(١)، (٢) الجزائر- وزارة التعليم الأصلي ، عمار الطالبي -الاصالة عدد ٢ ، ربيع ١ - ١٣٩١هـ : ص ٣٥.

معتقداتهم ،فانتشرت البدع والانحرافات بجانب الانحلال الخلقي ، فقد أصبح الناس يؤمنون بالدجل ،كما يقول الشيخ " ابن الحداد " .

" اندرست رسومها لكثرة الجهل وغلبة أتباع الهوى فانقلبت السنة بدعة والبدعة سنة "(١).

يوجد " لابن الحداد " مسجدا بالقرية بناه بنفسه وبه مصلى خاص بالنساء ، الا أن الاستعمار حوله الى مكان التعذيب المواطنين الأبرياء الذين يسقطون في يد الظلمة فيعبثون بهم ، و " لابن الحداد " زاوية في مكان ما بأسفل القرية ، غير أن الفرنسيين حولوها الى مدرسة حكومية فرنسية بعد القبض عليه في خلال ثورة ١٨٧١م التي اشتعلت على أيدى الحاج محمد المقراني ومساندته الفعالة من طرف الشيخ " ابن الحداد " .

كان " ابن الحداد " في ذلك الوقت شيخا اثقلته السنين الا أن ايمانه العميق هو الذى أيقظ فيه قوة وشجاعة الشاب المسلم ،الغيور على دينه ووطنه ،ازداد الشيخ " ابن الحداد " حماسا ،فخرج في الناس وأعلن فيهم الجهاد ودفع النفوس للنضال ومنازلة العدو(٢). فالنازع الديني هو الذى حرك الأهالي ،خرجوا جميعا كتلة واحدة ملبين نداء شيخهم الجليل(٣).

كانت الظروف الاجتماعية سيئة ،فقد بلغت ذروتها آنذاك مع انتشار الأمراض والأوبئة نتيجة مآساة المجاعة الحادة التى ذهب ضحيتها عدد كبير من المواطنين

---

(١) الجزائر - وزارة التعليم الأصلى - عمار الطالبي - الاصالة عدد ٢ - ربيع ١ ١٣٩١ - ص ٣٥.

(٢) الجزائر - وزارة التعليم الأصلى - " الاصالة " عدد ٢ - مقال عمار طالبى - شهرماى - ١٩٧١م - ص : ٣٥.

(٣) حبشى حسن - " الجزائر " مجموعة المحاضرات ألقيت سنة ١٩٦٤ م القاهرة :ص : ١٣٠.

المسلمين ، نجا منها الأوربيون لأنهم كانوا يملكون الأراضي الخصبة وذخيرة الحبوب في المخازن ، ومن الأسباب الأخرى التي أدت الى قيام الثورة عام ١٨٧١م ، القرار الذي اتخذته سلطان الاحتلال بالغاء " المكاتب العربية " ومنح الجنسية الفرنسية بصورة جماعية ليهود الجزائر ، كرها وحقدا على الاسلام والمسلمين ، أدى ذلك باليهود الى مضاعفة مآسيهم ضد الشعب الجزائري المضطهد خاصة وأن اليهودي هو أكثر الناس في العالم عداوة وشراسة على الدين الاسلامي والمسلمين حيثما كانوا ، وبهذا تم منح الجالية اليهودية بالجزائر حقوق الأحوال المدنية وفق مرسوم ١٦ سبتمبر ١٨٦٧م - ٢٤ أكتوبر ١٨٧٠م قرار عرف باسم " كريميو "(١) .

أهم مالوحظ في أواخر سنة ١٨٧٠م ظاهرة " الحجاج " الى قرية صدوق التي يقيم بها الشيخ ابن الحداد ، كانت الأفواج من الرجال والنساء يتوجهون الى الشيخ ابن الحداد ، أقدامهم حافية وألسنتهم ترتل الذكر باستمرار ، كان هناك شيء يعد في الخفاء(٢) ، ومن المعروف أن الشيخ " ابن الحداد " من تلاميذه الشيخ محمد ابن عبد الرحمن ، وهو من الذين كانوا يجلبون الناس حولهم بكثرة ، تتمثل دعوته في نشر الوعي الديني وايقاض الضمير الوطني الى مجاهدة عدو الله ، فقد اتضح لدى شيوخ الطريقة الرحمانية أن الدين سلاح قوي في يد المؤمن لولا هذا السلاح الحاد لانتصرت الكنيسة في محاولاتها الشيطانية لتنصير قلب المؤمن ولنجح " لافجري " (كاردنال العاصمة) وكل الرهبان والقساوسة المتعاونين في تمسيح هذه البلاد .

لم تكن سلطات الاحتلال غافلة عما يدور بهذه القرية الصغيرة المتواضعة . .

---

(١) الجزائر - وزارة الثقافة - " الثقافة " - د . ناصر الدين سعيدوني " عدد : ٧٧ - ذو القعدة - ذو الحجة ١٤٠٣ هـ - ص : ١٠٧ .

(٢) الجزائر - وزارة الثقافة " الاصالة " عدد ٢ - مقال : محفوظ قواشي : ١٩٧١م - ص : ٢٠ .

واجهت ذلك الموقف بمزيد من الظلم والعنف ، هجموا على المؤسسات الاسلامية . استولوا عليها وغلقوا بعضها ، المساجد خربوها . . كان ذلك كافيا في اشارة الحمية الدينية الدافعة (١) !

في حين ارتفع عدد " الاخوان " ، جماعة الصوفية ، من المئات الى الآلاف ، ازدادت الزيارات للزوايا وكثرت الهدايا من طرف الزوار تشجيعا لأصحابها ، وهكذا اندلعت ثورة كبرى في البلاد بزعامة الحاج "محمد المقراني" "والشيخ محمد الحداد" ، اتسع نطاق الثورة هذه فشملت عمالة الجزائر ومقاطعة قسنطينة وبلاد زواوة ، استمرت الثورة لمدة ستة أشهر كاملة قتل خلالها عشرين ألف شخص من جنود الفرنسيين ومايقابل ألف شهيد من أبناء الجزائر الأبية ، وفيها نال الحاج المقراني الشهادة يوم ٥ مايو ١٨٧١م .

رحمه الله الشيخ المقراني وأمثاله من أبناء الجزائر البررة !

واتجهت فرنسا الى نشاطها الانتقامي ضد الثوار ، فاعدمت من بينهم ستة آلاف شخص بعد استسلامهم الى جيوش الاحتلال ، نفت قادتهم الى جزيرة " كاليدونيا " وقد حكمت على الجزائر الثائرة بغرامة قدرها ستة وثلاثين مليون فرنك ، فما كان على الادارة الفرنسية الا أن تستغل هذه الفرصة الثمينة المتمثلة في عجز القبائل عن دفع هذا المبلغ الضخم من الغرامة - قررت حينئذ مصادرة أملاكهم وترحيلهم عن أراضيهم نحو جبال قاحلة ليحل فيها مأجور الالزاس واللورين (مقاطعات فلاحية فرنسية) (٢) .

وبينما كانت فرنسا تتغنى بألحان النصر ، هادئة ، مطمئنة بعد قضائها على ثورة ١٨٧١م ، قامت عناصر جزائرية ثائرة في شتى أنحاء الوطن من أتباع الصوفية

---

(١) الشيخ أبو زهرة محمد - " الجزائر " - ١٩٦٤م - القاهرة ص : ٢٩ .

(٢) " نوابغ العرب " - ١٤ " الشيخ عبد الحميد بن باديس " - دار العودة ، بيروت ص : ٢١٠ .

المستقيمة ، منهم الشيخ " بو عامة " ، كان الشيخ بو عامة طرقي ينتمي الى طريقة أجداده " أولاد سيدى الشيخ " التي تستمد طقوسها من الطريقة "الطيبية" المشهورة وهي واسعة الانتشار بالمغرب الأقصى والغرب الوهراني .

لقد كان الشيخ بو عامة يعرف بشخصيته المحترمة وخلق عال ، قال عنه " دى كاستري " حين طلبت منه حكومة الاحتلال وضع حد لتحركات " بو عامة " المشبوهة اعترض على ذلك بقوله أن " بو عامه " رجل محترم كثيرا من طرف الأهالي الذين مما لا شك فيه أنهم سيثورون اذا ماتم القبض عليه .(١)

فعلا لقد ازداد نشاط الشيخ " بو عامه " ضد الحكومة الاستعمارية الى أن خانه أحد سكان المنطقة المغرورين بفرنسا الاستعمارية .

يعتبر الشيخ " بوعامة " من المتأثرين ، المتحمسين لدعوة جمال الدين الأفغاني ، ومما يهدف اليه الشيخ بوعامة هو اصلاح المجتمع الجزائري باعتباره جزء لا يتجزأ من العالم الاسلامي الكبير والتصدى للعدو حيثما وجد بالأراضي الاسلامية .(٢)

انه الشيخ " بوعامة " وأمثاله كثيرون ، انهم رجال يخططون لأعمالهم الحربية ولم تكن لديهم الذخيرة الكافية من العتاد والأسلحة الحديثة التي تكسبها فرنسا .

انهم رجال ملأ الايمان قلوبهم ، قاموا كرجل واحد ، مستنكرين ، ثائرين في وجه الغزاة انهم على كل حال خريجي زاوية بل ثمار زاوية صلح غرسها .

---

(١) (٢) الجزائر - وزارة الثقافة - " الثقافة " عدد ٦٨ - مقال : يحيى بوعزيز - جمادى - ١٤٠٦ - شركة النشر والتوزيع - ص (١٥) .

البعض من طلاب الشيخ عبد الرحمن وزوايا هم (١) :

السيد علي بن عيسى المغربي ١٧٩٣م - ١٨٣٥م - خلفه السيد البشير المغربي ثم خلفته " لالا خديجة " زوجة سي محمد بن عيسى الذى بقي في زاوية أبيه اسماعيل وخلفه : سي الحاج عمر زوج لالا فاطمة بنت سيدى الحاج محمد بن عيسى وهذا هو الذى نظم الطريقة تنظيما محكما ونظم مقاومة ضد الاستعمار سنة١٨٥٧م ولما غلب هجر الى تونس واتجه الناس الى الشيخ الحقيقى للطريقة الرحمانية في بلاد القبائل وهو سي محمد آمزيان بن الحداد .

ويمثل " ابن الحداد " في قسنطينة مصطفى بن عبد الرحمن بن باش تارزى كذلك محمد بن عزوز في الصحراء في الزيبان ، وفي طولقة زاوية على بن عمر والشيخ المختار بن خليفة في " أولاد جلال " . . وزاوية المصمودى التى أسسها الحاج صدوق وقد سجن هذا الأخير ومات في سجن العاصمة وهدم زاويته الجنرال " ديفو " عام ١٨٥٩م .

وقد كانت " لابن الحداد " رسالة في التصوف شرح فيها انتشار البدع والضلالات والانحراف عن العقيدة الصحيحة ، ونددد ببعد الناس عن الكتاب والسنة .

يقول الشيخ ابن الحداد رحمه الله : " وانتشرت البدع وخاض بحرها على الأرض كلها فلم تخل بلدة ولا قرية ولا بيت من بدع شتى وشهدت ذلك بنفسي الا من عصم الله وهو يسير جدا " ، كما وضح ابن الحداد من جهة أخرى في نفس رسالته هذه ، جهل بعض الولاة والقضاء .

وعلى الرغم من أن " الصوفية " قد جرى ذمها فيما بعد الا أننا لا نستطيع التنكر للدور الهام الذى لعبته في استمرارية التعليم الاسلامى ، فكذلك فعلت الزوايا التى تمكنت من انقاذ العديد من الأطفال مما كتبه عليهم الاستعمار من جهل وضلال (٢) .

---

(١) الجزائر - وزارة التعليم الأصلى - الاصالة - مقال عمار طلبى ، نفس المرجع - ص : ١٥١ .

(٢) الجزائر - وزارة الثقافة - الثقافة عدد ٨٥ - د . أحمد مهساسى - ص : ٧١ .

أما عن الظاهرة التي جاء ذكرها في رسالة الشيخ " ابن الحداد " فهي تمثل الوجه الثاني من التصوف .

وقد نجد تعليقا لائقا بهذه الحالة البائسة التي وصل اليها المجتمع الجزائري في ذلك العهد من الاحتلال الفرنسي ، ونجد هذا التعليق لدى المفكر الجزائري والمناضل " مالك بن نبي " رحمه الله يقول : " . . . وشعر الاستعمار فعلا بالخطر . . فأخرج من شنطته رجلا تأخذه من حين الى حين الحالة الصوفية . . أخرجه كي يجدد به عصر الدراويش ، فكان المنظر جذابا . . يلفت نظر الشعب البسيط . . المتعطش لخوارق المعجزات . . فيأتي بنقوده يقدمها نذورا عندما يدق البندير وفكر الرجل الذي تأخذه الحالة الصوفية لكي يزيد تأثيره على مشاعر الشعب البسيط فوضع حوله حلقة من " العلماء " يتقبلون تبرعات البسطاء ويباركون لهؤلاء مثابرة في عالم لا زال في خدر النوم حيث كان آباؤنا يعيشون "(١) .

فالطريقة المنحرفة ، يمكن اعتبارها لعبة يحملها الاستعمار فالاستعمار ويخرجها وقت الضرورة ، لم يجد حلا أمام الخطر الذي يهدده من خلال انتشار مؤسسات التعليم الاسلامي أحسن من هذا ، وبكل سهولة تمكنوا من التأثير على عدد من الطرقيين فجعلوا منهم خداما طائعين ، مخلصين له .

" ان ما ابتليت به هذه الأمة في عهدها الحاضر أن سلط الله عليها عدوين يعملان لابادتها ومحوها ، عدو منها وعدو من غير جنسها ، فهي تقف في واجهتين تدافع عن كيانها ولا سلاح لها غير ايمانها "(٢) ، انه الدين الاسلامي استبدل بالشعوذة والمشعوذون هم أصحاب الطرق ، ولا غرابة في ذلك ، فالمؤسسات الدينية أصبحت لا يسمح لها بالحياة الا اذا أعطت الدلائل الكثيرة على ولائها للادارة الدخيلة !

---

(١) بن نبي مالك - في مهب المعركة - دار الفكر - دمشق - ١٩٧٨ م ، ص : ٧٧ .

(٢) الرفاعي شرفي أحمد - الامام الشيخ التبسي - مقالات في الدعوة . . . " القسم ٢ . ط ١ - ١٩٨١م ، ص : (٢٢٠) .

تتحرك وتسكن وفقا لارادتها ، والرجال يتمسحون على أعتابها ملتمسين الآمان والجاه والمال ، واقتفى ذلك بيع الدين بالدنيا والخيانة في سياق المجاملة للمعمر وخدمته ، فتحولت الدعوة الاسلامية الخالصة لوجه الله الى دعوة في سبيل الطاغوت ، انقطع الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فأصبح أمرا بطاعة الحكام الفرنسيين والتسابق الى كسب رضاهم لارضى الرب سبحانه وتعالى ، فأصبحت التربية الاسلامية ، التي أساسها تقوى الله وحرية الضمير والأفراد تربية على الخضوع والتذلل للاستعمار وللبشر الفاجر .

لا يمكننا معرفة شناعة الداء القاتل والهوة التي سقط فيها الشعب الجزائري في ذلك الزمان المظلم الا اذا اطلعنا على عدد الزوايا المنتشرة في المدن والأرياف .

عدد الزوايا : ٣٤٥ زاوية تابعة لجماعة الشعوذة .

عدد أتباعها : مايزيد على ٢٩٥ ألف مريد .

١) أهمها (١) : الدرقاوية : مقرها ببلدة " تيارت " كانت من الذين يدعون الى التعايش مع الأديان الأخرى في ظل فرنسا الاستعمارية .

٢) العلوية : مقرها بلدة مستغانم وكانت لها جريدة " البلاغ " وهي لسان الهجوم على الحركة الاصلاحية بما في ذلك " جمعية العلماء المسلمين الجزائريين " فقد كانت هذه الزاوية ترمي الاصلاحيين بالبدعة والضلال وجل اهتماماتها مركزة على الشيخ الامام ابن باديس والبشير الابراهيمي والشيخ العربي التبسي .

٣) التيجانية : مقرها في بلدة " عين ماضي " بالجنوب الجزائري ، كانت صاحبة نفوذ كبير في الأوساط الاستعمارية بالجزائر وفرنسا وافريقيا

---

(١) الطالبي عمار - كتاب ابن باديس حياته وآثاره : مرجع سابق ج ١ ص ٥٤ .

السوداء ، حركتها كانت أكثر رواجا لدى أرباب الثراء والتجار والوظيف العمومي .

وقد اعتبرها الاستعمار أقوى دعامة له في افريقيا ، فلا يبت في أمور الأهالي الا بعد التشاور مع أقطابها وتنسيق الأعمال والمناهج معها .

٤) الطريقة السنوسية وأتباعها : ١٥٦ ألف رجل و ١٣ ألف امرأة أسسها سيدي محمد بن عبد الرحمن ودعوتها لم تختلف عن صاحباتها .

ومما يذكر عن زوايا " الرحمانيين " أنفسهم أنه كانت توجد خلافات بداخلها (١) :

أ- منها زاوية " طولقه " : التي رضيت من بدايتها التعامل مع الاستعمار اذ أعلن رئيسها " سي علي بن عمر " طاعته للحكومة الاستعمارية عام ١٨٤٤م وفتح زاوية خاصة بالجنود الفرنسيين بنفس العام .

ب- زاوية نغطة : فقد كانت هذه الزاوية معادية للاستعمار ولجأ للمضطهدين من المسلمين الجزائريين ولكنها غيرت من اتجاهها بعد أن ترأسها " سي الحسين بن علي بن عثمان " شقيق رئيس زاوية " طولقة " .

ج - زاوية الشريف محمد امزيان بن الموهوب : سايرت سلطات الاحتلال دخلت في خدمتها منذ عام ١٨٤٧م . و - أما زعيم زاوية " شلاطة " فقد انضم الى صفوف الخونة في عهد الأمير عبد القادر .

وهكذا انتشرت الفوضى وعمت الخرافة وحل السحر محل العلم في أقصى البلاد ولم يوقف هؤلاء الطرقيين أحد عند حدهم بل سمح لهم بالنشاط والنمو ، فطغوا وعاثوا في الأرض فسادا مستخدمين شتى وسائل الاغراء ماديا ومعنويا فازداد تعلق الناس بهم مما جعل سلطات الاحتلال تتحيل مع السكان الأهالي ، ولنا في ذلك وصفا رائعا لدى الشيخ البشير الابراهيمي حين قال :-

---

(١) الجزائر - وزارة التعليم الأصلي " الاصالة " عدد ١٤-١٥ مقال يحيى بوعزيز - ربيع - رجب ١٩٧٣م - ص : ١٦ .

" سر ماشئت في جميع الأوقاف ، وفي جميع طرق المواصلات تر القباب البيضاء لائحة في جميع الثنايا والآكام ورؤس الجبال ، في وهران ، وسل تجد القليل منهـا منسوبا الى معروف من أجداد القبائل وتجد الأقل مجهولا ! . . واسأل الحقيقة تجبك عن نفسها بأن الكثير من هذه القباب انما بناها المعمرون الأوربيون في أطراف مزارعهم الواسعة بعد ماعرفوا افتتان هؤلاء "(١).

لقد أساء الكثير من هؤلاء الطرقيين المنحلين للتعليم الاسلامي ، ادخلوا البدع والخرافات فاختلط الأمر بين العلم والدروشة ، أباحوا المحرمات لأغراض ما وحرموا الحلال ! كانوا مغالطين ، مخادعين لتلامذتهم ، وقد عرف عن الكثير منهم أنهم منحلون أخلاقيا ، يدعون الولاية لمخالطة النساء وتوفير الطعام بدون تعب " فاذا اعترض طريقه أحد انهال عليه بعصاه فضربه ضربا مبرحا أو دعا عليه دعاء الهلاك "(٢).

وفيما يخص عدد الزوايا بالقطر الجزائري ، لنا في احصائيات السيد عمار طالبي مايشير الى أن عدد أتباع الطريقة الرحمانية يمثل ٢٢٠ زاوية و ٧٤٥ مقدم و ٩٦١٦١ اخوان موزعين كالتالي :

مقاطعة العاصمة : ٧٩ زاوية و ١٧٧ مقدم و ١٩٫٧٣٥ من المريدين - ضواحي الجزائر فيها ٣ زاوية و ٦٢ مقدم ، ١٦٫٩٢٥ اخوان .

قسنطينة : فيها أكثر من الجزائر : ٩٣ زاوية ، ٣١٨ مقدم ، ٣٤٫١٢٦ مريد .

ضواحي قسنطينة : فيها : ٢٠ زاوية ، ١٠٤ مقدم ، ٢٢١٧٧ اخوان .

وهران بالغرب الجزائري : فيها ١٠ زوايا ، ٨٢ مقدم ، ٢٦٧٧ اخوان .

---

(١) الابراهيمي محمد البشير - عيون البصائر : ص ٣٤٨ .

(٢) أبو القاسم سعد الله - تاريخ الجزائر في القرن ١٤ - ١٥ - ج ١ - ١٩٨١م الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - ص ٤٨٨ .

ضواحي وهران : فيها ١٠ من الزوايا ، ٥ مقدمين ، ومن الملاحظ هنـــا أن الطريقة الرحمانية ضعيفة في منطقة وهران.(١)

وقد قام " بوسكي " الفرنسي - Bousquet في كتابه " الاسلام المغربي " بعرض احصائي لعدد الزوايا الصوفية الموجودة بالشمال الافريقي كله عام ١٩٣٠م فكانـــت على النحو التالي ٢٥٠.٠٠٠ زاوية في الجزائر ، و ٦٠.٠٠٠ في تونـــــــس ، و ٢٠٠.٠٠٠ في المغرب الأقصى.(٢)

---

(١) الجزائر - وزارة التعليم الأصلي - الاصالة - عدد ٢ - مقال : د - عمار طالبي : ص ٥٠ .

(٢) الجيلالي عبد الرحمن بن محمد - تاريخ الجزائر العام - ج ٢ دار الثقافة ط ٦ - ١٩٨٣م - لبنان - ص ٢٥٩ .

خلاصـــــة :-

أهم مايستخلص من هذا الفصل بالنسبة للتعليم الاسلامي ومؤسساته في ظـــل الاحتلال الفرنسي أن أول ماقامت به فرنسا الاستعمارية بعد تثبيت أركانها فـــي الأراضي الجزائرية هو شن هجوما عنيفا على مؤسسات التعليم الموجودة آنـــذاك ، فاعتدت على المدارس وأغلقت معظمها كما استولت على عدد منها فجعلت منه مكانـا يخدم مصالحها ، من ثكنات عسكرية ناشـرة الموت والدمار وفنادق ومستودعـات.. وقد احرقت جل مكتباتها واعتقلت طلبة العلم وأعضاء التدريس !

ولم تسلم المساجد ، من طغيانها ، فاستولت على أجملها وهدمت ماهدمت منهـا وانتهكت حرماتها . . والأمر لم يختلف كثيرا بالنسبة للزوايا ، فقد قامت فرنسا الغازيـة بالقضاء على العديد منها واعتقال أصحابها ونتج عن ذلك قيام سلسلة من الثـورات تمكنت من غرس الرهب والقلق في نفوس المعمرين . وكانت هذه الزوايا كغيرها مـن المؤسسات التعليمية مصدرا للعلم والمعرفة .

ومن الزوايا ماأصبح تحت التأثير الاستعماري ، في خدمة العدو المحتل . فازدادت توسعا وكثرت فروعها عبر الوطن ، تصل اليها تشجيعات مادية من العدو .

أما الكتاتيب فهي تعتبر، في الحقيقة ، المؤسسة الاسلامية الوحيدة التي تمكنـت فعلا من النجاة من أيدي الاستعمار لأنه لم يتعد عليها مباشرة وانما حدد نوعيـة التعليم فيها وفق أهداف معينة ، ووضع شروطا قاسية لأصحابها ، نجم عن ذلك فقـر في الوسائل المادية وفي الأعضاء القائمين عليها .

الفصل الخامس

(دور التعليم الاسلامي في تحرير الجزائر)

أ- التعليم الاسلامي في مطلع القرن العشرين :-

لقد امتاز مطلع القرن العشرين بطابع سياسي جديد على يد والي ولاية الجزائر من جهة وبظهور تيارات خارجية من جهة أخرى كان لها الأثر البالغ على التعليم الاسلامي :-

١ - " جونار " والسياسة الجديدة .

انه " جونار " الفرنسي (١٨٥٣-١٩١٣م) والي ولاية الجزائر وهو يمتاز بسياسة أهلية واضحة تهدف الى جلب المثقفين الجزائريين الى فرنسا من جهة وجعلهم أداة لبث رسالة فرنسا " الحضارية " وسط الأهالي من جهة أخرى ، لسياسة " جونار " الجديدة وجه خاص استقبله المواطنون بالترحاب .

وكان " جونار " قد اختار هذه السياسة بعد سلسلة الأحداث التي عرفتها الجزائر في الداخل ، أخص بالذكر تحرك مجموعة من علماء مدينة قسنطينة سنة ١٨٩١م مطالبين حكومة الاحتلال بالنظر في شؤون البلد الاقتصادية ، والاجتماعية والتعليمية ، اذ طالبوها برفع القيود عن التعليم الاسلامي ، " اطلاق سراح " اللغة العربية التي تعتبر فعلا بمثابة المسجون ، أصبحت لغة أجنبية ، ضاعت حقوقها ! الخناق حولها يزداد مع مر الأيام ، وقد طالب هؤلاء ، جماعة كبار مشايخ مدينة قسنطينة من الحكومة الفرنسية بالنظر في القرارات المتعلقة بالشعائر الدينية ومنح حرية المواطن في ممارسة عاداته وتقاليده الجزائرية النابعة من العروبة والاسلام !

ومن بين الذين وقعوا على هذه العريضة " عبد الكريم باش تارزى " مفتي المذهب الحنفي والطيب بن " أوادفيل " مفتي المذهب المالكي ، والشريف بن باديس قاضي مدينة قسنطينة ومحمود بن الشاذلي مدير المدرسة الكتانية وعبد القادر المجاوى المدرس بنفس المدرسة وحمدان بن الونيس مدرس وأعضاء عائلة ابن الفكون . . الخ .(١)

---

(١) الجزائر - وزارة . . . - الثقافة عدد ٨٤ - أبو القاسم سعد الله ص ١٦٨ .

أرى أن الأحداث الخارجية ليست بأقل تأثير من الداخلية ، بل لقد أحدثت تغييرا كبيرا في حياة الأهالي ، أذكر عن سبيل المثال زيارة الشيخ " محمد عبده " وأستاذه " جمال الدين الأفغاني " والنهج الذى اتبعاه هذان العالمان ضد السياسة الاستعمارية البريطانية التى حاولت استمالة الشيخ محمد عبده ، اليها فعرضت عليه زيارة الجزائر - الفرنسية ولكن الشيخ محمد عبده استبشر لهذه الزيارة لأنه كان يرى فيها عاملا مؤثرا على الحياة الثقافية بالجزائر المحتلة ، ونفس الشئ ، يذكر بالنسبة لمجلة " المنار " اذ سمحت لها فرنسا الدخول الى " الجزائر - الفرنسية " في عهد شارل " جونار " ، كانت هذه المجلة ، لسان الحركة العبودية ، تمثل في حد ذاتها مدرسة متنقلة ، شاملة لمختلف فروع العلم والمعرفة الاسلامية ، ومن العوامل الخارجية التى انعكست نتائجها على المجتمع الجزائرى ، ظهور حزب " تونس الفتاة " وانشاء المدرستين " الصادقية والخلدونية " .

لقد اتسمت فترة " جونار " بترجمة عدد من الكتب اذ قام " الجنرال فوربيغي " بترجمة " عقيقة " المنداسي " والحلل السندسية " لأبي راس الناصرى " ، أما " فانيان " ترجم " مختصر الشيخ خليل " وقام سيكار " من جهته بترجمة منظومة الشيخ " حسن العطار " كما ترجع الضابط المستشرق " رين " بالتعاون مع المترجم العسكرى الجزائرى " أحمد بن حسن بريهمات " بوضع كتاب بعنوان : " اللسان يكمل الانسان " في تعليم اللغة الفرنسية عن طريق اللغة العربية .

وضمن الحركة الجديدة " لجونار " أمر حكام الأقاليم وجميع نوابهم باستدعاء المسلمين الجزائريين الى حضور دروس المساجد التى أعاد تنظيمها وأعطاها طابعا خاصا ، أجرى تعيينات جديدة في الوظائف الدينية ، وضمن الأشخاص الذين أختارهم ، " شارل جونار " : الشيخ عبد الحليم بن سماية مدرسا بالجامع الجديد بالعاصمة والشيخ " ابن الموهوب " مفتيا فى مدينة قسنطينة ومدرسا بجامعها الكبير (١) .

---

(١) الجزائر - وزارة الثقافة - الثقافة ، عدد ٧٩ ، أبو القاسم سعد الله ، ص : ٧٣ .

وعادتي أن اختار التعريف بأحد العلماء كنموذج لحياة هؤلاء في العصر المذكور : الشيخ ابن الموهوب :

كان الشيخ ابن الموهوب مدرسا بالمدرسة الكتانية حين أسندت له وظيفة مفتي الديار القسنطينة سنة ١٩٠٨ م من طرف الوالي العام ، ويدخل في نطاق وظيفته الجديدة الاشراف على المساجد في نفس المدينة ورئاسة الجمعية الخيرية الاسلامية ، ومن مشمولاتها السهر على الأوقاف والتدريس بالجامع الكبير والقاء خطبة الجمعة والعيدين به .

ومما لاشك فيه أن الادارة الفرنسية كانت تنتظر من هذه المسؤولية الكبيرة خدمة مصالحها ، أن يحقق لها موظفوها الأمن والاستقرار وأن يمدوها بيد العون لتحقيق أغراضها الاستعمارية ، لم يرو التاريخ بعد أن استعمارا دخل بلادا اسلامية في يوم من الأيام وسلك فيها سبيل التعليم الاسلامي واختار كبار علمائها ومشايخها الملتزمين بدين الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم للقيام بتلك المهمة ، لم يرو التاريخ بعد أن استعمارا غربيا دخل بلد اسلامي وشرع في نشر التعليم الاسلامي وغرس مبادئ تربية اسلامية !! بل ان التاريخ يكشف لنا عن تلك السياسة الاستعمارية الغدارة التي اتبعها المعمرون مع سائر البلدان الاسلامية سواء كان استعمارا مسلحا أو عن طريق الغزو الفكري بما يضم من هيئات تبشيرية وجماعات موالين لها .

وفي الحديث عن الشيخ ابن الموهوب ، انه لم يكن في بداية حياته العملية من جماعة المتعاونين مع الحكومة الفرنسية ضد التعليم الاسلامي كما يدعيه بعض المؤرخين ، لقد آمن الشيخ ابن الموهوب بالاصلاح الاسلامي الذي تقتضيه المدرسة "العبودية" ، كانت فرصة مواتية " لابن الموهوب " للدعوة الى يقظة وطنية واصلاح اسلامي الى جانب تقدم مادي .

لقد كان " ابن الموهوب " محل تقدير من بعض الكتاب أمثال " الشريف ابن حبيلس" الذي أشاد بآراء " ابن الموهوب " ونقل خطبه وأناشيده في كتاب له " الجزائر كما يراها أهلي " ، كما ساهم الشيخ " ابن الموهوب " في الحركة الأدبية ، اذ كتب

الشعر والنثر على صفحات جريدة كوكب افريقية " وجريدة " المغرب " وشرح جزء من عمل " المجاوى "[١].

وقد كان ابن الموهوب يرى أن الشعب الجزائرى لن يتخلص من مصائبه الا عن طريق المدارس " المدارس ثم المدارس "[٢] كما جاء في قوله داعيا الى اصلاح اسلامي ويقظة وطنية ! ومع تصاعد الضغوط الفرنسية عليه اضطر الى الخروج من النطاق الذى عرفه به المجتمع الجزائرى .

انقلب الشيخ ابن الموهوب الى " ناطق بلسان الحكومة الفرنسية " ، أصبحت خطبه تشيد بالحكومة الفرنسية " ومعوناتها " حسب تعبيره ، وقد أعلن على الملأ أن فرنسا هي الأم ولم يقف به الأمر الى هذا الحد وانما ذهب به الى تأكيد وقوفه ضد رجال الاصلاح وضد حركة ابن باديس " وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين " فيما بعد .

وقد اتهم الشيخ ابن الموهوب ، هذه الجمعية المذكورة بالعصبية والتطرف المبالغ فيه !

وقد عثرت ضمن كتابات ، أبو القاسم سعد الله على خطبة للشيخ ابن الموهوب قام بنشرها باحدى المجلات الوطنية حسب اعتقاده " خدمة للتراث الوطني المتمثل في احياء أثار الرجال الذين ساهموا في النهضة الوطنية وخدمة الأدب بالخصوص لأن الخطابة فن من فنونه " .

سادتي :-

" ان تفضلكم بالتنازل للاحتفال وبما انعمت به الدولة عليّ من منصب الافتاء يزيدني شرفا ، ويصغر لي كل شكر مني لذواتكم السعيدة .

---

(١) الجزائر - وزارة الثقافة - الثقافة ، عدد ٨٤ - أبو القاسم سعد الله : ص ١٧٠ .

(٢) سعد الله أبو القاسم - الحركة الوطنية : جـ٢ ص ١٦٥ .

فأنا مع نهاية الاحترام والتبجيل أقدم لكم خالص تشكراتي الصادقة من صميم فؤادي أيها المحسنون الحاضرون ، ثم اذا كان هذا اليوم بجمعكم من أسعد أيامي كما هو الواقع ، فأنا زيادة على ذلك (كذا) اعتبره مبدأ حياة أخرى ليست فقط حياة نشاط باشتراك واجتهاد حياة اتفاق على تعليم وتعلم مع السير في طرق السداد حياة تحصد شرورا زرعها ذوو الأغراض فأنبتت الجنايات حياة تؤلف بين القلوب وتغرس مودة صادقة في الشعوب ، حياة يسير بها المسلمون مع كل مجاوريهم تحت راية المعارف المرفوعة بيد فرانصا (كذا) أم الجميع .

سادتي :

اذا كان المسلمون ضعفاء فالدولة الفرانصوية ليست ضعيفة ، مالا ومعارف ورجال . . أقول قربا قربا ، اعانة اعانة ، العلوم العلوم ، التربية التربية ، الصنائع الصنائع ، الوفاق الوفاق .

فسيروا للتقدم تحت عدل فرانصا التي برهنت كثيرا على محبتها .

وفي ختام خطبته هذه يقول الشيخ " ابن الموهوب " :

. . . وأسفاه علماؤنا في نصح العامة مقصرون .

والعوام يقلدون ويفعلون وهم في الحقيقة معذورون لأنهم لا يعلمون .

. . . فشكرا لرجال الدولة ، وشكرا لجناب المحترم الشيخ " فورليو " رئيس المجلس الذي شرفنا بحضوره نيابة عن عامل العمالة النايب (كذا) عن والي عموم الجزائر ، ذلك (كذا) الشهم الذي لا زال يحسن تصرفه يؤلف بين القلوب باعانة رجاله الصادقين .

فليعيش الخير ومحبوه ، وليمت الشر وناشروه .

المولود بن الموهوب .

(خطابي حين أجلست مفتيا)[1]

---

(١) الجزائر - وزارة الثقافة " الثقافة " مقال أبو القاسم سعد الله - عدد ٨٤ ، ص: ١٧١ ، ١٧٢ .

غفر الله لابن الموهوب وأتباعه لست هنا في مقام نقد الشيخ العلامة " ابن الموهوب " رحمه الله وانما أقول قوله عز وجل :

(يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض..)[1]

ولم أعتقد أن عالما مثل الشيخ ابن الموهوب يجهل قوله عز وجل في كتابه المبين :

(ولن ترضى عنك اليهود والنصارى حتى تتبع ملتهم .. (الآية .)[2]

وأصل " شارك جونار " سياسته نحو التعليم الاسلامي فخصص مطبعة " فونتانة " لطبع الكتب العربية ،كما وفر لها مساعدات مالية لتغطية عجزها ، مكنه ذلك من اضافة مطبعة " الثعالبية " لرودوسي " تقوم كذلك ،من جهتها بطبع الكتب العربية ، ومما يلاحظ على مطبوعاتها أنها لم تطبع من الكتب الجادة سوى المصاحف وكتب " ابن أبي شنب " وتفسير " عبد الرحمن الثعالبي" ، أما بقية المطبوعات فقد كان يغلب عليها الطابع اللاديني والخرفي .

مهما كان الحال فلايمكن غض النظر عن مساهمة هذه الحركة الجديدة في دفع النشاط العربي الاسلامي من حيث الصحافة العربية ومن حيث التأليف ،وقد ازداد نشاط التعليم في المدارس العربية وانتشرت الدروس في المساجد على يد شيوخ تلك الفترة الذين كانوا معظمهم خريجي مدارس فرنسية[3] .

ومع هذا لم يختلف " جونار " عن أسلافه من الحكام المعمرين ،لقد كان همه الأكبر هو التمكن من هذه الجزائر بشتى الوسائل والأساليب اذ كان الخوف من ضياع هذا الكنز العظيم يتولاه من حين لآخر ، وهو لا يزال يردد (ماترجمته) :

" لا يوجد قبائلي ولا عربي لا يؤمن بأنه يجب علينا (الفرنسيون) مغادرة افريقيا في المستقبل القريب"[4] .

---

(١) سورة المائدة ،آية ٥١ .

(٢) سورة البقرة ،آية ١٢٠ .

(٣) الجزائر - وزارة الثقافة - الثقافة ، مقال أبو القاسم سعد الله ، عدد ٧٩ - ص٧٣ .

(٤) مجلة التاريخ رقم ٩ - المركز الوطني للدراسات التاريخية - مقال جلالي صاري ، ١٩٨٠ - الجزائر - ص : ٨ (بالفرنسية) .

ومن أهم الجوانب في سياسة " جونار " هي اهتمامه البالغ بالتاريخ الجزائري وقد تضاعفت جهود الفرنسيين في عملية البحث والتنقيب في تاريخ الجزائر، في ذلك العهد .

لم يكن ذلك حبا في جزائر الأبرار ولا اعجابا بتاريخها الاسلامي لأن الجزائر لم يكن لها وجود قبل مجيء الفرنسيين ، هذا ما أعلنه رسميا حكام الاحتلال .

فمن الدوافع التي جعلت حكومة الاحتلال تهتم بالجانب التاريخي للجزائر ، دافع الاحتلال والسيطرة ، فمن الصعوبة أن تتمكن الحكومة الفرنسية من السيطرة على كل الجزائر شرقا وغربا شمالا وجنوبا من أول وهلة الا اذا ألمت بجميع المعلومات التي تخص هذا الوطن روحيا وماديا ، فمن أجل ذلك استعان الحكام الفرنسيين ببعض الكتاب الجزائريين ، حيث أسندت لكل واحد منهم مهمة ، منهم على سبيل المثال ماكتبه " العنترى " وابن المبارك " عن تاريخ قسنطينة يوحي من " بواسوني " وماكتبه محمد بن على التلمساني ومؤلفاته القيمة عن علماء وهران وتلمسان يوحي من عامل وهران الفرنسي ، وقام بنشره وترجمته العلامة محمد بن أبي شنب والحفناوى بتحريض من الحاكم العام " جونار " نفسه (١) .

---

(١) الجزائر - وزارة التعليم الأصلي " الأصالة " - أبو القاسم سعد الله ، عدد ١٤ - ١٥ ، ص : ١٠ .

٢ - التيارات الخارجيـــة وأثرها على التعليم الاسلامي :-

ان الوضعية الروحية للأهالي لم تكن هدفا للهدم من طرف الطرقيين المنحرفـــين وحدهم بل كان هناك أيضا التيار المادي الذي صحب الاستعمار الى الجزائـــــر، فقد ظهر في ظـــل الاحتلال موظفون من المسلمين وأصحاب العقارات الفخمة والاقطاعيين من الأهالي سايروا ركب الدخلاء في تعسفهم ،أصبح همهم تكديس الأموال علـــى حساب بني جنسهم اقتداء بالمعمرين وبالجالية اليهودية ،فهذا الجانب من المادية أضل الكثير من أبناء الوطن الذين نسوا أو تناسوا ماكانت تفرضه عليهم الظروف الحرجة التي كان يتخبط فيها الشعب اقتصاديا وثقافيا ودينيا ،فقد أدت هذه الظاهـــرة الى انتشار الفقر بين أبناء الوطن ، خاصة منهم الطبقة العاملة التي اشتغلت بشدة ، أصبح العامل الجزائري لا يستطيع العيش ،اذ أن عمله الشاق لم يكسبه الا الأجـــــر الزهيد الذي لا يكفيه وعائلته .

ومن الناحية التعليمية ،لم يجد العامل الجزائري الفقير ،سبيلا لتعليم أبنـــائه، فلم يكن أمام الآباء الجزائريين المتعطشين للعلم والذين يضعون آمالهم في أبنائهـــم الا أن يختاروا أحد السبيلين ،أن يبعث الأب بابنه الى المدارس الفرنسية أي الـــى "مدرسة الاندجينا" - Indigene - وهي مدرسة فرنسية خاصة بتعليم الأهالي، وهذه الأخيرة قد تؤهل أفرادا قلائل منهم الى المناصب الادارية البسيطة ،أما السبيل الثاني الذي لا مفر منه هو أن يجلس هؤلاء الأبرياء في الطرقات في انتظار تشغيلهـــم من طرف المعمرين ضمن الاشغال الشاقة بأجرة رمزية !.

لقد أسرع عدد قليل من أبناء الوطن الى التجنيس الفرنسي لعله يحصل علـــى بعض الحقوق التي يتمتع بها المعمر الفرنسي بالجزائر، البعض منهم تخلى عـــــن

---

(١) الجزائر - وزارة التعليم الأصلي ،الاصالة - أبو القاسم سعد الله - عدد ١٤-١٥ ص : ١٠ .

حالته الشخصية ودخل تحت حكم القانون المدني الاستعماري ، أمثال هؤلاء عددهم قليل جدا يكاد لا يذكر ، المقاومة ضد التجنيس كانت عنيفة ، تصدى لها المسلمون ، عالمهم وجاهلهم وأميهم رفضوا التخلي عن دينهم والتحلي بغير شرع الله وسنة رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم ، وقد عبر الشعب عن سخطه بشتى الوسائل ، رفضوا مصاهرة المتجنس أي زواج بناتهم من أبناء الذين تجنسوا ، وامتنع أهل العلم من تلاوة القرآن على المتوفي حامل الجنسية الفرنسية ، كما امتنعوا عن اقامة صلاة الجنازة عليهم ، أدى ذلك كله الى تخوف الأهالي من عواقب الارتداد ، فمهما كان الحال ، الاستعمار هو نفسه ، صاحب المكر والغدر ، سواء كان شعبا أو ادارة انه لن يمنح للمتجنس ماكان يرجوه منه .

وقد تمكن المسلم الجزائري من المحافظة على معاملات الشرع الاسلامي في مسائله الشخصية بحيث لا يرث ولا يورث ولا يتزوج ولا يطلق الا حسب التشريع الاسلامي السامي وليس حسبما تنص عليه القوانين الوضعية الفرنسية .(١)

هناك من جهة ثانية تيار آخر كان قد اكتسح أوربا محاربا المسيحية ورجالها في أول الأمر ، ثم بالتالي جميع الأديان السماوية والقيم الأخلاقية الروحية الا وهو تيار الشيوعية الهدامة .

وقد تأسس الحزب الشيوعي بالجزائر سنة ١٩٢٤م وظل يعمل خمسة عشر عاما فرعا من الحزب الشيوعي الافرنسي ، كان من المنادين بسياسة الادماج وبابقاء السيادة الفرنسية بالبلاد ، وجل عمله ينصب على اجتذاب طبقة المثقفين باللسان الفرنسي .(٢)

وكان هذا التيار السياسي أقدر على جلب العقول والاستحواذ على القلوب فانتهى به بعض العمال الجهلة والمثقفين ثقافة فرنسية ، فسقطوا في بؤرته .

---

(١) المدني أحمد توفيق - كتاب الجزائر - ط ٢ - ١٩٦٣م - الجزائر - ص : ٣٢٦ .

(٢) العسلي بسام - الصراع السياسي على نهج الثورة - ط ١ - ١٩٨٢ م - بيروت ، ص : ١٢١ .

سادت الفوضى في البلاد واختلط " الحابل بالنابل " وفشت البلبلة في المجتمع الاسلامي ماعدا بعض العناصر القلائل من الرجال الذين وجدوا أنفسهم بين شرور عديدة : استعمار من جهة وطرقية منحلة من جهة ، وشيوعية ملحدة من جهة أخرى .

اشتدت ضربات الاستعمار الغاصب في محاولته القضاء على الثقافة العربية الاسلامية ، واليد باليد مع الحركة التنصيرية المسيحية ، ازدادت حميتهُ ضد التعليم الاسلامي ، فقد كثر عدد الكنائس في مدن وقرى الجزائر ، واتسعت مراكز التنصير ، شملت الصحف والمجلات ، فأصبحت توزع في المؤسسات وفي المقاهي وحتى لدى أبواب مساجد الله .

هكذا أصبحت التربية والتعليم الاسلامي محل التهديد من كل الجهات ، ورغم ذلك كله واصل التعليم الاسلامي مقاومته المجيدة فكانت الظروف الخارجية العالمية في ذلك الحين تهيئ له فرص اليقظة والعودة الى الحياة من جديد ، ومن أهمها " اليقظة التي دبت في أرجاء العالم الاسلامي .. وعودة بعض الجزائريين الذين درسوا في المشرق العربي "(١) .

لقد كثرت هجرة الطلبة نحو البلاد الاسلامية طلبا في الدرجات العليا من العلم والمعرفة ، تركزت هذه الهجرة معظمها على جامع الأزهر بالقاهرة وجامع الزيتونة بتونس ، لنا احصائيات سنة ١٩١٠م من خلال كتابات السيد " أجرون " Agéron اذ يرى " أن عدد الطلبة الجزائريين في جامع الأزهر سنة ١٩١٠م يفوق بكثير عدد الطلبة الجزائريين المسجلين بأكبر مدرسة فرنسية اسلامية في الجزائر "(٢) .

---

(١) الجزائر - وزارة الثقافة - الثقافة - تركي رابح - عدد ٦٨ - جمادى ١ - ٢ ، ١٤٠٢ هـ الشركة الوطنية للنشر والتوزيع : ص ٣٦ .

(٢) الجزائر - وزارة الثقافة - الثقافة - د . علي الشنوفي - عدد ٧٩ : ص ١٣٥ .

والمدرسة ـ الفرنسية ـ الاسلامية ـ التي يشير اليها " أجرون" هي مدرسة الجزائر العاصمة ،فهي لم تكن تضم سوى عدد (٤٤) طالبا جزائريا ، في سنة ١٩٣٠ م ، يدرسون فيها اللغة العربية الى جانب الفرنسية ، وتحوي كذلك عدد (٢٠) طالبا يدرسون اللهجة البربرية الى جانب اللغة الفرنسية ،واللهجة البربرية أدخلها الاستعمار ضمن المناهج الدراسية ليس حبا في البرابرة ولا اعجابا بها وانما تحقيقا لسياسة " فرق تسد "(١) التي اتخذها سبيلا لمحو اللغة العربية وبالتالي القضاء على العقيدة الاسلامية السمحاء .

يتبين لنا أن العدد الاجمالي للطلبة الجزائريين بعد عشرين سنة من احصائيات " أجرون " أنه لم يتجاوز (٦٢) طالبا بالجزائر العاصمة .. أرى في هذه الحالة أن عدد الطلبة الجزائريين في سنة ١٩١٠م لم يتجاوز (٢٠)طالبا ، مهما كان الحال فان العدد الضئيل جدا من الطلبة الجزائريين الذين كانوا يدرسون اللغة العربية في الجزائر ومن وراء بحارها ، يمثل خطرا كبيرا على المستعمر ،وقد عجزت أساليبه الوحشية ووسائله المدمرة القضاء على هذه الفئة القليلة ،كانت فرنسا تعتبر هؤلاء الطلبة " المعمريين " بمثابة " بركان هادئ " قد ينفجر في لحظة ما فيضر بمصالحها .

وانها أرقام ان دلت على شيء انما تدل على قلة المتعلمين الجزائريين داخل الوطن ،وحظوظهم المحدودة في فرص التعليم بالنسبة لسكان الجزائر الذين بلغ عددهم خمسة ملايين ونصف مليون نسمة والثلث منهم بلغ سن الدخول الى المدرسة . أما التعليم حينئذ فلم يحو سوى ٧٠ ألف طفل جزائري مسلم(٢) .

---

(١) الفضيل الورتلاني ـ الجزائر الثائرة ـ منشورات عباد الرحمن ـ ١٩٥٦ م ، بيروت ـ ص : ٤٩ .

(٢) نفس المرجع السابق : ص ١٥٨ .

ولنا في ذكريات " الطالب " لمالك بن نبي " مشهد من المشاهد المتغيرة التي صادفت المؤلف بعد رجوعه الى أرض الوطن ، وهو بمثابة " صورة - فتوغرافية " ذات المغزى العميق .

. . . " وتغير المنظر ، حول المدينة ، بسبب الأبنية التي شيدت خارج السور مثل المدرسة التي شيدت عند باب قسنطينة ، سنة ١٩٣٠م في نطاق عيد المائة سنة على الاحتلال ثم أصبحت مدرسة بنات . وتغيرت أيضا في المنظر الاجتماعي ، داخل السور وخارجه ، قد زالت حلقة تلاوة القرآن التي كانت تعقد منذ أجيال في صحن سيدى بن سعيد بعد كل صلاة ، قد وري التراب واحدا بعد الآخر ، الوجوه التي عرفتها في طفولتي ضمن تلك الحلقة وطغرى الزمان ماكان حولها من التقاليد ، كان جيل المقرئين الذين يحفظون القرآن الكريم عن ظهر قلب ، يأتي بعضهم من عشيرة اللمامشة " وبعضهم من قبيلة " أولاد سيدى يحيى " وآخرون من أولاد " سيدى عبيد " ويتوزعون لحفظ الذكر الحكيم على حلقة " سيدى بن سعيد " ، داخل السور وحلقة سيدى " عبد الرحمن " خارجه ويتوزعون على الأسر الموسرة التي ترتب لها وجبات الطعام ، ثم ينتقلون من حيث آتوا بعد سنوات التحصيل وعدد منهم بقي في المدينة ليتولى بعض الحرف مثل غسل الأموات وتكفينهم وتلاوة القرآن عليهم وتحفيظ الصبيان "[١] .

هكذا كان التخطيط الاستعماري ، القضاء الكامل على التعليم الاسلامي وسد أبواب التعليم جميعها في وجه أبناء الوطن وفقا لسياسة " التجهيل " مما جعل الكثيرون منهم يهجرون البلد سالكين سبيل العلم ، فأصبح هؤلاء بمثابة الثروة الوحيدة لهذا الوطن المحتل .

---

(١) بن نبي مالك - " الطالب " ط ١ - ١٩٧٩م - دار الفكر - بيروت ، ص : ٢٠٠ .

٣ - ظهـور نادى الترقـى :-

لقـد سئـم المثقفـون العزلـة و أصبحـوا يميلـون الى الحياة الاجتماعية أكثر، وذلك لبث العلم أو لتلقيه من غيرهم ، وهم فـي الحقيقة أميل الى الاجتماعات اذ كانوا أصحاب مثل عليا متقاربة في المذاهب الثقافية الى السياسة أو غيرها .

فهذا التقارب في الفكر هو الذى أدى ببعض العلماء الى اقامة ملتقيات في بناءة وسط العاصمة الجزائرية يؤمه بعض الأعيان وطلبة الجامعة والثانويات ، وهم أفراد مثقفون باللسان الفرنسي أو باللسان العربي أو بهما معا .

وهذه التجمعات كانت تقع تحت شعار " نادى الترقي " الذي تم تأسيسه سنة ١٩٢٦م ،وأول من عمل على تأسيسه هو الشيخ رحمة الله عليه " أحمد توفيق المدني " والمواطن الصالح السيد " محمد المرابط " اذ جمع هذان الرجلان طائفة من المصلحين في الجزائر واتفقوا على انشاء ناد يجمع كلمة المسلمين وملتقى للعلماء والمثقفين وكان من هؤلاء : السادة ابن مراد التركي ، محمود بن ونيش ، محمد ازميرلي ، الزواوى الحاج ... وغيرهم[١] .

والمشاركون فيه يوحدهم الحافز الديني والرغبة فى تحرير البلاد من الجهل والذل والاستغلال .

أصبحت تلقى المحاضرات فى قاعات النادى الفسيحة ويقبل الناس عليها اقبالا عظيما رغم اعتراض سلطات الاحتلال طريقهم : وهناك دروسا تعطى وارشادا من طرف شخصيات دينية وغيرها .

اعتاد الشيخ " ابن باديس " ، رحمه الله القاء دروسه في النادى كلما ارتحل

---

(١) دبوز محمد على - نهضة الجزائر الحديثة : جـ٢ - ١٩٧١ - ص : ٧٥ .

الى العاصمة ،أما الشيخ الطيب العقبي ،رحمة الله عليه ،كانت له دروس في التفسير يوميا ،لا تنقطع وكان الناس يأتون هذه الدروس من مدن داخل البلاد لما تحلت به من فصاحة اللسان والبيان وغزارة المعاني والروح الاصلاحية الوطنية المخلصة .

لقد اتجهت دعوة النادي الى طريق اسلامي حيث طالب بتعليم عربي اسلامي ودعا الأمة الجزائرية الى مقاومة سياسة التجنيس من جهة والادماج من جهة أخرى

ومن نتائجه الفعالة أنه " تمكن من تحقيق الحلم الذي كان يراود دعاة النهضة العربية الاسلامية الا وهو تأسيس هيئة اسلامية عربية تنهض بالبلاد نهضة جبارة داخل عروبتها وقوميتها واسلامها فكانت هي جمعية العلماء المسلمين الجزائريين"(١).

---

(١) المدني أحمد توفيق ـ هذه هي الجزائر ـ " مكتبة النهضة المصرية ، ص : ٧٦٥ .

٤ - حـــزب نجـــم شـــمال افريقيـا :

وقبل الانتقال الى رجال الاصلاح " وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين " أعتقد أنه من الواجب التاريخي ذكر حزب " نجمة شمال افريقية " .

يقترن اسم " نجمة شمال افريقية " باسم السيد " مصالي الحاج " ، فهـــــو مهاجر من مدينة تلمسان بالغرب الجزائري ، أنشأ حزب " نجم شمال افريقيا " ســـنة ١٩٢٩م " لمقاومة الاتجاه الفرنسي بالخارج (١) " وأصبح رئيسا لها ، فقد ظهـــر " نجم شمال افريقيا " بفرنسا في صورة " منظمة مدنية عمالية أكثر منها منظمة شـاملة لكل قطاعات المجتمع (٢) " .

بدأ مصالي الحاج " طريقه شيوعيا وتزوج من فرنسية شيوعية بارزة ، ويذكـــر المؤرخون أنه غير اتجاهه تدريجيا الى أن انسلخ كليا عن هذا الحزب اللاديني .

كانت دعوة " نجمة شمال افريقية " منذ نشأتها تطالب بالاستقلال ممـــا أدى بسلطات الاحتلال الى حلها في سنة ١٩٢٩م ، عادت " نجمة شـــمال الفريقية " مـــن جديد الى العمل في سنة ١٩٣٣ وعقدت مؤتمرا عاما بفرنسا .

فما كان على " النجمة " الا أن تعلن اتجاهها رسميا من خلال سلسلة مـــــن المطالب تقدمت بها الى الادارة الفرنسية .

والذي يهمنا هنا هو موقف " النجمة " من التعليم الاسلامي .

أرى أن موقف " نجمة شمال افريقية " من التعليم الاسلامي يمكن تحديده من خـــلال مطالبها ، بغض النظر عن بدايتها الشيوعية فقد طالبت النجمة من الحكومـــــة الاستعمارية الغاء القانون الأهلي فورا هو وجميع الاجراءات الاستثنائية ، كمـــا نددت باعتداءات المعمرين على المدارس العربية ، فطالبت من سلطات الاحتـــلال فك القيود عن اللغة العربية واعتبارها اجبارية لجميع المراحل التعليمية ، وقـــد

---

(١) الطمار محمد - الروابط الثقافية . . مرجع سابق : ص ٢٦٨ .

(٢) سعد الله أبو القاسم - الحركة الوطنية الجزائرية - ج٣ ، ص : ١٢٣ .

عبرت " النجمة " عن سخطها لتدخل ادارة الاستعمار في التعليم الإسلامي وطالبت بتوفير مجالات التعليم لجميع أبناء الوطن الذين لم يتسن لهم الحظ في التعليم ، كما تصدى أعضاء " النجمة " الى السياسة الفرنسية الخبيثة الحاملة لشعار " فرق تسد " مؤكدين للعالم بأسره أن أبناء الجزائر مسلمون والدين الاسلامي ينهى المسلم عن حرب أخيه (١) .

---

(١) جلييسي جوان - ثورة الجزائر - ترجمة عبد الرحمن صحفي أبو طالب ١٩٥٩م- الدار المصرية للتأليف - ص : ٦١ .

خلاصـــــة :-

لقد كان لحلول القرن العشرين أهمية كبيرة بالنسبة للتعليم الاسلامي ، انهـا فترة تاريخية تمتاز بطابع سياسي من النوع الآخر ، فهو يستهدف بالدرجة الأولـــى طبقة المثقفين الجزائريين ، بغية جلبها نحو فرنسا بصفة خاصة وأوربا بصفة عامـــة ، فهي خطة رسمها لنفسه " جونار " الوالي العام في الجزائر المحتلة .

كانت الأساليب المستخدمة تتمثل في ترجمة التراث الجزائري العتيق الى اللغـة الفرنسية بأمر من الوالي العام . كما افتتح المجال أمام مجموعة من الصحف العربيـــة الاسلامية لدخول الأراضي الجزائرية والتي عادت بالخير على التعليم الاسلامي حيث كانت بمثابة " مدرسة متنقلة " تبث الفكر الاسلامي والعلوم النافعة بأنواعها مـــن خلال صفحاتها الغراء .

فقد أدت سياسة " جونار " الى ظهور نوع من الصراع على الساحة الثقافيـــة ، اذ طبعت التفاؤل والاطمئنان على التعليم الاسلامي من جهة ثانية ساعدت علـــى ظهور أول محاولة من نوعها في سياسة الاحتلال ومن " تعليم اللغة الفرنســـية بالعربية " ، وهي خطة رهيبة تهدف الى اخلاء الأماكن القليلة التي بقي يحتلهـــا التعليم الاسلامي ليحل محلها التعليم الفرنسي باسم الرقي والتقدم المزعوم ، وقـــد نجم عن ذلك ظهور طبقة من المثقفين موالين لحكومة الاحتلال سبق ذكر أنموذج من هؤلاء .

وقد صادفت هذه الفترة التاريخية ظهور تيارات خارجية كان لها الأثر الكبـير على التعليم الاسلامي منها التيار المادي الذي نشـر الفقر والحرمان والثاني تيـــار شيوعي الذي ظهر متحديا جميع الأديان .

أما التيارات الأخرى فهي المتمثلة في عودة بعض طلبة العلم جزائريين مـــن المشرق العربي مسلحين بسلاح العلم والمعرفة متحلين بالتربية الاسلامية ، ونجـــم عن ذلك تحرك فعال لبعض العلماء من أجل توحيد الكلمة ضمن " نادي الترقـــي "

الذى أصبح يجمعهم تحت راية الدعوة واليقظة الاسلامية ،فأصبح فيما بعد مجمعا للعلم والمعرفة الاسلامية يلتقى فيه أفراد الشعب الجزائرى .

أما عن جماعة " نجم شمال افريقيا " فقد كانت أهدافها سياسية ،شيوعية البداية الا أنها انحازت الى الحق فيما بعد فأصبحت مطالبها خدمة للوطنية من جهة والقومية من جهة أخرى .

ب - جمعية العلماء المسلمين الجزائريين :-

اتفقت الجماعة التي كانت تتردد على نادي الترقي على تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، فبرزت الى الوجود في شهر " ماي " من سنة ١٩٣١م ، وهي تضم كوكبة من الرجال الراسخين في العلوم الاسلامية منهم (١) :

- الشيخ عبد الحميد بن باديس .
- الشيخ محمد البشير الابراهيمي .
- الشيخ العربي التبسي .
- الشيخ مبارك الميلي .

تم تعيين الشيخ عبد الحميد بن باديس رئيسا بالاجماع وهو غائب ، أما شعار الجمعية فهو كما أعلن عنه رئيسها :

" الاسلام ديننا والعربية لغتنا والجزائر وطننا " .

وقد يجد القارئ لكتاب Heman (٢) " هيمون " تاريخ تأسيس " جمعية العلماء " محدد بعام ١٩٣٦م ، وهذا مايرفضه الواقع التاريخي لأن ج " هيمون " بهذه الطريقة يسلب خمس سنوات من عمر الجمعية ، كلها نشاط ، كفاح وتضحية !

لقد كان ظهور الجمعية بمثابة الضربة الطاعنة الموجهة ضد أعداء الدين والعروبة ، شعارها خير دليل لها " الاسلام ديننا " موجهة ضد النشاط التبشيري من جهة وضد الدعوة المزيفة التي حملها بعض الطرقيين الاستغلاليين من جهة أخرى . " العربية لغتنا " ، بمثابة السلاح الموجه ضد السياسة الاستعمارية من جهة الهادفة الى القضاء على اللغة العربية واستبدالها بالفرنسية ، لغة المعمر ، ومن جهة أخرى فهي ضربة قاضية على اعتقادات الفئة المثقفة ، ثقافة فرنسية " .

---

(١) رابح تركي - الشيخ ابن باديس " فلسفته وجهوده في التربية والتعليم " ص ١٧٤ .

(٢) هيمون ، ج مدخل الى افريقيا الشمالية الحديثة ١٩٧٥م ، مركز الأبحاث العلمية ، باريس ، ص : ٣٦١ (بالفرنسية) .

" الجزائر وطننا " فهي اشارة الى أن هذه الأرض وخيراتها المادية والبشرية جزائرية الأصل وهي ملك لأهلها مهما كلف الأمر لذلك وطال الزمن أم قصر !

الشيخ عبدالحميد بن باديس ، القائد الأول :

مولـــده :-

ولد عبدالحميد بن باديس" سنة ١٨٨٩م الموافق لـ١٣٠٨ هـ بمدينة قسنطينة بين عائلة علم وتصوف شأنها شأن أغلب الأسر الأصيلة في ذلك الزمان ، اذ لم يكن يعرف آنذاك طريق ديني آخر، نشأ في بيئة تسودها الفضيلة والدين ومحبة الغير وحب الخير، في أسرة عريقة في العلوم الدينية والغنى والسمعة الطيبة ،

توارث أجداده العلم واشتهر منهم أبو العباس ابن باديس الذى زاول القضاء ببلدة قسنطينة . أما أبوه فهو محمد المصطفى بن مكي بن باديس[1] ، كان عضوا في المجلس الجزائرى وعضوا في مجلس عمالة قسنطينة ، أمه من أسرة " عبدالجليل " المعروفة بمدينة قسنطينة .

لم يكن ابن باديس يتجاوز الثالث عشر من عمره عندما أتم حفظ القرآن الكريم على يد شيخ اسمه " لونيسي حمدان " ، تعلم على يده مبادئ اللغة العربية والعلوم الدينية بجامع" سيدى محمد النجار " في نفس قسنطينة ، وحين بلوغه سن الخامسة عشر عاما - سنة ١٩٠٤م رأى أبوه من الحكمة تزويج ابنه لابعاده عن الفتن واغراءات المجتمع المنحل ، وفي ١٩٠٨م غادر ابن باديس مسقط رأسه

---

(١) نوابغ العرب - ١٤ - الشيخ عبدالحميد بن باديس - ١٩٧٦م - دار العودة ، بيروت - ص : ٢٨ .

الى تونس فتابع دراسته العالية بجامع الزيتونة ، نال منها العلوم المختلفة عن علماء أجلاء أمثال " محمد النخلي القيرواني " و " محمد الطاهر بن عاشور " وقد أشار الشيخ ابن باديس الى هذا الأخير في مقال نشره في جريدة " البصائر " عام ١٩٣٦م بقوله : " عرفت الاستاذ الطاهر بن عاشور في جامع الزيتونة "(١).

هؤلاء العلماء أصحاب غيرة على الدين والوطن التونسي ، يسعون الى الاصلاح مقتدين في خطة جمال الدين الأفغاني وتلميذه الشيخ " محمد عبده " .

أحرز ابن باديس على شهادة " التطويع " وزاول مهنة الأساتذة لمدة سنة كاملة بجامع الزيتونة ثم رجع الى مسقط رأسه (قسنطينة) فالتحق حينئذ باستاذه " حمدان لونيسي " الذى نهاه عن الانخراط في سلك الوظيف العمومي مادام حيا ، تفرغ ابن باديس منذ ذلك الوقت الى خدمة دينه وشعبه !

ترعرع ابن باديس في بيئة ظهرت فيها " زوايا " وطرق عدة وكل الشيوخ في ذلك الزمان اتبعوا الطرق الصوفية ، كانوا يعتبرونه الدين الوحيد الذى يمت الى السلف الصالح ، مع أنه في الحقيقة كان خروجا عن منهج السلف ، ومن هؤلاء الشيخ المولود الموهوب وابن الخوجة وابن سماية والمجاوى .

فعاش ابن باديس في هذا الوسط الذى لم يعرف من الدين الا القشور وكثيرا من الشعوذة ، فاطلع على أسرار " الطريقة " وأصحابها ، فلم يحبذها قلبه ورفضها ايمانه الصحيح .

فهب حينئذ ابن باديس معلنا الدين الصحيح ، ثائرا على البدع والخرافات مبطلا الباطل ومحقا الحق وقاطعا دابر الضالين المضلين من أساتذة الجهل والتجهيل وأذناب الاستعمار اللعين .

---

(١) الجزائر - وزارة الثقافة - " الثقافة " - تركي رابح - عدد ٦٨ ، جماد ١-٢ ١٤٠٢ هـ - ص : ٣٥ .

فقد اشتاقت نفس ابن باديس الى أداء فريضة الحج فالتقى بشيخه " حمدان لونيسي " في المدينة المنورة ، ألقى دروسا بمحضره بالحرم النبوى ،ثم سافر الى دمشق والقاهرة عائدا الى وطنه ،فكان هذا السفر فرصة لاتمام دراسته وللاطلاع على الأوضاع السياسية والاجتماعية لبعض من البلدان الاسلامية الشقيقة والتقائه بأشهر العلماء الذين شمروا على سواعدهم من أجل انهاض شعوبهم من كبوة التخلف العقائدى والثقافي مجددين بذلك مناهج جمال الدين الأفغانى ، ومحمد عبده وعبد الرحمن الكواكبي ،رسخت في نفس ابن باديس التقية مبادىء الاصلاح الشامل ،ازداد تحمسا وعزما على تخليص شعبه من براثن الجهل وخرافات الطرقية بواسطة جهاد مستميت في سبيل تربية اسلامية ناجحة .

ومن أهم مايذكر عن أعمال ابن باديس الشخصية ،أنه رحمه الله فسر موطأ مالك وختم تفسيره في دروسه المسجدية ،انه لم يكتف بالاصلاح ولا بتدريس الفقه فقط بل تعدى في ذلك الى النظر فى الأصول ليدرك أبواب الاجتهاد(١) ؛ يعرف عن ابن باديس أنه أديب يمتاز أسلوبه بالعذوبة والسلاسة والسهولة . . . أما نثره فبالايجاز والتركيز وقوة العبارة فابن باديس كذلك شاعر موهوب وأغلب شعره أناشيد وطنية حماسية شديدة التأثير على أفراد الشعب صغارا وكبارا(٢) .

وكانت صرخته ،رحمه الله ،بمثابة منهج حياة كفاح متكامل تحت راية التعليم الاسلامي :

شعب الجزائر مسلم ∴ والى العروبة ينتسب
من قال حاد عن أصله ∴ أو قال مات فقد كذب
أورام ادماجا له ∴ رام المحال من الطلب

---

(١) الجزائر - وزارة الثقافة - عبد اللطيف عبادة - الثقافة ،عدد ٨٦ - جماد ، رجب ١٤٠٥ هـ - الجزائر ،ص : ١٧٢ .

(٢) طحان مصطفى محمد - القيادة في العمل الاسلامي : ج٢ ، ١٩٨٥م ،الكويت ص : ١٧١ .

يانشئ أنـــت رجـــاؤنا ∴ وبك الصباح قد اقـــترب
خذ للحيـــاة ســـلاحهـــا ∴ وخف للخطـوب ولا تهـب
من كان يبـــغي ودنـــا ∴ فعل الكرامة والرحـــب
من كان يبغـي ذلنـــا ∴ فله المهانـــة والحـــرب
فاذا هلكـــت فصيحـــتي ∴ تحيـا الجزائـر والعرب

والادماج : هي سياسة استعمارية فرنسية تعنى " اذابة العنصر الجزائري في الكيان الفرنسي العام وبذلك لن تقوم للجزائر كجزء لايتجزأ من العالم العربي الاسلامي قائمة فى يوم من الأيام "(١).

هذه خطة سياسية كاملة رسمها الشيخ ابن باديس رحمه الله لأبناء الوطن لمقاومة أعداء الاسلام والعروبة ،فقد أكد لهم أن الذين يعتقدون في الجزائر - الفرنسية فهم كاذبون ومخطئون ،انما الجزائر مسلمة ،شعبا ،لغة وعقيدة ، ان الشعب الجزائرى لا يزال حيا ولم يرتد عن أصله ،فقد رفض التجنيس بكل قوة ايمانه ،يلتفت ابن باديس حينئذ الى فئة المثقفين الذين يطالبون بالادماج فيرد عليهم أنه طلب مستحيل ،فكيف تطالبون باداماج شعب مسلم عربى فى شعب مسيحي فرنسي !!

يانشئ أنت رجاؤنا ، فهو نداء موجه الى شباب الوطن وبالذات شباب الكشافة الاسلامية الجزائرية التى تكونت على يده ،يدعوهم الى الجهاد والتضحية وفقا للمبادئ السليمة :الترحيب والصداقة لمن يريد الانضمام اليهم ،والحرب والهلاك لمن يبغى الذل والمهانة لهذا الشعب الأبي .

انه منهج تربية اسلامية نابع من القلب المؤمن النقي !

---

(١) تركى رابح - التعليم القومي والشخصية الوطنية - ١٩٣١-١٩٥٦م - ١٩٧٤م القاهرة - ص : ١١٠.

أهم أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين :-

لن أميز بين أعضاء جمعية العلماء ولن أستطيع التمييز بين هؤلاء الرجال القادة البررة الذين قدموا التضحيات الجسمية في سبيل احياء التعليم الاسلامي والعقيدة السمحاء ، فالله عز وجل هو الوحيد القادر على التمييز بين المؤمنين ، سبحانه لقد وضع لنفسه ميزان التقوى لتفضيل الواحد على الآخر ، صدق اللهالعظيم اذ يقول : (ان أكرمكم عند الله أتقاكم)(١).

أما بالنسبة لنا - فانهم رجال اجتمعوا على حب الله والتضحية في سبيل الله ، وتوحدهم الأهداف كما سنرى فيما بعد أن لكل منهم صفة المسجدى بالاضافة الى حفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب .

انه لمن العبث محاولة التفريق بينهم وليس في ذكر أحدهم قبل الآخر تفضيل له ولا تمجيد كما يعتقد البعض - مع الأسف - ، انهم كتاب متعصبون - لشخص دون الآخر بدون سبب مباشر يذكر أو عرض ما - على ما أعتقد - انما أرى في ذلك "بعصبية جهوية" استولت على بعض القلوب منهم ، لم يكن لهذه الظاهرة وجود في ظل الاحتلال انما وجدت مباشرة بعد استقلال الوطن ، جعلت كل واحد من هذه الفئة الغافلة ينفرد بابطال جهته أو بيئته !

لست بصدد الهجوم هنا ولكن الشئ الجدير بالملاحظة هو أنه من واجب الكتاب المسلمين ، الجزائريين خاصة عدم اتباع خطى الغرب الاستعماري ، هؤلاء يترقبون الفرصة لخلق التشويش والبلبلة داخل الأسرة الاسلامية الكبيرة في محاولة منهم فك رابطة الأخوة العقائدية المتينة التي تربط بين الأشقاء وتشدهم فيما بينهم كالبنيان المرصوص .

---

(١) الآية (١٣) من سورة الحجرات .

فما الفائدة يا ترى أن يهاجم أحد الكتاب الجزائريين من جهة ما بالجزائر المسلمة ، أحد المؤرخين الجزائريين المعاصرين فيؤاخذه على اهمال دعوة جهته تلك والنقص من شأن دعاتها . . . كما يعاتبه على عدم التركيز في ذكر شخص معين من أعضاء الجمعية . . !!

انهم رجال حملوا لواء الدعوة الاصلاحية فبثوها في جميع أرجاء الوطن انه لمن الصعوبة التعرض لجميع العلماء الأجلاء وتلاميذهم فيما بعد الذين ساهموا في النهضة الجزائرية الحديثة ، انما يكفي أن نجمعهم ضمن " جمعية العلماء المسلمين الجزائريين " فهي التي وحدت الصفوف والكلمة ووجهت الأهداف.

١- الشيخ البشير الابراهيمي :

هو البشير الابراهيمي كما عرف نفسه في قوله : " أنا [١] محمد البشير الابراهيمي ولدت يوم الخميس عند طلوع الشمس في الثالث من شهر شوال سنة ١٣٠٦هـ الموافقة ١٨٨٩م . . اتسلى بأنني ألفت للشعب رجالا ، وعملت لتحرير عقوله تمهيدا لتحرير أجساده ، وصححت له دينه ولغته فأصبح مسلما عربيا وصححت موازين ادراكه فأصبح انسانا أبيا ، وحسبي هذا مقربا من رضى الرب ورضى الشعب".

هكذا رحمه الله تعالى في جملة واحدة لخص كفاحه الذي خاضه في ميدان التعليم الاسلامي قولا وعملا .

ومن الكتاب من [٢] عرفه بابن المسجد ، بعد أن حفظ القرآن في بلده سافر الى جبال القبائل ، دخل زاوية بن علي بن الشريف " المشهورة ، لمدة أربع سنوات، انتقل فيما بعد الى المسجد النبوي بالمدينة المنورة ، ويكشف لنا البشير الابراهيمي عن لقائه بالشيخ عبد الحميد بن باديس فيقول : -

---

(١) الجزائر - وزارة الثقافة - ابراهيمي - الثقافة - عدد ٨٧ - شعبان - رمضان : ١٤٠٥هـ - ص: ١١ .

(٢) دبوز محمد علي - نهضة الجزائر الحديثة - ١٩٧١م - الجزائر : ص ٧٤ .

" في المدينة المنورة بعد استقراري فيها سنة وبضعة أشهر فقط تم اللقاء . . . بأخي ورفيقي في الجهاد بعد ذلك ، الشيخ عبد الحميد بن باديس " ، أعلم علماء الشمال الافريقي - ولا أغالي - وباني النهضات العلمية والأدبية والاجتماعية والسياسية للجزائر . . يكبرني الشيخ بنحو سنة وبضعة أشهر . . لم نجتمع قبل الهجرة الى المدينة ، ولم نتعارف الا بالسماع لأني كنت عاكفا في بيت والدي . .

وأشهد الله على أن تلك الليالي من سنة ١٩١٣م ، بالمدينة المنورة ، رفقة الشيخ) هي التي وضعت فيها الأسس الأولى لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي لم تبرز الى الوجود الا في سنة ١٩٣١م (١) .

٢ - الشيخ الطيب العقبي :

هلم بنا ياقوم نحو العلا نرقى ∴ لتجديد دين الله ، فهو الذي يبقى
ودونكم أهل الغواية والردى ∴ ففيهم وعيد الله ، لاشك قد حقا
أناس دعوكم للضلال وناصبوا ∴ ذوي العلم والتقوى العداء لهم حمقا (٢) .

انها أبيات من قصيدة معروفة للشيخ " العقبي " رحمه الله نشرت له في الشهاب الاسبوعي سنة ١٩٢٧م تحت عنوان " عليكم بنهج الصالحين " .

كما جاء في ذكر الكاتب " محمد علي دبوز " عن الشيخ العقبي رحمه الله ، " أنه كان مسجديا في نشأته وفي مراحل جهاده " ، فبعد أن حفظ القرآن كله واستظهره في المدينة المنورة رابط في المسجد النبوي لدراسة العلوم ، ولما رجع الى الجزائر رابط في جامع بكار ببسكرة للتدريس والوعظ ، لقد منعته حكومة الاحتلال عن

---

(١) الجزائر - وزارة الثقافة - الابراهيمي - " الثقافة " ، نفس المرجع : ص ٢٠ .

(٢) خرفي صالح - صفحات من الجزائر - دراسات ومقالات - ١٩٦٢ - ١٩٧٢م ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع : ص ٢٨٥ .

الجامع الكبير بالعاصمة فاختار حينئذ " نادى الترقي " ورابط فيه ، جعل في النادى مسجدا يصلى فيه الجماعة ، كان هو الامام والواعظ المرشد في النادى[١] !

لقد كان للشيخ العقبي أهدافا رئيسية يسعى الى تحقيقها أهمها[٢] :

١- تحسين التعليم العام والتعليم المهني .

٢- العمل من أجل التربية والأخلاق .

٣- خدمة أوجه الخير والتعاون .

٤- السعي من أجل حرية القاء الخطب في المساجد وحرية التعليم القرآني .

ويصفه الشيخ ابن باديس وهو في رحلة (وفد المؤتمر الاسلامى) الى باريس سنة ١٩٣٦م فيقول : فلما ترنحت السفينة على الأمواج وهب النسيم العليل هب العقبي الشاعر من رقدته ، وأخذ يشنف أسماعنا بأشعاره ويطربنا بنغمته الحجازية مرة والنجدية أخرى ويرتجل البيتين والثلاثة والأربعة في المناسبات وهاج الرجل شوقه الى الحجاز فلو ملك قيادة الباخرة لما سار بها إلا الى جده دون تعريج على مرسى ، وان رجلا يحمل هذا الشوق كله الى الحجاز ثم يكبته ويصبر على بلاء الجزائر وويلاتها ومظالمها لرجل ضحى في سبيل الجزائر تضحية أى تضحية[٣] .

٣ - الشيخ العربي التبسي :

ابن المسجد ، حفظ القرآن الكريم في الكتاتيب بمدينة " تبسة " الجزائرية ، تلقى مبادئ العلوم بمسجد " نفطة " الذى كان بمثابة معهد ثم انتقل الى جامع

---

(١) دبوز محمد على - نهضة الجزائر الحديثة - ج ٢ - ١٩٧١م - الجزائر ، ص : ٧٧ .

(٢) بوصفصاف عبد الكريم - جمعية العلماء ... مرجع سابق : ص ٢٩٣ .

(٣) خرفي صالح - المرجع السابق ، ص : ٢٨٤ .

الزيتونـــــــــــــــــــه ،لقد كان الشيخ العربي التبسي رحمه الله يقـــيم بجوار المسجد في مدينته فكان هو المعهد الذى يلتقى فيه بتلاميذه وهـــــو الميدان الذى انطلق منه كفاحه في ميدان التعليم الاسلامى والتربية الاســـلامية الأصـــيلة[١] .

لقد كان الشيخ العربي التبسي نائب رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ومدير معهد " عبد الحميد بن باديس " ، وهو صاحب الآثار الجليلة في العـــــلم والاصلاح ، كما أنه رحمه الله عالم عريق عاش في تونس والقاهرة طالبا مجدا ثـــــم انتقل منها الى وطنه الجزائر ليعمل بها معلما ،مربيا لمدة تتجاوز العشرين سنة.

٤- الشـــيخ مبارك الميلي :

أهم مايذكر عن الشـــيخ مبارك الميلي ،رحمه الله ،أنه كان مسجديا ، حامـــل القرآن الكريم مثل سائر أعضاء الجمعية ،لا تفوته الجماعة قطا ،وقد رابط فـــي المسجد العتيق بمدينة - " الأغواط " حيث كان يلقى دروسه للعامة ، وانتقـــل فيما بعد الى " ميلة " فاستقر فيها سنة ١٩٣٣م ،وكان أول عمل قام به " بالميلة " انشاء مسجد يقوم فيه بتعليم النشئ وتربيته وفقا لمبادئ التربية الاسلامية السليمة الى أن اشتد عليه المرض سنة ١٩٤٥م فتوفاه الله عز وجل[٢] .

---

(١) دبوز محمد على - نهضة الجزائر الحديثة - ج ٢ - ١٩٧١م - الجزائر ، ص ٧٧ .

(٢) دبوز محمد على - نهضة الجزائر الحديثة - ج ٢ ، ١٩٧١م - الجزائـــر ، ص ٧٨ .

مبـادئ جمعية العلماء :

لقد كثر رجال الاصلاح قبل " ابن باديس " وفي زمانه ، أمثال جمال الدين الأفغاني ورشـيد رضا ، والشيخ محمد عبده ، وغيرهم كثير في بلاد الهند .

فمنهم من كان يميل الى اعطاء الأولوية للاصلاح السياسي قبل كل شئ مثـل الاستاذ جمال الدين الأفغاني .. ومنهم من كان يحبذ مكافحة الاستعمار أولا بواسطة التعليم الاسلامي الذي هو أنجح خطة في انهاض الشعوب الاسلامية من كبوتهـا ، فكان يحرض المؤمنين على بناء المساجد والمدارس وتكوين الأساتذة الأكفاء .. وبث التربية الاسلامية في كل أنحاء العالم الاسلامي .

فكان " ابن باديس " من أولئك الذين يميلون الى القيام بالثورة الثقافية قبل الثورة السياسية ، فاتصل بالشيخ " محمد عبده " فزوده هذا الأخير بالنصائح الثمينة وعلى اثر ذلك انقطع الشيخ " ابن باديس " الى معركته الكبرى ضد الاستعمار وأتباعه من الطرقيين من جهة والجهل من جهة أخرى ، فهب هبة المنقذ ، يربي الكهـول والشباب في المساجد ويربي الصغار من أبناء المسلمين في المدارس .

هناك عوامل شتى ساعدت الى ظهور الدعوة السلفية بالجزائر على يد " الجمعية " المناضلة ، من أهم هذه العوامل : وصول بعض المجلات الاسلامية من المشرق العربي الى الوطن الجزائري ، وهي حقا كما قال عنها - مولود " جوت " مدارس متجولة ليسـت محصورة بين جدران ولا يختص بها مكان دون مكان وهي أوسع دائرة التعلـيم تهذب العامة وترتب أفكار الخاصة وتنهض الهمم القاعدة وتصلح الألسن الفاسدة ، تضرب الأمم المتباعدة وهي سجل الأخبار ووعاء التاريخ وتقويم الزمن[١] .

---

(١) أبو الصفصاف عبد الكريم - جمعية العلماء المسلمين الجزائريين (١٩٣٣ - ١٩٤٥) ط ١ - ١٩٨١م - ص : ١٣٩ .

فهو تعريف نشرته جريدة " أبي اليقظان " التي تحمل اسم " الصحافة الأهلية في الجزائر - عدد ١٠٦ - ١٩٣٧م ، حقا ، هكذا كان الأمر بالنسبة لمجلة " المنار " احدى المجلات الاسلامية المصرية للشيخ رشيد رضا ، كان لها الصدى البعيد في النفوس المؤمنة ، اذ كما أشار اليه المؤرخون ، فقد فوجئ الامام " محمد عبده " حين زيارته للجزائر لأول مرة سنة ١٩٠٣م بوجود حزب ديني كونته مجلة " المنار " ، وعهد الشيخ " محمد عبده " من طرف علماء جزائريين آنذاك ، أمثال الشيخ محمد بن الخوجة والشيخ عبد الحليم بن سماية ، بأن يوصي صاحب " المنار " بتجنب ذكر الدولة الفرنسية بما يسوؤها خشية أن تمنع " المنار " من الدخول الى الجزائر ، انها بمثابة المغذى الروحي لهم ، وقد كتب الشيخ رشيد رض عن " محمد عبده " قائلا : " وقد وجد له في تونس والجزائر حزبا دينيا ينتمي اليه من حيث لم يكن يعلم وانما الصلة بينهم وبينه مجلة " المنار "[1] .

وما يلاحظ أن هذا الحزب الديني بقي محدود الانتشار في الجزائر، لم تظهر فعاليته الا مع الشيخ عبد الحميد بن باديس الى الميدان العام .

وقد يذكر في كتابات الجنوب الجزائري مدى الحماس الكبير الذي يبديه علماء " وادي ميزاب " وزعماء نهضتها لحركة " محمد عبده " ، انهم يطلقون على أنفسهم " تلاميذه محمد عبده " من بين هؤلاء علماء الجنوب الأجلاء ، الشيخ " يحيى بن صالح " والشيخ " الحاج عمر بكلي " و" سليمان بن بنوح " والشيخ " الحاج عمر " الذي كان مغرما بكتب الشيخ " محمد عبده " وتاريخه ، وما يذكره هذا الكاتب الجليل[2] أنه تلقى شخصيا دروسا عن " رسالة الشيخ " محمد عبده " في " التوحيد " على يد

---

(١) الجزائر - وزارة الثقافة - تركي رابح - الثقافة - عدد ٦٨ جماد ١ - ٢ ، ١٤٠٢ هـ ، ص : ٣٢ .

(٢) دبوز محمد علي - نهضة الجزائر الحديثة - المرجع السابق - ص ٣١ / ٣٢ .

امام النهضة بالجنوب الجزائرى الشيخ " بيوض "الذى حسب هذا الشاهد الآبي ، أنه كان يردد : " ان مقصدى في هذه الدروس وغيرها هو مقصد الشيخ " محمد عبده" أن أخلق عقولا تتذوق بلاغة القرآن وتغوصا فيها طهر القرآن وتلاميذ مصلحين يكونون جند القرآن "(١).

والشيخ البيوض من الذين ساروا فى الطريق الذى دعا اليه الشيخ " محمد عبده " ،فكان باهرا ، فالطريق الوحيد عنده للنهضة والوصل الى جمع كلمة الأمة والقضاء على استبداد السادة المعمرين هو التربية والتعليم والاصلاح التدريجي (٢). وقد أصبح الكثيرون يدرسون لتلاميذهم " رسالة التوحيد للشيخ محمد عبده " أمثال الشيخ " عبد الحليم بن سماية في مدرسة الثعالبية الاستعمارية ، سلك منهج الشيخ في تفسير القرآن الكريم لتلاميذه ، اتبعه فى ذلك الشيخ عبد القادر المجاوى ، والشيخ ابن أبى شنب في الثعالبية أيضا (٣).

وفيما يخص الشيخ ابن باديس فقد كانت هجرته الى طلب العلم موفقة منذ البداية حيث تعرف ابن باديس على " مدرسة التجديد الاسلامى " كما يسميها البعض، وهي المدرسة الفكرية للامام " محمد عبده " عن طريق أساتذته المحترمين فمنهم " محمد النخلي القيرواني " و" الطاهر بن عاشور " اللذان سبق ذكرهما آنفا .

ومن أهم مبادئ هذه المدرسة الفكرية : كتاب الله عز وجل وسنة نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم .

فمن الكتاب والسنة انطلقت معركة الاصلاح التى خاضها الشيخ محمد عبده من خلال مدرسته ، فقد كان يدعو بالرجوع الى كتاب الله تعالى وسنة رسوله الكريم

---

(١) دبوز محمد على - نهضة الجزائر الحديثة - المرجع السابق ، ص ٣١ / ٣٢ .

(٢) مجلة " منبر الاسلام " - عدد ٦ - جماد الآخرة ١٣٨٣هـ - القاهرة ، مقال : حسن عبد المجيد : ص ٦٨ .

(٣) دبوز محمد على - نهضة الجزائر الحديثة - جـ٢ - ١٩٧١م - الجزائر، ص : ١٥ .

صلى الله عليه وسلم في كل شأن من شؤون الحياة واتباع طريق السلف الصالح في فهم الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة ،كان رحمه الله يدعو الى محاربة البدع والخرافات ، أعلنها حربا عنيفة ضد الشرك بالله كالاستغاثة بدون الله أى بالأولياء والأضرحة وطلب الحاجة منها والتبرك بالأحجار ، وشتى أنواع البدع والضلالات .

فهذه هى بايجاز شديد المبادئ التى رسمتها لنفسها المدرسة السلفية، وقد وجهت جل اهتمامات الشيخ " محمد عبده " نحو اصلاح التربية والتعليم ، الا أنه لم ينل النجاح الذى كان يأمله فى هذا الميدان لأسباب عديدة ،أهمها : المعارضة الشديدة التى لاقاها من العلماء أنفسهم ، فما كان هؤلاء على استعداد لقبول أية فكرة جديدة تدعوهم الى تغيير مناهجهم التقليدية ،العقبة التى وضعوها لأنفسهم ثاروا ضده واتهموه ، رحمة الله عليه ،بخدعة أو حيلة يراد بها القضاء على الأزهر الشريف ، وهذا مابينه لنا الشيخ " رشيد رضا " اذ حسب قوله أن بعض شيوخ الأزهر خيل اليهم انما " محمد عبده " استماله الاستعمار الانجليزى فى مصر ،فأصبح أداة بيده ولم ينل الوظائف الكبرى الا بهذا السبب (١) .

على كل حال ،لن أخوض فى الحديث عن محمد عبده والمدرسة السلفية أكثر من هذا ،ذلك يتطلب بحثا لوحده ، ومايجب الاشارة اليه فى هذا الصدد هو أنه ليس من صالح الأمة الاسلامية أن يبقى بعض كتابنا المسلمين ولا قرائنا منهمكين فى نقد أمثال جمال الدين الأفغانى والامام محمد عبده أوكما فعلوه فيما بعد بالنسبة للامام عبدالحميد بن باديس وجمعية العلماء . . . فان هذا النقد يرجع عادة الى سوء فهم لدى البعض وغالبا مايكون سببه قلة الاطلاع أو قلة المراجع المتوفرة بين أيدى القارئ الناقد " يجب ألا ينسى هؤلاء سوء القصد الذى يتستر به الكثير من المؤرخين الغربيين فى تفسيراتهم لوقائع تاريخية اسلامية .

---

(١) الجزائر - وزارة الثقافة - " الثقافة " محمود قاسم - عدد ٨٢ - ذو القعدة ، ذو الحجة - ١٤٠٤ هـ - ص ٢٥ .

وهذا المنهج الأخير قد اتبعه معظم المؤرخين الفرنسيين في تدوين تاريخ الجزائر الاسلامي .

على كل حال ،فمن علامات " الصحة " بالمشرق العربي أن الأزهر الشريف الذي وقف علماؤه في وجه حركة الاصلاح الثقافية التي قادها الشيخ " محمد عبده " بدأت تدب فيه الحياة من جديد - هاهو يفتح الصدر الرحب لأبناء الأمة الاسلامية .

أما ابن باديس فقد اهتم من جانبه اهتماما بالغا بميدان التربية والتعليم وقوله التالي يذكرنا بقول الشيخ " محمد عبده " على لسان الشيخ " بيوض فيما سبق :

.. " والحمد لله ، نربي تلامذتنا على القرآن ،نوجه نفوسهم الى القرآن من أول يوم وفي كل يوم وغايتنا التي ستحقق ،أن يكون القرآن منهم رجالا كرجال سلفهم وعلى هؤلاء الرجال القرآنيين تُعَلَّق هذه الأمة آمالها في سبيل تكوينهم ، تلتقي جهودنا وجهودها " (١) ..

والعبارة هذه قد تغنينا عن تلخيص جملة الأسس والمبادئ التي تقوم عليها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين .

لقد انطلقت الجمعية تعمل في ظروف صعبة وقاسية ،فهي تواجه استعمارا بأنواعه بل البلاء الذي ينصب من شتى جهات متعاونة فيما بينها ، كما جاء في قول الشيخ البشير الابراهيمي ،اذ حدد الاستعمار بنوعين : نوع مادي ، ونوع روحاني .

" استعمار مادي ، هو الاستعمار الفرنسي الذي يعتمد على الحديد والنار .

واستعمار روحاني يمثله مشايخ الطرق المؤثرون في الشعب والمتغلغلون في جميع أوساطه ، المتاجرون بالدين ، المتعاونون مع الاستعمار " (٢) .

---

(١) الجزائر- وزارة الثقافة - " الثقافة " رابح تركي - عدد ٦٨ ، جمادى ١ - ٢ ، ١٩٨٢م ص : ٤٦١ .

(٢) طلبة جامعة قسنطينة " مجلة الضاد " - عدد ٣ ، مارس ، فريل - ١٩٧٩ ، ص : ٤٣ .

ويضيف الابراهيمي في قوله : . . " فكان من سداد الرأى وأحكام التدبير بيني وبين ابن باديس أن تبدأ الجمعية بمحاربة هذا الاستعمار الثاني وهو وأهون وكذلك فعلنا"(١).

فالانسان اذا ضعفت عقيدته ، نسي الله وحرم الغذاء الروحي الذى يمد الله به المؤمنين ، صار عبدا للطبيعة المادية ، فأشرك بالله الطبيعة المادية وقوانينها الحتمية وانحط الى مستوى الحيوان مجردا من العقل السليم ، فانقاد الى أهوائه وأصبح يعبد الأوثان ويطمئن الى الخرافات .

ولما ضل عن الحق انعدم عن المعاني والأفكار والمفاهيم الروحانية الالهية السامية وانتقل الى التصورات الساقطة ، النافية للشرف والعزة والانسانية والكرامة .. صار ادراكه قصير المدى وانسدت أمامه أبواب الرحمة والهداية .

فهذا ما آل اليه أمر الطرقية المنحرفة فأصبح أهلها عاجزين عن الاتكال على الله تعالى الواحد ، والخوض في العمل الصالح ، وبهذا رأت " جمعية العلماء" في الطرقية هذه حاجزا يجب ازالته ، وانطلقت أعمال الجمعية بتنظيم الخطب والمحاضرات العامة في المساجد والأندية القليلة الموجودة آنذاك ، واقتحمت الأسواق والمقاهي لتوجيه الناس وارشادهم الى اتباع الحق وترك الباطل ، وشرعت الجمعية في انشاء عدد من المدارس ، وصل الى الثلاثمائة مدرسة في عهد " ابن باديس" رحمه الله فهي مدارس اسلامية ، خاصة بالجمعية تبث من خلالها الفكر الاصلاحي السلفي .

ومن أهم مقاصد تعليم جمعية العلماء :

١- الرجوع الى الاعتقاد الصحيح السلفي وبالتالي محاربة البدع والطرقية والخرافات التي ازداد نشاطها في ذلك العهد .

---

(١) الجزائر - وزارة الثقافة - الثقافة - البشير الابراهيمي - عدد ٨٧ شعبان رمضان - ١٤٠٥ هـ - ص : ٢٦ .

٢- تعليم الصغار والشباب المسلم تعليما عربيا ، اسلاميا .

٣- السعي في سبيل وحدة عربية اسلامية والعمل على اقامة حقوق الانسان بهذه الأرض المضطهدة .

غير أن الاستعمار تخوف كثيرا من عواقبها ، لأن السياسة الاستعمارية التعليمية في الجزائر - كما سبق الذكر ، تهدف الى فصل الجزائر عن الشعوب العربية الاسلامية الأخرى ، وفرنسة الأفكار واللسان ومسخ العقيدة الاسلامية بالمسيحية المحرفة ، والاستعمار يريد شعبا ذليلا في طاعته واذا بمبادئ جمعية العلماء تؤدي الى تنوير الأفكار والحياة الحرة ووحدة الشعوب وهذا مالا ترضاه الحكومة الفرنسية ولا المعمر داخل الأراضي الجزائرية فمن المتوقع اذا أن يبادر الاستعمار بمضايقاته واضطهاده التعسفي لـ"جمعية العلماء المسلمين الجزائريين" والتصدي لنشاطها ومحاربة أعضائها عن طريق القتل أو النفي أو التعذيب .

الا أن "جمعية العلماء" عزمت على مواصلة طريق الجهاد في سبيل الله ثم الوطن ، والجهاد لم يكن في يوم ما بالحديد والنار فحسب وانما للجهاد معاني واسعة وأساليب شتى وأهم من ذلك هو الايمان الشديد بقوله عز وجل : (لا يغير الله مابقوم حتى يغيروا مابأنفسهم .(١)) الذي كان يملأقلوب أعضاء الجمعية ، فالشيخ" ابن باديس" من الرجال الذين يؤمنون بأن الاصلاح الاجتماعي يقوم على أساس العقيدة الاسلامية الأصيلة وأن التعليم الاسلامي سلاح قوي في يد المؤمن لقوله صلى الله عليه وسلم : " المؤمن القوي خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف"(٢) ، والقوة هذه لم يربطها عليه الصلاة والسلام بقوة مادية وانما أساس القوى لدى المؤمن ينبع من قلبه التقي ، فان الشخص الضعيف السيئ الخلق والمنحرف العقيدة يسيئ استخدام السلاح قطعا ، مهما كان نوعه وبالتالي يسهل القضاء عليه بالتأكيد .

---

(١) آية (١١) من سورة الرعد .

(٢) حديث رواه مسلم في القدر : ١/ ٣١ رقم ٧٩ .

اذا فقد كان أسلوب عمل الجمعية يتمثل في تطهير القلوب وتربية النفوس ، يقول الشيخ عبد الحميد بن باديس رحمه الله : " ان الذى نوجه اليه الاهتمام الأعظم في تربية أنفسنا وتربية غيرنا هو تصحيح العقائد وتقويم الأخلاق ، فالباطن أساس الظاهر[١] " ، وبالفعل بادرت جمعية العلماء الى تجنيد أعضائها في نواحي القطر في المدن والأرياف من أجل بث الدعوة وكسب الأنصار وانشاء مؤسسات تعليمية حرة ، من مدارس ومساجد . . فروع ومنظمات تتكفل بالعمل المحلي تحت اشراف اللجنة المركزية بالعاصمة ، مقر " الجمعية " ، وقد " أذن " الشيخ ابن باديس في الناس ، أبناء الوطن الجزائرى من علماء والأساتذة المهاجرين يدعوهم الى العودة في سبيل مساهمة جماعية فعالة في النهوض بالتعليم الاسلامى حين قال لهم رحمه الله : " يجب أن يفتح الجزائريون قلوبهم الى العلم وأعينهم على العالم فحب العلم يجب أن يكون مبدأ يهتدى به كل جزائرى[٢] " .

---

(١) د . طالبي عمار - كتاب ابن باديس - جـ١ . ص : ١٠٠ .

(٢) الجزائر - وزارة التعليم - اصلاح التعليم - ١٩٧٤م - ص : ٥١ .

التعليم الاسلامي في عهد جمعية العلماء :-

" رغم الجهود الجبارة فان الادارة الفرنسية لم تتمكن من تسجيل العدد الكامل للشباب الجزائري "(١).

فبمثل هذه العبارات كان الفرنسيون يبررون سياستهم الاستعمارية ، انهم من جهة يفخرون بأنهم أوجدوا المدارس ونشروا التعليم والحضارة بل أنهم أوجدوا "الجزائر" بكاملها ومن جهة أخرى يحاولون تبرير الحكومة المحتلة على الحالة التي وصل اليها الأهالي من جهل وضلال ! فان كانت فرنسا قد شيدت المدارس الكثيرة انما كانت كلها من أجل أبنائها ، والاحصائيات خير دليل عليها . ٨٠٪ من مجموع أولاد الجزائريين لا يذهبون الى المدارس ، مايعادل تقريبا ٤٣٠.٠٠٠ تلميذ فقط من أصل ١.٢٢٠.٠٠٠ شخص في سن الدراسة (٢).

انها سياسة التمييز العنصري التي ترفع من شأن الأوربي على العربي ، وسياسة التجهيل والتفقير " رسمتها فرنسا لنفسها ، لقد واجه التعليم الاسلامي في الجزائر معركة كبيرة لمدة سنين طويلة كاد أن يقضى عليه بل قضى عليه في المؤسسات الرسمية ولم يبق سوى في الكتاتيب والزوايا المعزولة الفقيرة التي رغم ذلك تمكنت مواصلة مسيرتها فيها ، الى أن جاء الفرج مع ظهور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين !

انها مقاومة ضد الاستعمار الفرنسي بسلاح التعليم الاسلامي ونفس السلاح حملته دعوة الشيخ " محمد عبده " رحمه الله قبل نهاية القرن التاسع عشر (٣).

فقد مرّ التعليم الاسلامي في عهد جمعية العلماء بفترات جمعها السيد تركي رابح في ثلاث مراحل رئيسية :

---

(١) تنظيم التعليم العربي ، مرجع سابق : ص ١٨ .

(٢) فيكس ليون - الجزائر حتف الاستعمار - ترجمة محمد عيتاني - مكتبة المعارف ، ص : ١٧ .

(٣) الجندي أنور - الفكر والثقافة المعاصرة في شمال افريقيا - الدار القومية للطباعة والنشر - القاهرة ١٩٦٥م ، ص : ٤٥ .

المرحلة الأولى : ١٩٣١ - ١٩٣٩م فترة الشيخ ابن باديس .

المرحلة الثانية : ١٩٣٩- ١٩٤٤م فترة الحرب العالمية الثانية .

المرحلة الثالثة : ١٩٤٤- ١٩٥٦م مابعد الحرب .(١)

الا أنني أرى هذه المراحل على النحو التالي :

المرحلة الأولى : ١٩٣٠ - ١٩٤٠م

المرحلة الثانية : ١٩٤٠ - ١٩٤٣م

المرحلة الثالثة : ١٩٤٣ - ١٩٥٦م

والسبب في ذلك هو أنني اعتبرت سنة ١٩٣٠م سنة تمهيدية بالنسبة لجمعية العلماء التي كانت قد زرعت بذورها ولم يعلن عنها رسميا الا في سنة ١٩٣١م ، أما عام ١٩٤٠م فهو تاريخ يوافق وفاة الشيخ عبدالحميد بن باديس رحمه الله ، ويصادف من جهة أخرى تاريخ نفي الشيخ البشير الابراهيمي " الرجل الثاني في الجمعية ، وسنة ١٩٤٣م هي السنة التي تم فيها اطلاق سراح الشيخ البشير الابراهيمي فخرج من منفاه .

أما سنة ١٩٥٦ م هي السنة التي توقف فيها نشاط الجمعية بسبب ثورة ١٩٥٤م التحريرية .

م - تميزت المرحلة الأولى من نشاط جمعية العلماء بحملة اعلامية واسعة النطاق عن طريق الصحف والمجلات والمحاضرات والندوات لتوضح أهداف الجمعية ومبادئها ، فأذنت في الناس بالصحوة واليقظة من أجل النهوض بالتعليم الاسلامي ، هذا التعليم الذي قضت عليه أو كادت أن تقضي عليه فرنسا الطاغية انما هي جماعة من العلماء الأجلاء تطلب من الشعب الأبي مساندته الكاملة والتضامن الفعال ماديا ومعنويا في سبيل نشر التعليم الاسلامي وفتح المدارس والمساجد وتجنيدها في خدمة التعليم الاسلامي .

---

(١) تركي رابح - التعليم القومي والشخصية الوطنية ١٩٣١-١٩٥٦ - ص : ٢١١ .

لقد كان الهدف الأساسي لجمعية العلماء هو العناية بتربية الصغار والكبار معا ، تربية اسلامية خالية من البدع والخرافات التي أقحمت فيه اقحاما من طـــرف ذوى الأهداف الشخصية وتوجيههم توجيها اسلاميا عربيا وطنيا - ولعلنا نجد في قـــول الشيخ التبسي ، رحمه الله ، خير تعبير لها :

" أيها الاخوة ، ان جمعيتكم هذه قد وجدت لخدمة الاسلام وبث علومه ورد الشبهة عنه ونشر فضائله ودعوة الناس الى هدى الملّة ، أمر هو في وضوحه وانتشاره وعمومه كاليوم الشامس لا تخفى أضواؤه ولا تخص أشعته جهة دون جهة "(١).

فمن هنا انطلق الشيخ عبد الحميد ابن باديس بالمعركة وكانت أولى المدارس التي أسستها الجمعية هي مدرسة " التربية والتعليم " بقسنطينة سنة ١٩٣٦م ومدرســـة الشبيبة الاسلامية بالجزائر العاصمة ومدرسة تهذيب البنين بمدينة " تبسة " ولم تسلم هذه المدارس من هجمات المعمرين ، من حكام ومسؤولين اذ وصفوها بالتأخر وعـــدم كفاءة اطاراتها ومعلميها حسب قولهم ، بدون أي تكوين علمي ويعطون تعليما رديئا "(٢).

انما الحقيقة غير ذلك ، فقد كانت جمعية العلماء تتمتع بعناصر من علماء وشـــيوخ أجلاء ، خريجي الزيتونة والأزهر الشريف ، وكان التعليم يُعطَى وفقا لمناهج حديثـــة على أساس علمي من الدراسة والتخطيط ، كما كانت " الجمعية " حريصة كـــل الحرص لتوفير سبل الراحة والصحة للمتعلم . فلم تدخر مالا ولا جهدا من أجل النهوض بهـذه الأمة الاسلامية .

فلم تحن نهاية السنة الأولى حتى ظهرت النتائج المشرقة لصالح التعليم الاسلامي لقول الشيخ البشير الابراهيمي ، رحمه الله : " كأن تلامذة السنة الماضية أذنوا فـــي جهات القطر آذانا عاليا ، وناد وا في جنباته نداء متواليا ، حتي على المعهد ، حي على خير العمل "(٣). فتلاحق المدد وتضاعف العدد .

---

(١) الرفاعي أحمد - الامام الشيخ العربي التبسي - مقالات في الدعوة ، قسم ٢ ، ص: ٢٢ .

(٢) تنظيم اللغة العربية - ١٩٦١م - مرجع سابق - ص : ١٨ .

(٣) الابراهيمي - عيون البصائر - ط ٢ - ص : ٢٢١ .

وقد وصف الشيخ الابراهيمي مدارس " جمعية العلماء " وصفا أدبيا رائعا ، اذ مثلها " بنجوم متألفة في ليل الجزائر الحالك ، منها الكبيرة ، ومنها الصغيرة ، ولكل واحدة حظها من اللألئ والاشراق ، وقسطها من الاضاءة لجانب من جوانب هذا الوطن الذي طال في الجهل ليله وأقام بالأمية ويله "(١).

ازداد عدد التلاميذ واضطرت جمعية العلماء أن تفتح المزيد من المدارس لاستقبال الأفواج المتدفقة من شتى أنحاء الوطن ، تضاعف نشاط العلماء والأساتذة نتيجة لشعورهم بعظمة المسؤولية ، فازدادوا حماسا لنا في ذلك شهادة أحد المعاصرين اذ يصور المعهد " الباديسي " آنذاك وهو تلميذ ضمن تلامذته ، يبدأ حديثه عن النظام الداخلي السائد آنذاك بالمعهد والحالة المتواضعة التي كان عليها اذ يقدم الغذاء لعامة الطلبة وهو يتمثل في وجبة " الكسكسي " صباحا ومساءا ، وقد كان الكثير يعجز عن شراء الزيت أو التوابل وكان اللباس يقدم مع الأفرشة ، أما الغرفة فهي ضيقة وبسيطة تحوي الأربعة والستة من الطلبة وقد كان الكثير من الأساتذة يعيشون معهم نفس الوضع .

ويذكر الدكتور أحمد الرفاعي ، التلميذ آنذاك ، منهم الشيخ عبد القادر الباجوري فيقول : . . . واذكر خاصة الشيخ عبد القادر الباجوري الذي كان كثيرا مايصاب بالاغماء أثناء الدرس بسبب الارهاق والضعف فيطلب منه أن يريح نفسه فيأبى ويتم الدرس ، وقد كانت هذه المواقف من أساتذتنا بكل أبعادها الدينية والوطنية والأخلاقية تشحذ عزائمنا وتحبب الينا العلم للعلم "(٢).

هكذا كانوا يكدحون لسد ظمأ المتعطشين الى العلم من أبناء الجزائر المسلمة الذي حرمت عليهم الادارة الفرنسية ، حيث أصبح التعليم شبه معدوما بالنسبة

---

(١) الابراهيمي - عيون البصائر - المرجع السابق - ص : ٢٢١ .

(٢) الرفاعي شوقي أحمد - مقالات في الدعوة الى النهضة الاسلامية للامام العربي التبسي - القسم I ، ١٩٨١م - قسنطينة . ص : ١٢ .

للجزائريين بين سنة ١٨٣٠م الى ١٩٤٤ م بينما كان عاما بالنسبة للأوربيين.(١)

وما هي الا سنوات قليلة حتى شيدت مدارس عربية - اسلامية في أكبر المدن الجزائرية ولم تبق منحصرة في المدن الكبرى بل انتشرت في سائر المدن الأخرى، كبجاية ، و" جيجل " وباتنة و" بسكرة " و" عنابة " و" تنس " و" الأصنام " و"بوسعادة" و"الأغواط " ومستغانم و" بلعباس " و" تيارت " . أما في الجزائر العاصمة فكانت مبعثرة بكثرة في مختلف الأحياء أخص منها : حي صالومبي وحي " الرويسو" و" سانت أجين " و" بلكور " .(٢)

وفيما يخص المناهج التعليمية لهذه المدارس فقد كانت مبنية على أسس متينة يكشف عنها قول الشيخ البشير الابراهيمي ، رحمه الله ، الموجه الى طلبة العلم ، كبارا وصغارا ".

" القرآن ، القرآن ينمي ثروتكم الفكرية ويغذي ملكتكم البيانية والقرآن ، القرآن ! . . تعاهدوه بالحفظ وأحيوه بالتلاوة وربوا ألسنتكم على الاستشهاد به في اللغة والقواعد وعلى الاستشهاد به في الدين والأخلاق ، وعلى الاستظهار به في الجدل . . اتركوا المناقشات الحزبية والخلافات السياسية لأهلها المضطلعين لها ودعوا كل قافلة تسير في طريقها ، وكل حامل لأمانة من أمانات الوطن مضطلعا يحملها".(٣) . .

ومن هذا نتبين القاعدة المتينة التي وضعت عليها مناهج التعليم الاسلامي في ذلك العهد ، فهي قاعدة ان صح التعبير عنها بـ" قرآنية " أي اعطاء الأولوية للقرآن الكريم وعلومه .

لقد خصصت " جمعية العلماء " على هذا الأساس ، برامج تعليمية للأطفال والشباب عامة تركز على تحفيظ القرآن الكريم وفهمه فهما سليما ، بالخصوص تلك

---

(١) العسلي بسام - الله أكبر وانطلقت ثورة الجزائر - ١٩٨٢م - ط ١ - دار النفائس ، بيروت - ص : ٢٤ .

(٢) اللسان العربي - مرجع سابق - حميد بن سالم ، ص : ٤٧ .

(٣) الابراهيمي - عيون البصائر - ص : ٢١٨ .

الآيات التي تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتدعو الى الحرية الشخصية والدينية وكرامة الانسان ، وفيما يخص محتويات المنهج فهي نوعين :

أ. - نوع خاص بالصغار والشباب ويضم المواد الدراسية التالية :

١- دراسة التاريخ الجزائرى والعربي الاسلامي لاحياء التراث الاسلامي العتيق ، وربط الصلة بالأجداد ، وقد كان التاريخ الاسلامي محرما ضمن مناهج التعليم الرسمي والزوايا ، لما وجدت فيه الادارة الاستعمارية من صدى في النفوس وايقاظ الضمائر.

٢- دراسة جغرافيا العالم الاسلامي وتطوراتها عبر التاريخ بسبب تخاذل المسلمين الى جانب تعريف أبناء الأمة الجزائرية بالحدود المشروعة للجزائر وثرواتها بغية التوعية الكاملة .

٣- دراسة الحساب والرياضيات .

٤- دراسة المنطق ومناهجه .

٥- دراسة اللغة العربية والانشاء والمطالعة .

٦- المحفوظات والشعر العربي والتركيز فيه على الشعر الجزائرى الحماسي لمحتواه الوطني التحررى والدعوة الى الاصالة .

٧- الأصول والفقه ، من عبادات ومعاملات والفات النظر الى الطريق المسدود الذى آل اليه الفقه الاسلامي بسبب اغلاق باب الاجتهاد وتوقف البحث فيه .

أما بالنسبة الكهول ، فقد كانت حملة محو الأمية مستمرة تصحبها دروس الوعظ والارشاد

١- وحلقات تفسير القرآن الكريم .

٢- شرح كتب الحديث الشريف .

٣- القاء محاضرات في اجتماعات عامة بالمساجد لتبصير الأهالي بوضعيتهم التعسة من جراء السياسة الاستعمارية التي اعتمدها الاحتلال في البلاد والدعوة الى الجد والاتحاد والتوعية من أجل النضال ومكافحة الاستبداد .. مع الاتكال على الله وحده . .

وقد كانت وفود جمعية العلماء الجزائريين المسلمين تجول أطراف البلاد سواء كان ذلك في الشمال أو في الجنوب حيث نشطت جماعة من العلماء المصلحين أشال الشيخ " بيوض " من أجل نشر تعليما اسلاميا .

فقد كان تعليما متمشيا مع الدين الاسلامي بصورة متزنة من أجل النمو الفردي المتكامل ، وهذا ما أثار غضب الادارة الاستعمارية عليها وحقد البعض الموالين لها ، وهذا ان دل على شيء فانما يدل على مدى تخوفات الأعداء من المستقبل المتفائل الذي يتطلع اليه التعليم الاسلامي في ظل جمعية العلماء ! فعلا لقد كان ظهور التعليم الاسلامي من جديد بمثابة ضربة قاسية بالنسبة لفئة المثقفين باللسان الفرنسي الذين يدعون الى حياة في ظل السيادة الفرنسية واللغة الفرنسية ، لغة الأم حسب تعبيراتهم المتكررة في جميع المناسبات . فكانوا ، مما لا شك فيه ، ضرعا ثمينا لفرنسا الطاغية ضد نشاط جمعية العلماء ، اذ لقمتهم شتى أنواع الشعارات المزيفة وألقت بهم في المؤسسات والنوادي والمساجد بيوت الله ليعلنوا فيها أن " الجزائر - فرنسية " . فأصبحوا حينئذ من الذين يطبق عليهم قوله عز وجل : (ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم)[1] . لا يبصرون الحق من الباطل ، رسموا لأنفسهم فتوى يدعون من خلالها الى التجنيس ، فالاسلام لا يمنع أحدا من التجنس بالجنسية الفرنسية .

فارتفع حينئذ صوت ابن باديس ، الشيخ الجليل رحمه الله ، ردا على هؤلاء بكل غضب وشدة : " ان المتجنسين أناس مرتدون عن الدين الاسلامي "[2] حينئذ لا تجوز الصلاة عليهم ولا يجوز دفنهم في مقابر المسلمين بعد وفاتهم ، وقد كانت هذه الفتوى بمثابة ضربة قاضية على أحد مبادئ السياسة الاستعمارية بالجزائر ضد التعاليم الاسلامية .

---

(١) سورة البقرة ، آية (٧) .

(٢) الجزائر - المركز الوطني للدراسات التاريخية - مجلة التاريخ - تركي رابح - ١٩٨١م - ص : ٥٩ .

وهنا أذكر داعيين من دعاة التجنيس وهما السادة المتحمسين :

" ربيع الزناتي " و " عمر قندوز " ، فقد كان ربيع الزناتي يصدر جريدة " صوت الأهلي " باللغة الفرنسية بقسنطينة وجريدة " صوت المتواضعين " لعمر قندوز " باللسان الفرنسي كذلك ، بالجزائر العاصمة ، وقد اتخذا من الجريدة وسيلة ينشران من خلالها دعوتهما الى " التجنيس " بجنسية المستعمر "[1] وأمثال هذان الرجلان كثيرون ! ومن مطالب هذه الجماعة ليس المساواة مع الفرنسيين فحسب وانما كذلك الاندماج التام بالوطن الفرنسي .

وما ذكره المؤرخون أن هذه الفئة قد انقسمت فيما بعد الى قسمين :

- قسم أصبح يطالب بالمساواة السياسية مع بقاء التعاليم الاسلامية .
- أما القسم الثاني فيطالب بحق المواطنة الفرنسية دون الارتباط بالقوانين الاسلامية الشخصية .

وقد تصاعد مثل هذا التيار المتمثل في التذبذب بين التعليم الاسلامي والتعليم الفرنسي أو بالأحرى بين الاسلام وفرنسا ، يظهر هذا التأرجح بوضوح لدى جماعة النخبة والنواب الذين مرة يهاجمون المعمرين المقيمين داخل البلاد ويمدحون فرنسا وأخرى يذمون تعصب المسلمين مشيدين بالحضارة الأوربية ، وثالثا نجدهم يدافعون عن الاسلام وتعاليمه مهاجمين العنصر الفرنسي .

فهذا السيد " ابن الحاج " رئيس " نادي الاخاء " سنة ١٩٣٢م يقوم بافتتاح النادي بتوجيه دعوة عامة الى كل الموجودين بالجزائر من جزائريين ومعمرين " للتعامل في سلام واتفاق واخاء . " الاخاء الذي يجب أن يوحد كل أبناء فرنسا "[2]، وقد ذهب " ابن الحاج " الى أبعد من ذلك حيث شن حملة عنيفة ضد " جمعية العلماء " فاتهم عناصرها بالرجعية والتعصب .

---

(١) الجزائر ، المركز الوطني للدراسات التاريخية - مجلة التاريخ - المرجع السابق ، ص : ١٥٤ .

(٢) سعد الله أبوالقاسم - الحركة الوطنية الجزائرية - ج٣ - ١٩٧٧ ، ص : ٦٣ .

ومن المؤسف أن " ابن الحاج " كان يخاطب تجمعا ضخما يقدر بحوالى (٧٥٠) شخص جلهم من رجال السلك الديني الموظفين لدى فرنسا الاستعمارية ، وقد كان ابن الحاج " فرنسي اللسان وظبه فرنسي الاحساس وعقله فرنسي التفكير، لم يملكه الخجل عند ختامه لكلمته فقال : " ان الجزائريين فرنسيون سواء كانوا يتمتعون بالحقوق المدنية أولا وسواء كانوا متعلمين أم أميين فديننا لا دخل له في جنسيتنا التي هي ولا يمكن أن تكون سوى فرنسية " (١) .

و" ابن الحاج " كذلك ، لم يكن الوحيد صاحب هذه الفكرة بل أتباعه وورثته كثيرون ! قد يروى التاريخ لأبناء الوطن الجزائري رأيا أشد ظلما وعداوة للوطن الجزائري الأبي ، وهو للسيد " فرحات عباس " خلال الثلاثينات حين قال بكل ثقة عبارته المشهورة " فرنسا هي أنا " . . " ولو أنني اكتشفت أمة جزائرية لكنت وطنيا ولكني غير مستعد أن أموت من أجل وطن جزائري لأن هذا الوطن لا وجود له فقد بحثت عنه في التاريخ فلم أجده ، نعم وجدت الدولة العربية والدولة الاسلامية اللتين شرفتا الاسلام وشرفتا جنسنا ولكنهما ولدتا لعصر غير عصرنا ولا ناس ليسوا ناسنا وليس هناك من يفكر جديا في وطنيتنا فالذي يهم بالدرجة الأولى هو التحرر الاقتصادي والسياسي لجماهير الجزائر ان هذا التحرر ضرورة لأن فرنسا هي أنا " ، ولم يكتف " فرحات عباس " بقوله هذا بل ذهب ينشر أفكاره في الصحف والمجلات منها مجلة " افريقية اللاتينية " العنصرية التي نشر فيها السيد فرحات عباس قوله : " اننا مسلمون وفرنسيون وأننا أهليون وفرنسيون " .

أرى أن السيد فرحات عباس استند في حديثه هنا ، عن الأمة الجزائرية بالتعريف الذي وضعه " ستالين " - Stalline - للأمة ، والله أعلم .

اذ يعرف " ستالين " الشيوعي الأمة بقوله : " هي جماعة انسانية ثابتة تكونت

---

(١) سعد الله أبو القاسم - المرجع السابق : جـ٣ ص : (٦٣) .

تاريخيا ونشأت على أساس وحدة اللغة والأرض والحياة الاقتصادية والتكوين النفسي الذى يعبر عن ذاته في وحدة الثقافة . . وفقدان عنصر واحد من هذه العناصر يكفي لكي تكف الأمة أن تكون أمة " .

ومن هذا التعريف استخلص كذلك الكاتب "ليون فيكس" الشيوعي قوله بالعبارة التالية : . . " وهكذا يتضح بأن الجزائر كانت عام ١٨٣٠ م بعيدة عن أن تملك صفة الأمة . . "(١)

وجاء رد الشيخ عبد الحميد بن باديس حادا ، قاطعا : " قد نظرت في الماضي والحاضر وجدت أن الأمة الجزائرية قد تكونت عبر العصور وأن لهذه الأمة تاريخها ودينها ولغتها وثقافتها وخصائصها وأن هذه الأمة ليست فرنسية ولا تستطيع أن تكون فرنسية ولا تريد أن تكون فرنسية "(٢) .

هكذا كان الحال : فلولا ظهور جمعية العلماء الجزائريين المسلمين وصمودها البطولي في وجه هؤلاء المغفلين ، المغرورين لكان الهلاك المؤكد بالنسبة للتعليم الاسلامي ، فقد تعددت الاتجاهات واختلفت الأفكار وكل ذلك كاد أن يؤدي بالشعب الجزائري الى الكارثة !

وما لا شك فيه استغلت سلطات الاحتلال هذه الفرصة الثمينة بالنسبة اليها لتأكيد وجودها بالجزائر المحتلة ، ففي سنة ١٩٣٣م أصدر السيد " بريفي "(*) جزائر العاصمة قرارا يمنع فيه أعضاء جمعية العلماء من التدريس بالمساجد واقامة حلقات الوعظ والارشاد بها وجاء هذا القرار بعد حملة هجومية شديدة اللهجة ضد رجال الجمعية الاصلاحية اذ اتهموا بخلق الفوضى والبلبلة والعمل لجهات في المشرق

---

(١) فيكس ليون - الجزائر حتف الاستعمار - ترجمة محمد عيتاني - مكتبة المعارف ، ص : ٢٨ .

(٢) سعد الله أبو القاسم - المرجع السابق : ج٣ ص : (٩٣) .

(*) بريفي : والي عام

العربي ، ومن رد الفعل الفرنسي ، أنشئت " الجمعية الدينية الاسلامية " بالجزائر العاصمة يترأسها السيد " ميشال " رجل مسيحي كاثوليكي وأعضاؤها نخبة مختارة من موظفين مخلصين لدى الادارة الاستعمارية (١) .

لم يرو التاريخ أن سيد فلان مسلم ملتزم أسس جمعية مسيحية تدعى " بالجمعية الدينية المسيحية " وتولى رئاستها بنفسه ، انها مهزلة بل مسرحية والفصل الأول منها هو قيام هذه الجمعية ومايليها سيكون حربا على الدين الاسلامي وتعاليمه ، علمائه ومؤسساته في القطر الجزائري .

وفيما يخص جماعة المحافظين " الجزائريين ، فانهم لم يطمئنوا لدعوة الاصلاح التي تزعمتها جمعية العلماء ، بل أزعجتهم وأثارت سخطهم فكونوا لأنفسهم جمعية باسم " علماء السنة " (٢) ، وطالبوا من حكومة الاحتلال اتخاذ اجراءات تعسفية ضد أعضاء " جمعية العلماء المسلمين الجزائريين " لايقاف نشاطهم السياسي المنتشر تحت ستار الدين ، كما جاء في شكواهم .

فما كان على الادارة الاستعمارية الا أن تشرع في غلق المؤسسات التعليمية الاسلامية ، أغلقت مدارس العلماء المصلحين بمدينة " تلمسان " و " سيق " و " سيدي بلعباس " بالمغرب الجزائري وطردت معلميها كما تعدت على مسجد العاصمة الذي يتولاه الشيخ الفاضل " الطيب العقبي " ، فدبرت له مكيدة وأدخلته قفص المتهمين ، فاعتقلته سلطات الاحتلال سنة ١٩٣٦م ولم تفرج عنه الا في سنة ١٩٣٩م .

وقد وردت حينئذ شكوى من سكان جبل " أوراس " الشامخ الى مقر جمعية العلماء سنة ١٩٣٨م " يشيرون فيها الى قيام سلطات الاحتلال باغلاق جميع الكتاتيب القرآنية ولم يصبح في الأوراس الذي يضم عدد الستين ألف نسمة سوى مكتب مفتوح للتعليم .

---

(١) الجزائر - المركز الوطني للدراسات التاريخية - " مجلة التاريخ " مقال : تركي رابح - ١٩٨١م - ص : ٦١ .

(٢) سعد الله أبو القاسم - الحركة الوطنية الجزائرية : ج٣ ، ١٩٧٧م ، ص : ٤٥ .

لكن الشيخ عبد الحميد ابن باديس لا حول ولا قوة له أمام هؤلاء الظلمة الاستعماريين فما كان عليه الا أن اتجه الى رب العزة سبحانه القائل : (فدعا ربه أني مغلوب فانتصر..)[١]

فدعاه ابن باديس ربه : يا منصف المظلومين من الظالمين نرفع شكوانا ، واليكم يا أنتم المسؤولون عن هذه المظالم من أولكم الى آخركم نرفع احتجاجنا وحسبنا الله ونعم الوكيل[٢].

هكذا كانت الحرب حامية ضد التعليم الاسلامي ، لقد تنوعت الأساليب وتطورت الوسائل !

ففي مطلع السنة ١٩٣٨م أصدرت الحكومة الغازية قانون " شودان" باسم وزير الداخلية الفرنسي آنذاك ، اعتبر هذا القرار بصفة رسمية ، اللغة العربية أجنبية في البلاد ، واللغة الفرنسية هي لغة الوطن الجزائري ، ووفقا لهذا القرار امتنعت سلطات الاحتلال على منح التصريح لأي مواطن فتح مدرسة حرة ، وقد أصبح من السهولة أن يحصل الشخص من السلطات الاستعمارية على رخصة فتح مقهى من أن يحصل على رخصة لفتح مدرسة ، " وحتى رخصة المقهى فانها خاضعة لبعض الشروط : يجب أن يكون المقهى ميدانا معدا لكل مايخالف الأخلاق من قمار الى آخره!![٣]

لم تبق جمعية العلماء مكتوفة الأيدي أمام القرارات الاجرامية التي اتخذتها سلطات الاحتلال ضد مؤسسات التعليم الاسلامي من جهة ، وضد الشيخ العقبي من جهة أخرى ، فقد استنكر الشيخ " ابن باديس" هذا الوضع وحث الشعب على تأييده عن طريق المظاهرات الجماهيرية واستقالة جماعية لكل العاملين في المجالس المحلية ، احتجاجا على اضطهاد التعليم الاسلامي وأعضائه القائمين عليه ، من طرف الحكومة الغازية فلبى الشعب الجزائري المسلم ، النداء بقيام مظاهرات عامة معادية لسلطات الاحتلال .

---

(١) آية (١٠) من سورة القمر.

(٢) مجلة التاريخ ، المرجع السابق : ص ٦٩ .

(٣) بن نبي مالك - في مهب المعركة - ١٩٧٨ - دمشق : ص : ٤٣ .

وتضامن العمال الجزائريون مع الشيخ ابن باديس رحمه الله فقدم ، حوالى ألف وستمائة شخص استقالتهم في مدينة قسنطينة وضواحيها ، فما كان على فرنسا حينئذ الا أن تستعمل فى حل الأزمة المتصاعدة ، فدعا الحاكم العام " السيد كارد " النواب الى سحب استقالتهم ، طالبهم بالهدوء واعدا اياهم بعدة اصلاحات مع الغاء قرار الاتهام الموجه ضد الشيخ " الطيب العقبي " ، فالشعب لم يهدأ بل ازداد غضبه حدة عن طريق الجرائد والمجلات ، فأعلن عن سخطه اتجاه حكومة الاحتلال لتدخلها فى شؤون التعليم الاسلامى ، واستؤنفت المظاهرات فى كل من " تلمسان " و " سيدى بلعباس " ومستغانم و " عين تموشنت " التى خرج فيها الأهالى يهتفون بحياة هتلر ، ليس حبا فيه وانما كرها للادارة الفرنسية التي حاربها " هتلر "[1].

---

(١) سعد الله أبو القاسم ـ الحركة الوطنية الجزائرية ـ جـ٣ ، ١٩٧٧ ، ص : ٤٥ ـ ٥١ .

ب - المرحلة الثانية : ١٩٤٠م - ١٩٤٣م :-

في هذه المرحلة من عمر التعليم الاسلامي في عهد " جمعية العلماء الجزائريين المسلمين " وقعت أحداث كان لها الأثر البالغ في قلوب العلماء الجزائريين وفي مستقبل الجمعية .

لقد أعلنت الحرب العالمية الثانية والشعب الجزائري لا يزال أسير الاستعمار الفرنسي الغاصب ، وفرنسا آنذاك منهكة القوى ، تواجه صعوبات شتى بالداخل والخارج ، كان عليها حينئذ محاولة كسب أصوات مؤيديها بمستعمراتها ، أما في الجزائر فقد ازداد تغلغل الفرنسيين في كسب تأييد السلك الديني الرسمي وجميع الشيوخ والعلماء القائمين على التعليم الاسلامي بتلك الفترة .

فعلا ، ماكادت تعلن الحرب العالمية الثانية حتى تدفقت برقيات تأييد من رجال موظفين رسميين في السلك الديني ، وهم عادة موالون لسلطات الاحتلال (المفتون - القضاة - العدول - المرابطون . .) أسرعت فرنسا تنشر الفتوى المزعومة التي تفرض على الشعب الجزائري مساندة فرنسا في حربها ضد ايطاليا وألمانيا : " الحرب بجانب فرنسا واجب شرعا " وزعت المنشورات بهذا الصدد لدرجة اقتحامها صفوف الطلبة الدارسين داخل مدارسهم ، فكانت هذه هزيمة أضيفت الى قائمة الهزائم التي ابتلي بها المسلمون بالجزائر ومع هذا فجمعية العلماء الجزائريين المسلمين لا تزال قائمة ، صامدة غير مبالية ، اذ لما طلبت منها ادارة الاحتلال ، التوقيع على تأييد الفتوى المزعومة ، قابلها ابن باديس بالرفض قائلا قولته المشهورة : " والله لو طلبت مني فرنسا أن أقول لا اله الا الله لما قلتها " ، وقد أخطأ الكثيرون من المؤرخين في تفسير عبارته هذه - انما هو في الحقيقة موقف صمود وتحد اتخذه " ابن باديس " ضد سلطات الاحتلال ، أرى في ذلك درسا تاريخيا اسلاميا ! فلا طاعة لعدو الله !

فالشيخ " ابن باديس " رحمة الله عليه على يقين تام بأنه لا جدوى من طاعة هؤلاء الكفرة ولو كان ذلك في توحيد الله عز وجل فلن يرض عدو الله عن المسلم مهما كان

الحال ، وخير دليل على ذلك قوله عز وجل : (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم)[١] .

هكذا جاء رد الشيخ الجليل " ابن باديس " رحمه الله ، فالعقل المؤمن ، التقي يرفض هذه الفتوى من أساسها ، لا يمكن أن ينتقل جهاد المسلم في سبيل الله الى جهاد المسلم في سبيل فرنسا وحلفائها !

أرى هكذا يجب أن تفهم عبارة " ابن باديس " ، فعلى الباحث المسلم أن يحسن ظنا بأخيه حيث أساء فيه الغربيون الذين لا قصد لهم سوى التشويش والنقص من شخصية علمائنا المجاهدين !

مهما كان الحال فان الشيخ " ابن باديس " قد ترك لجمعية العلماء حرية التصويت اما بتأييد فرنسا أو بعدم تأييدها ، انه فضل الاحتفاظ برأيه الى أن تبدي الجمعية تصويتها في اجتماع لها ، فارتفع صوت الجمعية معلنا الرفض التام الا الشيخ الطيب العقبي رحمه الله الذي رأى أن تدلي هذه الأخيرة بتصويتها لصالح فرنسا ، وقد صادف ذلك خروج الشيخ العقبي من السجن فأراد أن يأمن شر المعمر بالتأييد ولو ظاهريا ، وبعد الاعلان الاجماعي فضل الشيخ العقبي أن ينسحب من عضوية الجمعية حفاظا على الهدوء والشعور الأخوي الذي يربطه بين أشقائه وبقي يحمل معه كل الحب والتقدير لرجالها وكل الوفاء والاخلاص لمبادئها .

وشعرت حينئذ فرنسا بخطورة الشيخ ابن باديس على مصالحها ، فحددت اقامته في مدينة قسنطينة منذ بداية الحرب العالمية ، وحاولت ادارة الاحتلال أن تستولي على مدرسة "التربية والتعليم" بمدينة قسنطينة واحلال اللغة الفرنسية فيها محل العربية فتصدى لها الشيخ عبد الحميد بن باديس بصرخته المغزعة : " لا أسمح بذلك حتى أموت " ، ورحمه الله أصيب بمرض أودى بحياته في السادس عشر من شهر " افريل " سنة ١٩٤٠م ،

---

(١) الآية (١٢٠) من سورة البقرة .

واتجهت سلطات الاحتلال كذلك الى الشيخ البشير الابراهيمي فأبعدته عن الميدان بنفيه سنة ١٩٤٠م الى "آفلو" في صحراء" وهران" لمدة ثلاث سنوات بالغرب الجزائري[١].

ولم يتوقف نشاط الجمعية رغم ذلك ،بل واصلت نشاطها بهدوء تام .

تم تعيين الشيخ الابراهيمي رئيسا للجمعية ،يدير أعمالها من المنفى ، وذلك خلفا للمرحوم " عبدالحميد بن باديس" ،أما فرنسا الطاغية فقد استمرت في عدوانها على التعليم الاسلامي ،فأصدرت قانونا بتاريخ ٢٨ أغسطس ١٩٣٩م يمنح للمعمر حق التدخل في مراقبة المطبوعات ويطالب من كل مؤسسي جريدة أو مجلة ، أن يظهر رخصته للجهات المسؤولة بالادارة الاستعمارية[٢]، فأدى ذلك الى تقلص عدد الجرائد الاسلامية والمجلات الهادفة الى تربية أبناء الشعب وتعليمهم الصحوة واليقظة ،فكان رد جمعية العلماء ردا حاسما بطريقة مختلفة بعد الافراج عن الشيخ الابراهيمي سنة ١٩٤٣م.

---

(١) نوابغ العرب - ١٤ - الشيخ عبدالحميد بن باديس - ١٩٧٦م - دار العودة - بيروت : ص ٩٩ .

(٢) سعد الله أبو القاسم - الحركة الوطنية الجزائرية : جـ٣ ص : ١٨٣ .

المرحلة الثالثة : ١٩٤٣م - ١٩٥٦م :-

وهي مرحلة توافق خروج الشيخ البشير الابراهيمي من المنفى وشروعه في العمل الجاد على الطريق الذى انتهجه الشيخ الراحل " ابن باديس " رحمه الله ، في نشر التعليم الاسلامي وتطهير الدين من الشبهات .

فقد تمكن الشيخ الجليل من اجتياز الصعوبات بحماس أكبر، فخاض في العمل من أجل التعليم الاسلامي ولم يزده منفاه سوى قوة وشجاعة !

وفي مدة قصيرة جدا لا تقل عن السنة الواحدة استطاع الشيخ الابراهيمي انشاء عدد الثلاثة وسبعين مدرسة (٧٣) في مختلف المدن والقرى فها هو اذ يقول عن نفسه :

" كانت فاتحة أعمالي تنشيط حركة انشاء المدارس ، فأنشأت في سنة واحدة ثلاثا وسبعين مدرسة في مدن وقرى القطر كله ، كلها بأموال الأمة وأيديها . . حتى أربت على الأربعمائة مدرسة . . ولم أتخل عن دروسي العلمية للطلبة وللعامة . . . انني عدت من المنفى أمضى لسانا وقلبا وعزيمة مما كنت[1] . . وهناك كذلك عدد الأربع مائة مدرسة أنشأها خلال السنوات الموالية قبل أن يلقي عليه القبض بعد حادثة ١٩٤٥م[2]

وحادثة ١٩٤٥م كانت مذبحة دامية ذهب ضحيتها نحو ٤٥ ألف شهيد اذ قامت الطائرات العملاقة بقصف المدن والقرى فأحرقتها والبيوت دمرتها على رؤوس أهليها بالمدافع[3] فلم تنج منها المساجد ولا المدارس ولا حتى بعض الزوايا ، والتاريخ يكشف أن الجزائريين " خرجوا يوم الاحتفال بالهدنة يطوفون بالشوارع ويحملون

---

(١) الجزائر - وزارة الثقافة - " الابراهيمي " ، الثقافة ، عدد ٨٧ - شعبان ، رمضان ١٤٠٥هـ.

(٢) الجزائر - وزارة الثقافة - روجي جارودى - " الثقافة ، عدد ٨٧ ، ص : ١٤٦ .

(٣) نوابغ العرب : ١٤ ، الشيخ ابن باديس - ١٩٧٦ - دار العودة ، بيروت : ص ١٠٧ .

علم الجزائر الذى يمثل راية الأمير عبدالقادر، هاجموهم وأسقطوا العلم ونشبت معارك، وقاتل الأولون بالعصى والحجارة مائة قتيل فرنسي وعشرات الآلاف من القتلى الجزائريين، سجن مالا يقل عن (٢٠٠) ألف سجين (١).

والغريب في ذلك أن فرنسا هي التى أذنت للجزائريين بتنظيم المظاهرات بهذه المناسبة (انتصار الحلفاء) ولكن بشرط ألا يرفع فيها العلم الجزائرى (٢). وعمت المذابح القرى والمدن فلم ينج منها رجل ولا امرأة ولا حتى الأطفال الأبرياء ، ومما يلاحظ أن رجال المستعمر كانوا يستهدفون في ذلك النخبة المثقفة الجزائرية ، يهاجمون الديار ويقبضون على المعلمين والشيوخ وأصحاب العلم فيأخذونهم خارج المدينة وتحت تهديد الرشاشات يقومون بحفر القبور الجماعية ثم يقتلونهم بعد ذلك .

وقد بادرت سلطات الاحتلال بالقاء القبض على رئيس جمعية العلماء وأبرز أعضائها آنذاك ، الشيخ البشير الابراهيمي وعددا كبيرا من الرجال الأحرار يقدر بحوالى (٤٥٦٠) رجلا هم نخبة الأمة ومفكروها (٣).

وصدرت الأحكام ضد المعلمين والشيوخ القائمين بالتعليم الاسلامى وحتى تلامذهم فكانت هذه فرصة بالنسبة لفرنسا للنهوض مرة أخرى ضد هؤلاء الأبرياء ، فقد ذكر " شاهد عيان " أن القوات الفرنسية جمعت بالشرق الجزائرى كل تلاميذ المرحلة الابتدائية الذين تمكنت منهم أيديها النجسة ، فصفتهم وأطلقت عليهم النار، نار سلاحها الفتاك ونار حقدها الدفين ضد التعليم الاسلامى الذى كان السبب في تدبير الموازين بالبلاد فانقلبت الأوضاع ضدها .

وقد قامت الادارة الفرنسية بحل المنظمات السياسية وغير السياسية منها منظمة " أحباب البيان والحرية " وألقى القبض على رئيسها السيد فرحات عباس ،

---

(١) الجندى أنور - الفكر والثقافة المعاصرة في شمال افريقيا مرجع سابق ص ٢٠١ .

(٢) أبو القاسم سعد الله - الحركة الوطنية ٠٠٠ ج ٣ - ١٩٧٧م - ص : ٢٣٩ .

(٣) المدني أحمد توفيق - هذه هى الجزائر مرجع سابق ص ١٧٧ .

آنذاك ، ولم تسلم المؤسسات التعليمية الحرة من اجرامها فقد أغلقت المدارس الحرة والأندية الأدبية والرياضية التي يلتحق بها الشباب المسلم وعطلت الصحافة الصادرة باللغة العربية ، واتخذت اجراءات فصل المدرسين الذين ألصقت فيهم التهم بالقوة .(١)

فهكذا كانت مأساة ١٩٤٥م ! انها جعلت ٦٠٪ من العائلات تعاني من الجوع والمرض و ٥٠٪ من الأطفال يموتون قبل الخامسة من العمر(٢) !

ومن أهم هذه الآثار التي خلفتها حادثة ١٩٤٥ م " نشر الأوبئة الفتاكة بين الأهالي .. وضياع الثروات المدخرة وبيع العقارات والأراضي تحت الضغوط المختلفة التي أحاطت بهم"(٣) ! ..

ومن أبرز سيزات هذه الفترة بالنسبة لهذه المرحلة الأخيرة من عمر التعليم الاسلامي في عهد " جمعية العلماء " انشاء مدارس للتعليم الاسلامي الخاص بالمرحلة الثانوية . فلما بلغ عدد المتخرجين من مدارس الجمعية الحاصلين على الشهادة الابتدائية ذروته وجد الشيخ الابراهيمي نفسه مضطرا لتوسيع نطاق التعليم لأبناء الشعب الجزائري وتحت الحاح شديد من هؤلاء فأنشأ معهدا ثانويا بمدينة قسنطينة نسب الى الشيخ " ابن باديس " .

وقد كان التعليم فيه متوفرا بالمعنى الكامل ، من أساتذة وكتب ومال وسكنى ، مثله مثل غيره لدى الدول الاسلامية الأخرى .(٤)

---

(١) العسلي بسام - الصراع السياسي على نهج الثورة - بيروت ، ط ١ ، ١٩٨٢م ص : ٤٥ .

(٢) أحمد الرفاعي - " الامام التبسي " - مقالات في الدعوة .." قسم ٢ ، ص : ٤ .

(٣) العنترى صالح - مجاعات قسنطينة - ١٩٧٤م - الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، ص : ١٥ .

(٤) الجزائر - وزارة الثقافة - الابراهيمي - الثقافة - عدد ٨٧ - مرجع سابق ، ص : ٣٠ .

وفيما يخص نظام القبول فقد حدد بسن اثنى عشر سنة كسن آدنى والسن الأعلى هو الأربعة عشر (١٤) عاما مع التجاوز في حالة وجود العذر، الا أنه لا يمكن قبول من تجاوز العشرين (٢٠) سنة ويشترط على الطالب أن يكون متأهلا لمطالعة الكتب واتقان الاملاء وأن يكون حافظا للربع من القرآن الكريم . . ولحافظ تسع أحزاب من القرآن الكريم يسمح له بالالتحاق بالسنة الثانية ، أما السنة الثالثة فيشترط فيها (١٢) حزبا (١).

وما جاء في مقال السيد أحمد مهساس (٢) أن هناك عددا من المدارس قد أسست بمبادرة من السكان الذين يتولون الانفاق عليها من أموالهم الخاصة .

وقد بلغ عدد هذه المؤسسات التعليمية الى تسعين (٩٠) سنة ١٩٤٧ وارتفع هذا العدد الى (١٨١) مؤسسة سنة ١٩٥٤م منها (١٢٣) ابتدائية و (٥٨) ثانوية يتردد اليها ٤٠٠٠ تلميذ .

وخير ما نقوله عن هذه الفترة من عهد جمعية العلماء هو قول السيد " محمد الطاهر فضلاء " : " أن ما حققته (جمعية العلماء) في أقل من عشر سنوات من التطور الاجتماعي والوعي الجماعي والفهم والادراك للمعاني الانسانية في المعاملات والعبادات والجماعات عجزت عن تحقيقه فرنسا كدولة حضارية في أكثر من مائة عام (٣).

---

(١) الرفاعي أحمد - الامام الشيخ التبسي - قسم ١ - ط ١ - ١٩٨١م قسنطينة ، ص (١٧٧) .

(٢) الثقافة - مرجع سابق - عدد (٨٥) - أحمد مهساس - ص : ٧١ .

(٣) الثقافة - مرجع سابق - عدد (٦٦) - محمد الطاهر فضلاء ، ص ٣٦ .

تعـــليم الفتـــاة :-

كما سبق أن ذكرت آنفا ، فان المرأة الجزائرية رغم جهلها العظيم تمتاز بخصال كريمة وسجايا طيبة ، امرأة محافظة على التقاليد القديمة التي ورثتها من أسلافها ، فهي مسلمـــة ، تـــدرك الحـــلال مـــن الحـــرام والحـــق مـــن الباطل وتتقن الفرائض وتحث أولادها على أدائها ، كانت المرأة المسلمة تستخدم أسلوبا من أساليب " الترغيب والترهيب " عن طريق القصص الطريفة لتقنع أولادها باقامة فريضة الصلاة ، ومن صفات المرأة الجزائرية آنذاك ، انها الزوجة الوفية ، الصبورة ، الأمينـــة ، فكيف يتسنى للاستعمار أن يبقى مكتوف الأيدي أمام هذا ؟! خاصة وانه على يقين كامل بمدى منزلة المرأة المسلمة داخل المجتمع الاسلامي ، انها " العمود الفقري " الـذي تستقيم به الأمة في دينها وخلقها .

ومن معاصري ذلك العهد الشيخ الجليل أحمد توفيق المدني ، رحمه اللـــه ، الذي يشـــير في كتابه (عام ١٩٣٠م) بقوله : . . وقد تلقى الكثير منهن (النساء الجزائريات المسلمات) مبادئ العلوم الحديثة بالمدارس الفرنسية ولمن بعض الميـــل الى المدنية الجديدة الا أنهن الى يومنا هذا لم ينزعن حجابهن "(١) .

لكن الشيخ ابن باديس كان أكثر يقظة ، فقد أدرك خطورة السياسة الاستعماريـــة الموجهة ضد البنات المسلمات ، فهب حينئذ معلنا الحرب ضد الأهداف الاستعمارية .

وفي مقال تحت عنوان : " الرجل المسلم الجزائري " وهو تلخيص المحاضرة ألقاهـــا خلال شهر " أوت " عام ١٩٢٩م(٢) في العاصمة - الجزائر بحث فيها موضوع المـــرأة الجزائرية وبالأخص " دعوة المرأة الجزائرية الى المدارس الفرنسية " فما كان على الشـــيخ ابن باديس حينئذ الا أن يعلن سخطه ومعارضته الشديدة لهذه الدعوة المزيفـــة ،

---

(١) المدني أحمد توفيق - كتاب الجزائر ، ص : ٣٣٨ .

(٢) الميلي محمد - ابن باديس وعروبة الجزائر - مرجع سابق ، ص : ٦٤ .

الموجهة الى المرأة المسلمة للخروج بها من بيتها ومزاولتها للتعليم الفرنسي باعتبار اللغة الفرنسية حسب ادعاءاتهم الكاذبة لغة التقدم والحضارة ، لغة الاناقة كما يقولون في محاولاتهم الاغرائية .

فقد كشف الشيخ ابن باديس عن صفة النفاق التي يتحلى بها هؤلاء الكفرة ، فتساءل لماذا يا ترى لم توجه هذه الدعوة الى الرجل ! الرجل رب الأسرة ، وهو صاحب القوامة ، فهو اذا أولى بالدعوة الى التعلم !!

لم يكن الشيخ عبد الحميد بن باديس ، رحمه الله يمانع تعلم اللغات الأجنبية بل لقد عرف عنه أنه خصص ضمن مناهجه الدراسية في مدرسة (التربية والتعليم) التي كان يشرف عليها بمدينة قسنطينة ، دروسا في اللغة الفرنسية ، انما ذلك اقتداء بالسلف الصالح .

فالأمر يختلف لدى الفرنسيين ، لأن دعوتهم خاصة بالمرأة المسلمة الجزائرية التي عرفها " ابن باديس " كالتالي :

المرأة : خلقت لحفظ النسل وتربية الانسان في أضعف أطواره (.. وحمله وفصاله ثلاثون شهرا ..[1]) فهي ربة البيت . . علينا أن نعلمها كل ما تتطلب اليه طبيعتها الأنوثية للقيام بوظيفتها المنزلة .

المسلمة : (لهن مثل الذي عليهن بالمعروف ..[2]) صدق الله العظيم اذ بين للأمة الاسلامية أن للمرأة كذلك نصيب من التعليم ولكنه لم يقصد به ذلك التعليم الذي يذهب بالمرأة المسلمة الى المدارس المختلطة فينزعها ثوب الحياء والحشمة لترتدي قناع الفساد والانحلال الخلقي باسم الحضارة والمدنية انما المقصود بالتعليم الموجه للمرأة المسلمة هو أن تعلمها ما تكون به مسلمة ونعرفها من طرق الدين مالها وماعليها ونفقهها ، اقتداء بأمهات المؤمنين ، زوجاته عليه الصلاة والسلام .

( ) آية (١٥) من سورة الأحقاف .

( ) آية (٢٢٨) من سورة البقرة .

الجزائرية : أن تكون المرأة جزائرية بدينها ولغتها وقوميتها ، فالواجب يتطلب اذا أن نعرفها حقائق ذلك لتنجب أولادا من الجزائر وللجزائر.

والطريق الموصل الى تكوين " المرأة المسلمة الجزائرية " هو كما ذكر الشيخ ابن باديس التعليم الاسلامي ، أن تعلم البنات تعليما يناسب خلقتهن ودينهن وقوميتهن (١).

وفي قضية المرأة هذه لم يكن ابن باديس يتصدى الى الادارة الاستعمارية فقط وانما كذلك الى جماعة المثقفين الجزائريين المتجنسين الذين استعانت بهم فرنسا لتحقيق أغراضها ، طالب هؤلاء بتعليم المرأة الجزائرية تعليما مفرنسا وتحريرها من ذلك الحجاب الذي حسب قولهم يحد من نشاطها ، بل يعوق جل تحركاتها ويحرمها من التقدم ، كما طالب هؤلاء المغفلين ، الذين ختم الله على قلوبهم ، بخروج المرأة ميدان العمل بجانب الرجل في المؤسسات والمصانع مثل الدول الأوربية .

على كل حال الدعوة سابقة لأوانها ، فان كان الرجل الجزائري ، في ذلك الوقت ، يسلك طريق الهجرة ساعيا وراء عمل شريف أو " الخيزة " بالعامية الجزائرية ، فكيف يكون الأمر بالنسبة للمرأة !

فالشيخ " عبد الحميد ابن باديس " لم ينهزم بل أنه بقي يكرر عبارته المشهورة ردا على هؤلاء المنهزمين " أن المرأة الجاهلة التي تلد أبناء للأمة يعرفونها مثل أمهاتنا - عليهن الرحمة - خير من العالمة التي تلد للجزائر أبناء لا يعرفونها (٢) " كما صرح كذلك أن ثقافة المرأة الجزائرية يجب أن تكون اسلامية لأن تعليم البنت الجزائرية لغة غير لغتها في مثل هذه الظروف وتاريخ غير تاريخها من شأنه أن ينتج للجزائر أجيالا تجهل ماضيها وبالتالي تتنكر لوطنها . . فالمهم اذا هو صيانة البذور الأولى عند الطفل (٣) ! !

---

(١) الميلي محمد - ابن باديس وعروبة الجزائر - ط ٢ - ١٩٨٠م - الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - الجزائر . ص : ١٣٧ .

(٢) الميلي محمد - ابن باديس وعروبة الجزائر - المرجع السابق ، ص : ٦٤ .

(٣) مصطفى محمد طحان - القيادة في العمل الاسلامي ، جـ٢ ، ص : ١٦٣ .

وقد قيلت بهذا الصدد في المرأة التونسية الشقيقة عبارة تنطبق عن المرأة المسلمة بالجزائر وسائر الأقطار الاسلامية " فان كان تعليمها وتهذيبها اسلاميين وطنيين كان ابنها حسب تعليمها (١) ".

---

(١) المدني أحمد توفيق - حياة كفاح - ١٩٢٥م - ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، ص : (٨٠) .

التعليم الرسمي في مواجهة التعليم الاسلامي :-

أدى احتلال الجزائر من طرف الاستعمار الفرنسي الى ظهور نوعين من التعليم بهذه البلاد ، بينهما فرق كبيرة جدا : تعليم اسلامي سبق ذكره ، وتعليم رسمي .

التعليم الرسمي :-

يقصد بالتعليم الرسمي ذلك التعليم الذي تشرف عليه الادارة الحكومية الفرنسية ، فهو تعليم خاص بالدرجة الأولى بالفرنسيين والأوربيين بصفة عامة وهو اجباري على أبناء المعمرين ، فلا تجد أبدا في الأوساط الأوربية طفلا أميا محروما من التعليم ، لا يجد مقعدا في المدرسة ، فالمدارس الحكومية منتشرة بكثرة في كل المدن والقرى الجزائرية حيث يتكاثر السكان المعمرين .

ينقسم التعليم الرسمي الى ثلاثة مراحل : المرحلة الابتدائية والثانوية ، والمرحلة العالية .

أ - التعليم الابتدائي :-

وهو تعليم خاص بأبناء الأوربيين الذين بلغوا سن الخامسة من العمر والسادسة ، تتميز هذه المرحلة بالمجانية وفقا لقرار سنة ١٨٨١م ، وقد أصبح تعليمها أجباريا ، على الأوربيين طبعا ، وفقا لقرار ١٨٨٢م ، كان عدد الأوربيين آنذاك يبلغ ٩١٣ ألف شخص ، أما أبناء الوطن فلم يكن لهم الحظ بهذه المدارس الا بنسب ضعيفة جدا ، فهم قلة قليلة ، مايعادل الواحد في المائة من المسلمين لنحو العشرة في المائة من الأوربيين ، فقد كان الجزائريون المسلمون يعيشون حياة الأمي المتعطش للعلم ، ومنهم من يلتحق بالكتاب القرآني أو مدرسة حديثة أو زاوية من الزوايا[١] .

---

(١) المدني أحمد توفيق - كتاب الجزائر - ط٢ ، ١٩٦٣م - الجزائر، ص : ٣٧٥ .

وقد وردت احصائيات سنة ١٩٥٠م مقال :" أحمد مهساس" اذ يرى وجود ٢٠٦٨ مدرسة ابتدائية فيها ١٣٠٫٠٠٠ تلميذ فرنسي ١٧٧٫٠٠٠ تلميذ جزائري .

وكانت نسبة تعليم الفرنسيين تمثل ١٦ طفلا لكل ١٠٠ ساكن ، ونسبة تعليم الجزائريين تمثل طفلين (٢) لكل ١٠٠ ساكن .. وكان مايزيد على ١٫٥٠٠٫٠٠٠ طفل ممن بلغوا سن الدراسة في ذلك الوقت خارج المدارس (١) .

ب - التعليم الثانوي :-

وهو تعليم خاص بالدرجة الأولى بالتلميذ الأوربي الذي أنهى المرحلة الابتدائية بتفوق مناهجه فرنسية ليس للغة العربية فيه الا الحظ القليل جدا كما جاء في تعبير السيد " لارشي " الفرنسي " اللغة العربية فيها (أي في المرحلة الثانوية مكان ضيق (٢) ". وكان ذلك وفقا لمنشور مفتش الأكاديمية الذي يرى أن " يقتصر التعليم العربي على تدريس الملموس من مفردات اللغة والمبادئ الأولية من قواعد اللغة العربية (٣) ".

وقد أنشأت الحكومة الاستعمارية ثلاث مدارس للتعليم الثانوي بكل من مدينة " المدية " و " تلمسان " و " قسنطينة " سنة ١٨٥٠م ، ونقلت فيما بعد مدرسة المدية الى البليدة ثم الى العاصمة بحي " بن عكنون " ، وهي ثانويات خاصة بتكوين الاطارات التي تحتاجها الحكومة الفرنسية داخل البلاد في مجال القضاء (قاضي ، باش عادل ، عادل ..) الى جانب السلك الديني : (مفتي - امام ...) وقد

---

(١) الجزائر - وزارة الثقافة - أحمد مهساس - الثقافة ، عدد ٨٥ ، ص : ٦٦ .

(٢) تنظيم تعليم اللغة العربية - ١٩٦١م ، ص : ٨ (بالفرنسية) .

(٣) الجزائر - وزارة الثقافة - أحمد مهساس - " الثقافة ، عدد (٨٥) ، ص : ٦٩ .

حولت هذه المدارس الى ثانويات التعليم الفرنسي ـ الاسلامي " سنة ١٩٥١م ثم الى ثانويات " وطنية " سنة ١٩٥٩م ، وقد وردت هذه المعلومات لدى المصادر الفرنسية.

ومما يذكر عن هذه المدارس الثلاثة أنها كانت تستوعب في سنة ١٩٥٠م - حوالي ٢٨٩ تلميذا ، " أما محتوى التعليم المقدم في هذه المؤسسات فان الملاحظ هو تدني حظ اللغة العربية والمواد الاسلامية فيها "(١).

انها سياسة تعليمية واضحة ، تتجلى في قول الفرنسيين أنفسهم : " ليس الغرض من فتح المدارس في شمال افريقيا أن نكون عقولا مثل عقول (منتسكيو) ، أو (جان جاك روسو) أو (فولتير) ولكن لنبدل لغة بلغة ودينا بدين وعادات بعادات "(٢).

أما الشيخ أحمد توفيق المدني رحمه الله فقد أشار الى وجود ثمان مدارس عليا من نوع " كوليج " تقع في البليدة والمدية ومستغانم وتلمسان وعنابة وسكيكدة وسطيف وسيدي بلعباس بالاضافة الى عشر مدارس ثانوية حرة أوربية أخرى ، والتعليم مجانا بالنسبة للأوربيين انما الجزائري يطلب منه دفع مبلغا من المال ليتلقى تعليمه الفرنسي ـ العربي رغم أن اللغة العربية لا تدرس فيها الا كلغة أجنبية ، اختيارية ضمن اللغات التي يختارها الطالب كلغة ثانية " الى جانب الفرنسية ، فاللغة الفرنسية مما لا شك فيه أصبحت اللغة الأساسية في التعليم ، ويفرض على الطالب الجزائري مبلغ ١٢٠ فرنكا فرنسيا في السنة اذا رغب في بعض الدروس الاسلامية "(٣).

والتعليم الاسلامي هنا ليس الا اسما لأنه تعليم ضئيل جدا ، مجرد من روحه الاسلامية لا يعتمد الا على القشور فقط ، ويقوم بتدريسه مدرسون تختارهم الادارة الاستعمارية فلم ينل هذا التعليم اقبالا كبيرا من طرف أبناء الوطن نظرا لارتفاع أجور الدراسة فيه ،

---

(١) الجزائر ـ وزارة الثقافة ـ أحمد مهساس ـ الثقافة ، عدد ٨٥ ، ص : ٦٩ .

(٢) خرفي صالح ـ صفحات من الجزائر ـ دراسات ومقالات (١٩٦٢م - ١٩٧٢م) ص : ٣١٦ .

(٣) المدني أحمد توفيق ـ كتاب الجزائر ـ ط٢ ، ١٩٦٣م ، الجزائر ، ص : ٣٧٥ .

وضعف مستوى التعليم العربي وعدم كفايته بالإضافة الى ذلك صعوبة الالتحاق بالتعليم الثانوى بسبب مسابقة الدخول في السنة السادسة مع حد السن (١٢) سنة ، وفيما يخص المتاعب المالية فقد كانت ادارة المدرسة الثانوية تكلف الطالب الجزائرى بحوالى ٥٠٠ر٠٠٠ فرنك قديم مقابل الكفالة السنوية أى النظام الداخلي اضافة الى مصاريف مختلفة (١) .

لقد تطور هذا التعليم ، الثانوى ، فأصبح لطلبة هذه المدارس الفرصة في التقدم الى امتحان " البكالوريا " (المستوى الأول أو الثاني) اما باللغة العربية الفصحى أو الدارجة التى أصبحت وفقا لقرار ٢٤ سبتمبر ١٩٦٠م ، في مستوى اللغة الفصحى وسائر اللغات الأجنبية الأخرى كالألمانية والانجليزية فزاد " الطين بله " مع دخول اللهجة الدارجة كمنافس جديد لمزاحمة اللغة العربية الأصيلة .

ومهما كان الحال فقد امتنع الكثيرون من الآباء أن يبعثوا بأبنائهم لهذه الثانويات بل أصبحوا يرفضون لأبنائهم أن يختاروا اللغة العربية مهما كان نوعها ، فصحى أو دارجة اعتقادا منهم في سد طرق التعليم العالى أمام أبنائهم ، فلايقبلوا فيما بعد في المدارس الحكومية من جهة وخوفا من التوظيف من جهة أخرى ، أى ألا يوظف فيما بعد دارس اللغة العربية (٢) .

ومما يذكر أن الجزائر كانت تضم فى سنة ١٩٦٠م عدد ٩٠٠ر٠٠٠ أوربي جلهم فرنسيين وعددا من الأسبانيين الى جانب ١٣٠ر٠٠٠ اسرائيلي (٣) .

---

(١) الجزائر - وزارة الثقافة - عبد الحميد تابليت - الثقافة ، عدد ٨٤ ، ص : ٦٧ .

(٢) تنظيم اللغة العربية ، ١٩٦١م - ص : ١١ .

(٣) هيمون ج - مدخل الى افريقيا الشمالية الحديثة ١٩٧٥م - باريس - مركز الأبحاث العلمية : ص ٣٦١ .

جـ - التعـــليم العالـي :-

لم يكن الجزائريون أحسن حالا ولا أوفر حظا في التعليم العالي ، وقد ينحصـــر التعليم العالي ، الرسمي ، في جامعة الجزائر العاصمة التي كانت تضم أقساما شـــتى ، منها قسم اللغة التي أطلق عليها باسم " اللغة الحديثة " وقسم الحضارة الاســـلاميـــة وقسم اللغة والآداب.

وقد تهيئ هذه الى امتحانات من النوع : " الدبلوم " الخاص الليسانس بالاضافة الى اعداد اطارات التعليم العربي في الثانويات " والكوليج " ، وتشير نفس المصادر الى احصائيات سنة ٦٠ / ٦١ بما يلي :

المجمـــوع	مســـــلمين		أوربيـــــي (١)	
	انـاث	ذكـــور	انـــاث	ذكـــور
٣٨	٤	٣٤	—	— اليسانس
٣٢	٢	٣٠	—	— دبلـــوم
١٦٦	٤٦	١١٤	٢	٤ شهادة " البريفة "
٦٣٦		٢٣٦	٦	

وقد انشئ معهد الدراسات العليا " الاسلامية بمرسوم سنة " ١٩٤٦م يـــــوم ٥ جويلية ، وكان المعهد يستقبل في نفس السنة حوالي ٩٤ تلميذا فقط منهم "٢٩" فـي الفرع البيداغوجي ، و " ٨ " في الفرع الفقهي و " ٤ " في الفرع الاداري (٢).

وقد لازم هذا المعهد تكوين العدد الضروري فقط من احتياجات الادارة الـــى الموظفين ، وتم افتتاح مركزين " للدراسات الاسلامية ، العليا " تهيئ الى شهادة "البريفة"

BAAREF

---

(١) تنظيم اللغة العربية ، ١٩٦١م ، ص : ١٥ .

(٢) الجزائر - وزارة الثقافة - عبد الحميد تابليت " ، الثقافة عدد ٨٤ - ص: ٣٠١ .

والدبلوم - Diplome ، الأول بمدينة قسنطينة منهم ٤٦ مسجلين ، والثاني في مدينة تلمسان يضم عدد (٧١) مسجلا (١) .

وقد قامت سلطات الاحتلال في يوم ٩ أفريل ١٩٦٢ م بالجزائر العاصمة بغلق الجامعة بسبب هجمات القاتلة لجماعة (OAS)(٢) - تنظيم عسكري سري فرنسي - مهما كان الحال فالفقر من جهة وسياسة التمييز العنصري التي كانت تتبعها ادارة الاحتلال من جهة أخرى وسد أبواب التوظيف في وجه الجزائريين المسلمين واشتراط الجنسية الفرنسية للالتحاق ببعض المعاهد الفرنسية كل ذلك كان عائقا بين الطالب المسلم وبين مقاعد التعليم العالي ، " ففي ١٩٥٤م من بين ٥١٤٦ طالبا في كليات الجامعة الجزائرية لا يوجد يوم اعلان الثورة الكبرى الا ٥٥٧ طالبا ، أما توزيعهم فهو كالتالي :-

	أوربي	جزائري
الحقوق	١٥٢٨	١٧٩
الطب	٧١٤	١١٠
الصيدلة	٣٦٩	٣٤
الآداب	١١٥٧	١٧٢
العلوم	٧٦٢	٦٢ (٣)

---

(١) تنظيم اللغة العربية ١٩٦١م - ص ، ١٦ .

(٢) ميمون - ج . - المرجع السابق ، ص : ٤١٧ .

(٣) مجاهد مسعود - الجزائر عبر الأجيال ، ص : ٣٥٥ .

خلاصـــــة :-

ان الله عز وجل قيض للشعب الجزائري نخبة من الرجال الشجعان ، المتشبعين بروح الاسلام وخصلة التفاني في سبيل الدفاع عن حوزة الاسلام والعقيدة الربانيـــة سالكين في ذلك منهج الشيخ " محمد عبده " الذي ربى تلاميذه على القرآن الكريـــم من أجل رجال قرآنيي الفكر والسلوك واللسان . .

فهذه هي " جمعية العلماء الجزائريين المسلمين " والتي أصبح " التعليم الاسلامي " ملتصقا باسمها وتاريخها والطوارئ التي مرت بها وهذا ماتبين لنا من خلال عـــرض المراحل التي مر بها التعليم الاسلامي في عهد " جمعية العلماء " ، وقد قسمت هذه المراحل ، تاريخيا الى ثلاث مراحل :-

١ - المرحـــلة الأولى :-

من أهم مايشـــار اليه في هذه المرحلة هو قيام جماعة المثقفين متصدين لجهـــود " جمعية العلماء " وضد نشاطاتها وتحقيق أهدافها . وهؤلاء هم دعاة التجنيـــس بالجنسية الفرنسية من جهة ومن جهة أخرى دعاة الاندماج الكامل ، ونجم عن ذلـــك اعتداءات متكررة على مؤسسات التعليم الاسلامي التابعة لجمعية العلماء وبعـــض أنصارها ، فما كان على أعضاء "جمعية العلماء" الا الصبر والمثابرة تحت قيادة الشـــيخ "ابن باديس ".

٢ - المرحـــلة الثانيـــة :-

وقد شهدت هذه المرحلة اندلاع الحرب العالمية الثانية ووقوف " جمعية العلمـــاء " ضد فرنسا في حربها مع الحلفاء . ومن أهم عواقبها استقالة أحد كبار عناصر الجمعيـــة ونفي الرجل الثاني بجمعية العلماء . أما الخسارة الكبيرة التي ابتلي بها التعـــــليم الاسلامي من خلال " جمعية العلماء " فهي تتمثل في وفاة الشيخ الجليل رئيس جمعية العلماء : عبد الحميد ابن باديس ، قائد النهضة الاسلامية بالجزائر .

٣ - المرحلة الثالثة :-

وهي توافق خروج الشيخ الابراهيمي من المنفى وشروعه في العمل الجاد ،كرئيسا لجمعية العلماء الذى تم انتخابه وهو بالمنفى . وقد شهدت هذه الفترة ظهور عدد كبير من مدارس التعليم الاسلامى واتساع نطاق التعليم على مستوى القطر الجزائرى ، فكانت علامة حياة وتفاؤل بالنسبة للتعليم الاسلامي الى أن وقعت حادثة ١٩٤٥م تلك المذبحة التي ذهب ضحيتها عدد كبير من الأساتذة وطلبة العلم ، تلاميذة الابتدائي على وجه الخصوص حقدا وكرها .

وقد اعتقل الكثير من خيرة أبناء الوطن منهم الشيخ الابراهيمي . فكادت أن تكون كارثة كبرى بل " القاضية " بالنسبة للتعليم الاسلامي لولا اطلاق سراح علماء الجمعية وعودة الابراهيمي الى الميدان ، فقام بأعمال لا تحصى في مواصلة نضاله من أجل التعليم الاسلامي . فكانت بمثابة حرب ضد التعليم الرسمي الفرنسي .

يعتبر التعليم الرسمي بالجزائر في ذلك العهد هو التعليم الفرنسي بمناهجه وأسسه وتنظيماته ومحتوياته وأهدافه . .

وقد كان موزعا ضمن مراحل دراسية ثلاث تعنى بالدرجة الأولى أبناء فرنسا الاستعمارية والجالية الأوربية وعددا قليلا محدودا من المقاعد للجزائريين ، الخاصة منهم أبناء الأثرياء وكبار التجار . .

ومن أهم الأساليب الهدامة الموجهة ضد التعليم الاسلامي هو ظهور نوع من التنافس بين اللهجات ، اللهجة العربية واللهجة البربرية بغية محو آثار لغة القرآن من جهة ومن جهة أخرى خلق الفوضى والبلبلة والتفرقة العنصرية !

الصحافة والتعـــليم الاســـلامي :-

" ان الصحافـة للشـعوب حيـاة ∴ والشعب من غير لسـان مـــواة
في اللسان المفصح الذلق الذى ∴ بيانه تتدارك الغايـــات "(١)
(أبى اليقضان)

تعتبر الصحافة ،بحق ،عامل من عوامل النمو في شتى الميادين ،فمن حيث اللسـان فالصحافة قد تنمي اللغة وتعطيها المرونة والحيوية فتصبح مصدرا للأدباء ،وهي مصلح كبـير ومدرسة كبرى للوطنية (٢).

وقد يكون للصحافة اتجاه سلبي حين يتخذ منها أداة لبث الأفكار المنحلـــة وسوء الخلق وشتى أنواع الأكاذيب .

والصحافة سلاح قوى في يد صاحبها ،فعندما تأسست جمعية العلماء اتخـــذت من الصحافة وسيلة من الوسائل الرئيسية لتنشر من خلالها أفكارها ومبادئها عبر جهـات الوطن الجزائرى ،كان ذلك اقتداء بالنهضة الاسلامية التى ظهرت بالمشرق العربـــى ، منها الحركة الاصلاحية لمحمد عبده ، وجمال الدين الأفغانى ،ومجلة :" العروة الوثقى " ومجلة " المنار " لرشيد رضا ،لقد انشأت جماعة من العلم بمدينة قسنطينة ، بوحـــي من الشيخ ابن باديس سنة ١٩٢٥م جريدة باسم " المنتقد " تصدر صباح كل يـــوم خميس وتحمل شعار :

" الحق فـــوق كل أحد والوطـــن قبل كل شـــئ " .

لم يظهر منها سوى ثمانية عشر عددا ومنعتها سلطات الاحتلال ، وليس من الغريب أن تتصدى حكومة المعمر الى الصحافة الوطنية التى من شأنها نشر الوعي بين الجماهـير

---

(١) الجزائر - وزارة التعليم الأصلي - الزبير سيف الاسلام - الاصالة ، ١٤-١٥ ، ص : ٢٨٦ .

(٢) الطمار محمد - الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج - ١٩٨٣م - الشـركة الوطنية للنشر والتوزيع ، ص : ٢٧٠ .

الغافلة لتحرضها ضد التعليم المفرنسي وعواقبه ، " وما أشبه جريدة المنتقد بجريدة " العروة الوثقى " للسيدين جمال الدين الأفغاني ، ومحمد عبده "(١).

وفي نفس السنة ١٩٢٥م ، قام الشيخ " ابن باديس " بتأسيس جريدة " الشهاب " سيرا في خطى " المنتقد " الا أنه اختار لها أسلوبا آخر وهو التخفيف من اللهجة المعادية للادارة الفرنسية حتى يتسنى لها القيام بمهمتها التعليمية ، وقد كتب " ابن باديس " على غلافها : مجلة اسلامية ، جزائرية ، شهرية تبحث في كل مايرقى المسلم الجزائري "(٢).

خصص ابن باديس ، الجزء من " الشهاب " لنشر خطب الجمعة ودروسها وجزءا منها للفتاوى يطلع عليها القارئ فتدله في شؤونه الدنياوية والأخروية الى جانب المحاضرات الدينية العامة ، وقد اشترك فيها مجموعة من العلماء والأدباء في نشر مقالاتهم الأدبية وأفكارهم العلمية الاسلامية ، أما النشرات الادارية فقد وزعت على بقية الصحف الدورية ، وتعتبر مجلة " الشهاب " كما قال عنها بحق الشيخ العربي التبسي رحمه الله ، انها " مدرسة شعبية " عصرية على أحدث نظام وأشهى أسلوب . . فهي شعبة من شعب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر "(٣).

وقد تكون جريدة " الشهاب " هي الجريدة الوحيدة التي لم تمسها السلطات الاستعمارية وانما الشيخ ابن باديس هو الذي فضل ايقافها عن الصدور سنة ١٩٣٩ م مع بداية الحرب العالمية الثانية حتى لا تمسها اليد الاستعمارية بسوء ! فأصدرت الجمعية بعدها سلسلة من الجرائد الخاصة بها ، " كالشريعة المحمدية " و " السنة النبوية " و " الصراط السوي " الا أن سلطات الاحتلال لم تترك لها أن تحيى نصيبها

---

(١) الجزائر - وزارة الثقافة - تركي رابح - الثقافة ، عدد : ٨١ ، ص : ١٧٧ .

(٢) نفس المرجع السابق ، ص : ١٨٣ .

(٣) الرفاعي أحمد - الامام العربي التبسي - مقالات في الدعوة الى . . . " ، القسم ١ ، ط ١ ، ١٩٨١م - قسنطينة : ص ٦٤ .

من الحياة في عالم الطباعة ، فقد منعتها منعا لا رجعة فيه مدعية أنها جرائد لم يحمل أصحابها ترخيصا وفقا لما ينص عليه قرار " شودان " الصادر سنة ١٩٣٣م [١] ومن الباحثين في تاريخ الجزائر من حدد صدور قرار " شودان " هذا بتاريخ ١٩٣٨م ، أعتقد على كل حال أنه عبارة عن قراران تم اصدارهما مابين ١٩٣٣-١٩٣٨م والمهم هنا هو ماينص عليه القرار، حسب جريدة " الشهاب " : اضافة عقوبات ضدكل من يباشر التعليم العربي الديني بدون رخصة . . اشتراط بطاقة الخدمة العسكرية في حين امتناع حكومة الاحتلال عن تسليم الرخص . . مع تضييق حرية الصحافة وغيرها من المطبوعات ! .

سنة ١٩٣٥م - يوم ٢٧ سبتمبر، ظهرت جريدة البصائر [٢] تحمل شعار: " قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها وماأنا عليكم بحفيظ " [٣] كانت تقوم بدور فعال مابين المربي والمعلم المسلم والمرشد الصالح ، بما كانت تنشره من المواضيع الخاصة بالدعوة السلفية ، وقد توقفت عن الصدور في سنة ١٩٣٩م مع نفي رئيس تحريرها الشيخ الجليل الابراهيمي ، ولم تعد الى الميدان الا في سنة ١٩٤٤م وكأنها جمعت كل قواها فكانت من أحسن وأوسع المراجع في تاريخ النهضة الجزائرية الاسلامية ، فكانت تذكر الحقائق كما هي [٣] وقضى عليها الاستعمار في سنة ١٩٥٦م.

وأهم مايقال عن هذه الصحف " المنتقد " - الشهاب ، البصائر ، الاصلاح . . " انها حملت لواء الدعوة الى الاصلاح والنهضة بالتعليم الاسلامي ، وكان لهذه الصحف دور في رفع مستوى اللغة العربية وتقريبها من لغة العشرة، ودفع عنها

---

(١) أبو الصفصاف عبد الكريم - جمعية العلماء : ١٩٣٣-١٩٤٥م ، ط ١ - ١٩٨١ ص : ١٣٩ .

(٢) سعد الله أبوالقاسم - الحركة الوطنية الجزائرية ١٩٣٠م-١٩٤٥ م - ج ٣ ، ١٩٧٧م ، ص : ٣٤ .

(٤) الجزائر - وزارة التعليم الأصلي - عثمان كعاك - الاصالة ، عدد ١٤ - ١٥ ، ربيع ٢ رجب - ١٩٧٣م ، ص : ١٤٢ .

(٣) آية ١٠٤ من سورة الأنعام .

اللهجة العامية وكل ما حاولوا ادخال فيها من حروف لاتينية وغيرها (١) !

والقارئ قد يجد في كتاب " محمد علي دبوز " (٢) اشارة موجزة عن الصحف العربية الجزائرية المعروفة باتجاهها الوطني ، فقد اهتم أصحابها بعض الشئ بالناحية التعليمية الاسلامية كالأدب الاسلامي والشعر الوطني المحس ومنها على التوالي ، حسب تاريخ الصدور :

١٨٩٤ - ظهرت في هذه السنة أول صحيفة عربية جزائرية الى الوجود في ظروف صعبة سواء من الناحية المادية حيث كان الفقر مهيمناً على الشعب الجزائري بصفة عامة نتيجة الأمراض التي انتشرت في تلك الفترة والمجاعة الهالكة التي اجتاحت البلاد في ذلك العهد أو من الناحية المعنوية حيث كان الشعب الجزائري الأبي يعاني من نتائج الثورات المتتالية منها ثورة الأمير عبد القادر وما آلت اليه الجزائر بعد استسلامه وثورة ١٨٧١م المعروفة ! وقد كان التعليم الاسلامي يمر بظروف صعبة في ظل الظلم والعدوان الاستعماري ، ومما يذكر كذلك ، النشاط الكثيف الذي كانت تقوم به الطائفة المنحلة ، الموالية للاستعمار ، من السادة الطرقيين !

فهكذا وفي هذه الظروف الضيقة تمكن السادة المصلحون الأدباء بمدينة عنابة منهم : السيد سليمان بن ينقي وعمر السمار وخليل قايد العيون ، من اصدار هذه الجريدة ، كانت أسبوعية ، فهي لم تعمر طويلا وانما سنة واحدة ثم تم القضاء عليها من طرف سلطات الاحتلال .

١٩٠٨م صدرت صحيفة الشيخ عمر راسم ، لم تعمر طويلا لأزمة مادية لم يصدر منها سوى (٣) أعداد .

---

(١) الجندي أنور - الفكر والثقافة المعاصرة في شمال افريقيا - الدار القومية القاهرة ، ١٩٦٥م ، ص : ٢٠٤ .

(٢) دبوز محمد علي - نهضة الجزائر الحديثة ، ص : ١٢٠ .

١٩١٢م ظهرت جريدة " الحق الوهراني " التي أنشأها باللغة العربية السيد تابي الفرنسي بمدينة وهران .

١٩١٣ م أنشأ السيد " عمر بن قدور " جريدته " الفاروق " و " عمر بن قدور " رجل محترم ، يقرأ القرآن الكريم ويعتبر من المدرسة الاصلاحية المتأثرة بالشيخ " محمد عبده " ويحاول السير في نفس خطى " المنار " لرشيد رضا ، فقد كانت " الفاروق " داعية الى محاربة الخرافات والبدع ومحرضة على التعليم الاسلامي السليم (١) .

دامت " الفاروق " سنتين فقط وقضي عليها من طرف حكومة الاحتلال ، كانت صفحاتها مرآة عاكسة لشتى معاناة الشعب الجزائرى المسلم وآلامه التي سببتها الاعتداءات المتكررة على المؤسسات الدينية وأعضاء القائمين عليها .

١٩١٣م في نفس السنة ظهرت جريدة ثانية " لعمر راسم " تحمل اسم " ذو الفقار " في شكل مجلة مصورة ، والذى يميز هذه الجريدة عن غيرها من الجرائد الناطقة باللسان العربي أنه صاحبها " عمر راسم " ، هو القائم عليها يكتبها ويخطها بنفسه ثم يقوم بتصويرها بنفسه .

وقد كان " عمر راسم " من المتأثرين بمدرسة الامام " محمد عبده " و " جمال الدين الأفغاني " وكانت مجلته هذه تحمل على غلاف الصفحة صورة " محمد عبده " كتب تحتها " انه هو المدير الدينى للجريدة ، والغريب في ذلك أن يكون شعارها " جريدة عمومية اشتراكية انتقادية " (٢) ، ومما لا شك فيه أنها لم تعمر كثيرا فقد أوقفت سنة ١٩١٤م خلال الحرب العالمية الأولى وألقى السيد عمر راسم بالسجن محكوما عليه بالأشغال الشاقة .

---

(١) د . طالبي عمار - " ابن باديس " - حياته وآثاره : ج١ ص : ٥٥ .

(٢) تركي رابح - الشيخ ابن باديس ، ص : ١٠٨ .

١٩١٩م صدرت جريدة " النجـــاح" للشيخ عبدالحفيظ الهاشمي وانضـــم اليه الشيخ " مامي اسماعيل " ، جريدة اسبوعية في بدايتها ثم أصبحت يومية بســـنة ١٩٣٠م ، وقد كان يخصص جزءا منها الى نشرات أعضاء جمعية العلماء وضمنهم" الشيخ ابن باديس"الذين وجهوا اهتمامهم بقضية التعليم الاسلامي ، دامت الجريدة الـــى سنة ١٩٥٦م .

١٩٢٠م بعد الحرب العالمية الأولى - ظهرت جريدة " الاقدام " أسسها الأمير خالد باللغتين العربية والفرنسية .

كان يرأس القسم العربي منها : الأمير خالد ، أما القسم الفرنسي فبرئاسة " القائد حمود " و" الحاج عمار " دامت مدة خمس سنوات الى أن نفي الأمير خالد الى فرنسا ، كانت اللسان المعبر لجماعة " وحدة النواب المسلمين " ومن دعواتها مطالبـــة سلطات الاحتلال بالغاء القوانين الاستثنائية والمساواة التامة في الحقوق بينهـــم وبين الفرنسيين والاعتراف بحق الجزائريين في التعليم الالزامي وحرية الصحافـــة والعفو السياسي العام.(١)

١٩٢٣م رجعت جريدة " الاقدام " الى الصدور ولكن في باريس وفي نطاق غـــير نطاقها الأول .

١٩٢٥م ظهرت" المنتقد " ثم " الشهاب " على التوالي تنشر دعوة الاصـــلاح في الجزائر، كما صدرت جريدة " البرق " بمدينة قسنطينة و" صدى الصحراء " للشيخ " أحمد بن العابد العقبي " في نفس السنة فقضى عليهما الاستعمار ، كذلك في نفـــس سنة ١٩٢٥م صدرت جريدة " الجزائر " شعارها " الجزائر للجزائريين " كانت شديدة اللهجة ، متحمسة فلم يظهر منها سوى ثلاثة أعداد وأوقفها الاستعمار .

---

(١) طحان مصطفى محمد - القيادة في العمل الاسلامي ، ج٢ - دار الوثائق ١٩٨٥م ، الكويت - ص : ١٢١ .

ويستعرض الكاتب لنهضة الجزائر الحديثة " الى صحف " أبي اليقظان " بوادي ميزاب التي كانت مرآة للفكر الجزائري المسلم والمعبر الناطق المخلص لجهاد العلماء المخلصين ، كان لها ولصحف جمعية العلماء عميق الأثر في نهضة التعليم الاسلامي .

ظهرت أول جريدة لأبي يقظان في أكتوبر ١٩٢٦م صدر منها ١١٩ عددا وقضى عليها الاستعمار سنة ١٩٢٩م .

أصدر جريدته الثانية باسم " ميزاب " في ١٩٣٠م لم يظهر منها سوى العدد الواحد وقضي عليها .

وجريدة " المغرب " عام ١٩٣٠م صدر منها ٣٨ عددا قضى عليها في سنة ١٩٣١م .

ثم ظهرت جريدة " النور " عام ١٩٣١م صدر منها ٧٨ عددا قضي عليها سنة ١٩٣٣م .

وفي سنة ١٩٣٣م ظهرت جريدة " البستان " صدر منها ١٠ أعداد فقط قضي عليها في نفس العام .

وجريدة " النبراس " سنة ١٩٣٣م ظهر منها ١٧٠ عددا ، قضي عليها سنة ١٩٣٨م ثم " الفرقان " سنة ١٩٣٨م ظهر منها (٦) أعداد فقط ، قضي عليها كذلك في نفس العام .

ومن الصحف الوطنية التي ساهمت في بث الحماس بين أبناء الوطن واليقظة جريدة " المرصاد " للسيد محمد " عباسة الأخضري " سنة ١٩٣٠م ، كانت أسبوعية تقوم بنشر أفكار الحركة الاصلاحية ، فهي بمثابة المعلم ، المرشد الذي يذهب هو بنفسه الى القارئ الجزائري المسلم ويأخذ بيده الى مجلس علم وتذكير من خلال صفحات هذه الجريدة التي تلتها جريدة " الثبات " للسيد " عباسة " سنة ١٩٣٤م ، وهي أسبوعية .

أما جريدة " الاصلاح " للشيخ الطيب العقبي " وهي جريدة ظهرت بمدينة بسكره في سنة ١٩٢٧م ، وقد أعاد اصدارها بالجزائر العاصمة في سنة ١٩٣٩م فهي جريدة

تحمل طابعا دينيا ، تعليميا ، اصلاحيا كما يدل عليها اسمها[١].

ولا يفوتني أن أذكر " أبا اليقظان " ، " عميد الصحافيين في الجزائر " هو ابراهيم ابن الحاج عيسى أبو اليقظان ، ولد يوم ٥ نوفمبر ١٨٨٨م بولاية الواحة ، غرداية ، أنشأ أول جريدة له باسم : " وادي ميزاب " عام ١٩٢٦م ، أنشأ بعدها سبع جرائد أخرى مابين ١٩٢٦م و ١٩٣٨م كانت مقاومته للاستعمار وأعوانه بالقلم وباللسان لمدة العشرات السنين ، ساهم من خلالها في الدفع بالتعليم الاسلامي الى النهضة والازدهار[٢].

---

(١) د بوز محمد علي - نهضة الجزائر الحديثة - نفس المرجع : ص : ١٢٠/١٣١.

(٢) الجزائر - وزارة التعليم الأصلي - الزبير سيف الاسلام - الاصالة ، عدد : ١٤-١٥ ، ص : ٢٨٦.

الصحافة الصادرة باللغة الفرنسية :

لم يكن أصحاب الصحافة الصادرة باللغة الفرنسية كلهم فرنسيون ولكن أكثرهم جزائريون وطنيون مخلصون وقد كانت معظم هذه الصحف سياسية ماعدا جريدة " الدفاع " للأستاذ الأمين العمودى و " الاسلام " للاستاذ " الصادق دندان " التى وجهت عنايتها نحو الاصلاح الدينى والاجتماعى كما اعتبرت التعليم الاسلامى أساس النهضة والتقدم . أما باقي الصحف الصادرة باللسان الفرنسى فلم تكن غايتها سوى المطالبة بالحقوق السياسية والتساوى مع الفرنسيين في الحقوق والواجبات.

هناك جرائد ناطقة " باللسان الفرنسي " أسسها فرنسيون : أذكر منها : جريدة " المرشد الجزائرى " وهي أول جريدة حقيقية يؤسسها الفرنسيون بالجزائر تم صدورها سنة ١٨٣٢م وهي تهتم بنشر القرارات والاعلانات الحكومية الرسمية وأخبار المسلمين وحركات الآهالي ،كان يرأسها السيد " بير " و " برجر " الذى لعب دورا في ادخال الكثير من عوامل الحضارة الغربية الى الجزائر .

أما في سنة ١٨٣٩م ظهرت جريدة " الأخبار " ،كانت تهتم بالأبحاث التاريخية الآن معظم صفحاتها سياسية اخبارية ،أما جريدة " المبشر " سنة ١٨٤٧م فقد كانت بمثابة وكالة الأنباء المحلية المكتوبة كانت تنشر باللسانين الأوامر الادارية والتشريعات الحكومية وتبث الدعاية ضد الوطنيين.(١)

وفي سنة ١٩٠٣م صدرت جريدة " المغرب " من مدير مطبعة " فونتانا " ومصدرها حكومي وفي نفس السنة ظهرت جريدة " كوكب افريقيا " لمحمود كحول " ومصدرها حكومي.(٢)

أما مجلة (R.A) " المجلة الافريقية " فهي محلية ،كان لها الصدى البعيد

---

(١) د . طالبي عمار - ابن باديس ، حياته وآثاره : ج١ ص : ٥٥ .

(٢) الجزائر - وزارة التعليم الأصلى - أبو القاسم سعد الله - الاصالة - عدد ١٤ - ١٥ ، ربيع ٢ - رجب ١٩٧٣م ،ص : ٦ .

لدى القراء باللسان الفرنسي حيث أصبحت فيما بعد مرجعا لاغنى عنه تحوى المئات من المواضيع المختلفة منها مافيه فوائد علمية نزيهة[١].

الصحف المزدوجة اللغة[٢] :

الصحف المزدوجة اللغة هى الصحف الصادرة باللسان العربى والفرنسى ومن أهم هذه الصحف :

" المصباح " جريدة أصدرها " العربي فخار " ظهرت بمدينة " وهران" في سنة ١٩٠٤م الى ١٩٠٥م فقط .

" الرشيدى " نشأت في مدينة " جيجل " عام ١٩٠٩م.

" الاسلام " مزدوجة اللغة في البداية ثم أصبحت فرنسية ، برئاسة " الصادق دندان" ظهرت بمدينة " عنابة " سنة ١٩١٢ - ١٩١٤م.

" الدفاع " أسسها الأمين العمودى ،كاتب " جمعية العلماء الجزائريين المسلمين" صدرت هذه الجريدة بالجزائر العاصمة ، سنة ١٩٣٤م - ١٩٣٩م.

" التفاهم " د . صالح بن جلول بمدينة قسنطينة سنة ١٩٣٥م - ١٩٣٩م.

" المساواة " للسيد فرحات عباس .

" صوت الشعب " للفرنسي المسلم الغيور على الدين الاسلامى " شريف جكلان "

انها مجموعة من الصحف ظهرت باللغتين العربية والفرنسية وهى بمثابة مرآة تعكس أفكار واتجاهات أصحابها وغالبا ما يكون اسمها دالا على محتواها ومرشد لما تخفيه صفحاتها .

---

(١) الجزائر - وزارة التعليم الأصلى - عثمان الكعاك - الاصالة ، عدد ١٤-١٥ ، ربيع - ٢ رجب ، ص : ١٣٩ .

(٢) د بوز محمد علي - نفس المرجع : ص ١٢ / ١٣ .

هناك نشاط صحافي سرى أتطرق اليه بايجاز لأنه يحمل معظمه طابعا سياسيا وطنيا : جريدة " الوطن " باللغة الفرنسية سنة ١٩٤٢م - ١٩٤٤م.

" " العمل " " " " ١٩٤٣م - ١٩٤٤م.

" " صوت الأحرار " " " ١٩٤٥م - ١٩٤٦م.

" " الأمة الجزائرية " " " ١٩٤٦م - وهي تحمل شعارا :

" جريدة سرية من أجل التحرير الوطني "(١).

أما جريدة " الجزائر الحرة " فقد كانت آخر جريدة جهرية أصدرتها الحركة الوطنية سنة ١٩٤٩م تمثل لسان حركة الانتصار الحريات الديمقراطية " ، وقد استمر صدورها الى قيام الثورة التحريرية الكبرى سنة ١٩٥٤م الا أنها كما وصفها الاستاذ " عبد الرحمن بن العقون " ، " من الجرائد التى لم تحرك أى عاطفة من الاخوة الكتاب "(٢).

ب - التأليف والتعليم الاسلامي :

ولم يقتصر مجال المطبوعات على الصحافة فقط بل لقد كان للتأليف دور هام فى ظل الاحتلال والتى كان لها الأثر الفعال فى النهوض بالتعليم الاسلامى واللسان العربى ، فمن أهم مايذكر لفترة ١٨٣٠م - ١٩٠٠م ماقام بنشره " المجاوى " فقد نشر الشيخ المجاوى فى سنة ١٨٧٧م كتابا صغيرا أطلق عليه اسم : " ارشاد المتعلمين " دعا فيه أبناء الجزائر الى التحلى بالعلوم العصرية وتعلم اللغات الأجنبية ومن ثمة النهضة الوطنية ، وقد كان لهذا الكتيب ضجة كبيرة في مدينة قسنطينة على وجه الخصوص حيث رحبت به الفئة الوطنية المثقفة بينما استنكره المعمرون واستقبلوه بالشتائم والاتهامات "(٣).

---

(١) الجزائر - وزارة الثقافة - على مرحوم - الثقافة عدد ٤٦ ، أغسطس - سبتمبر ١٩٧٨ - ص : ٥٣.

(٢) الجزائر - وزارة الثقافة - " عبد الرحمن بن عقون " - الثقافة عدد ٤٦ ، سبتمبر : ص ٤٨.

(٣) الجزائر - وزارة الثقافة " أبو القاسم سعد الله " - عدد ٨٤ - ص : ١٦٨ .

وهناك من المظاهر الهامة التي امتاز بها فاتح هذا القرن عملية طبع واحياء الأعمال التاريخية الجزائرية وهو مايوافق عهد " شارل جونار " الذي سبق ذكره.

فقد ظهر في سنة ١٩٠٣م ،بالاسكندرية كتاب هام عن حياة الأمير عبد القادر وكفاحه البطولي بعنوان :" تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر " ، كتبه ابن الأمير نفسه وهو " محمد باشا ".

وفي سنة ١٩٠٧م تم طبع واحياء الأعمال التاريخية الجزائرية في ظل سياسة " شارل جونار " الذي سبق ذكره ،فقد نشرت أعمال " ابن عمر " و " ابن مريم " و " والورتلاني " و " الغبريني " وكل هذه الأعمال كتبت عن العهد الجزائري الموافق للعصور الوسطى وعصور النهضة بأوربا .

وفي سنة ١٩٠٧م ألف أحد الجزائريين المثقفين موسوعة تراجم شخصية في مجلدين تناول فيها مشاهير الجزائريين الذين ساهموا في التاريخ السياسي والاجتماعي والثقافي لبلادهم في محاولة منهم لتوعية المثقف والرجوع به الى اصالته بين رجاله وعلمائه الأجلاء لعله يؤثر ذلك فيه فتنتبه الروح الوطنية الاسلامية من غفلتها ،وذلك هو " أبو القاسم الحفناوي " الذي كان معلما وصحفيا ومؤرخا وعنوانها " تعريف الخلف برجال السلف "[1].

ولم يبلغ الاستعمار بعد المائة ونيف سنة حتى ظهر الى الميدان العلامة " محمد ابن أبي شنب " السابق الذكر، بمجموعة من مؤلفاته من أبحاث لغوية ومايزيد عن الخمسين كتابا في سائر العلوم المتداولة عند العرب والافرنج بل حتى في الفنون المندثرة واللغات الغابرة والتقاليد البائدة[2].

ومما لاشك فيه أن هذا النوع من المطبوعات لم تستفد منه سوى الفئة المثقفة ،فهي لم تصل الى عامة الشعب ،فقد كانت مؤلفات " محمد بن أبي شنب " يغلب عليها

---

(١) سعد الله أبو القاسم ـ الحركة الوطنية ... ج٢ ، ١٩٧٧م ،ص : ١٤٩.

(٢) الجيلالي عبد الرحمن ـ " محمد بن أبي شنب " ،ص : ٣٠.

طابع التشـــويق في اللغة العربية فيحبها القارئ ، ويستعذبها في نفسه ، كان يحبـــذ في ابراز اللسان العربي من بين اللغات الأجنبية اذ رفع من قيمتها فاظهر كنوزهـــا ، فأحبها القارئ الجزائري والفرنسي المستشرق أو أجنبي مثقف باللغة العربية !

ولقد اعتبر المؤرخون بحق عهد ١٩٣٠م بعهد النهضة الاسلامية بالجزائـر لأن المؤلفين في ذلك الوقت قد توحدت مواضيعهم واهتماماتهم في سبيل النهوض بالتعليم الاسلامي نهضة شـاملة ، ولنا في ذلك المرحوم " مالك بن نبي " رحمه اللـــــــه - ١٩٠٥م - ١٩٧٣م .

ومطـــبوعاتـــه :- (١)

ولد مالك بـن نبي : عام ١٩٠٥م في مدينة قسنطينة في الجزائر - وانتقل منهـــا الى باريس فنال منها شـهادة " هندسة كهربائية سنة ١٩٣٥م .

لقد اتجه " مالك بن نبي " منذ نشـأته نحو تحليل الأحداث السائدة في ذلـــك الوقت فاستطاع أن يبرز أهم مشاكل العالم الثالث معتبرا اياها قضية حضارة فأنشـــأ مجموعة مؤلفاته تحت اسم " مشكلات الحضارة " .

أصدر بالفرنسية ، في باريس " الظاهرة القرآنية " - " لبيك " - شـروط النهضـــة " ، " وجهة العالم الاسلامي " وفي عام ١٩٥٦م طبعت له وزارة الاعلام المصرية كتابه : " الفكرة الافريقية الأسيوية " .

وبعد ذلك شـعر بحاجة القارئ الجزائري الى كتبه باللسان العربي وأن اللغـــة العربية اتسعت نطاقا في ظل " جمعية العلماء " فحتمت عليه الظروف لترجمة مجموعـــة كتبه واتخذ سبيل التأليف باللسان العربي المباشـر واستمر في نشاطه الى مابعـــد استقلال الجزائر.

لقد كان لكتب " مالك بن نبي " عميق الأثر في نفوس القراء الجزائريين لأنه رحمه الله تطرق الى معالجة مواضيع حساسة كشـروط النهضة ، " قضية المرأة المسلمة " ، " الفوضى

---

(١) مالك بن نبي - في مهب المعركة - دار الفكر - ١٩٧٨ م دمشق ص الغلاف .

الاستعمارية " ، " أقلام وأبواق الاستعمار " ، الدراسات العصرية والتصوف الاسلامي " ولا تزال مؤلفاته الى يومنا هذا بمثابة شعلة تنير آفاق الفكر الجزائري المسلم .

وقد قيل عنه بحق أنه " حجة التفكير الصادق للاسلام في الجزائر وفيلسوفها الرسمي بانتاجه الغزير "(١).

لقد اتخذت جمعية العلماء من المطبوعات سلاحا فتاكا ضد الاستعمار وضد الفكري الطرقي ، فنشرت دعوتها بين المواطنين فعمت حينئذ سائر أرجاء الوطن " جمعية العلماء التي كانت نواة الثورة الجزائرية والتي يمكن القول بأن كل من يتكلم العربية في الجزائر مدين لها " .

اذ لقد وجد الى جانب الصحف والمجلات ، كتب ومؤلفات قيمة أنشأتها عناصر الجمعية من العلماء والشيوخ وأصحاب العلم والفضيلة أمثال الشيخ " ابن باديس " رحمه الله الذي قدم للأمة الجزائرية في ذلك العهد وهي في أمس حاجة الى ذلك ، بتفسير القرآن الكريم " بأكمله وقد أقيمت بهذه المناسبة احتفالات كبيرة في مدينة قسنطينة سنة ١٩٣٨م لهذا العمل الفريد من نوعه في عالم المطبوعات الاسلامية الجزائرية .

ولنا في الشيخ البشير الابراهيمي والشيخ العربي التبسي وسائر أعضاء الجمعية مجموعة من المقالات القيمة التي ساهمت في النهضة بالتعليم الاسلامي واللسان العربي الفصيح .

وقد أخرج الشيخ " أحمد توفيق المدني " كتابه المشهور " حياة كفاح " سنة ١٩٢٩م وكتاب " تاريخ الجزائر " سنة ١٩٣٠م في جزئين ، وهو كتاب شامل متكامل بمثابة مصباح مسلط على أحداث الجزائر المسلمة .

ولنا في كتاب " الجزائر في القديم والحديث " لمبارك الميلي مرجعا هاما ظهر في سنة ١٩٢٨م ، وهو من أبرز المؤلفات التي حققت الهدف السياسي لكتابه التاريخ المغربي

---

(١) الجندي أنور - الفكر والثقافة - مرجع سابق ، ص : ٣٢١ .

فى هذه الفترة ، وهو الكشف عن حقائق التاريخ وابراز عظمة الأمة . . ودحض الاتهامات المضللة . . و " مبارك الميلى " في كتابه هذا يرى أن المتعلمين اليوم من أبناء الجزائر قطعوا الصلة بينهم وبين ماضيهم ، فجهلوا آفاقه . . " ترى المتعلم في المدارس يعرف من تاريخ بعض الأمم الأجنبية مايجدر به أن يعلم مثله من تاريخ شعبه "(١).

ويصف " روم لاندو " النضال المطبعى من طرف الكتاب الجزائريين في هذه الفترة ماقبل ١٩٥٥م بقوله : . . " ولما كان النقد الصريح لعدوهم يطوح بهم فى السجون فقد لجئوا الى الهجاء والنقد المبطن . . "(٢).

---

(١) الجندى أنور - " الفكر والثقافة . . " - المرجع السابق ، ص : ٢٨٥ .

(٢) الجندى أنور - " الفكر والثقافة . . " المرجع السابق : ص ٣٢٧ .

جـ التعليم والمسرح الاسلامي

للمسرح دور هام في التربية يتجاوز نطاق التسلية الى نشر الثقافة والوعي الديني لذلك ينبغي أن تخضع أساليبه للقيم والمعايير الاسلامية البعيدة عن الفحش والاثارة والاختلاط .

أما المسرحية : فهي رواية نثرية أو شعرية أو نثرية وشعرية معا تمثل على المسرح (١).

عرفت الجزائر المسرح على شكل " الكراكوز " سنة ١٨٣٥م ولعله كان معروفا قبل هذا العهد لأنه كان موجودا في الدول العربية بالمشرق العربي " والكراكوز " عبارة عن عروض يقوم بها شخص معين فوق منصة ، فهو أهم شخصية في المسرحية ، ثيابا بدوي وهو في الغالب طويل القامة ، ومما يذكر عن هذه " الكراكوز " أنها كانت تجلب اليها جمهورا كبيرا من الشعب في ليالي رمضان .

وتمتاز هذه الكراكوز بمعارضتها للوجود الفرنسي في صورة هزيلة ، تسخر بها من المعمرين الأمر الذي جعل سلطات الاحتلال تغضب على هذه الفرقة المتواضعة فأصدرت قرارا يمنعها سنة ١٨٤٣م ، من الظهور فاختفت الى الأبد (٢).

وقد وصف لنا أحد الرحالة الألمان هذا المسرح قائلا : ". . . وثمة محل آخر يحظى بعدد كبير من الزوار في ليالي رمضان وهو المسرح الشعبي . . ويقع في أقذر زاوية بمدينة الجزائر ، فهو عبارة عن قبو مظلم ، يحتشد فيه عدد من الأهالي ، ويجلسون فوق الأرض وأنظارهم متجهة الى الشاشة ، حيث تظهر الأشكال السوداء الناطقة . . والحوار بالعربية تارة وبالفرنسية تارة أخرى . . ولم يكن يرى مانعا (مدير المسرح) من استعمال بعض التعابير الفرنسية واتاحة الفرصة للجنود الفرنسيين المشاركة في التمثيل . . ويحرص مدير المسرح أيضا على أن تتخلل مشاهد العراك والنزاع مناظر ساخرة الا أن هذه المناظر تبدو شنيعة وغير طبيعية . . والحكومة الفرنسية متسامحة

---

(١) معلوم يوسف ، منجد اللغة والآداب ، ص : ٣٣٠ .

(٢) الطمار محمد - الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج - ١٩٨٣م - الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - الجزائر، ص : ٢٧٢ .

في مثل هذه الفضائح ،فلم تحاول حتى الآن اغلاق تلك الأماكن التي تنشر الفساد والانحلال بالعكس تلك الأماكن قد تحسنت منذ دخول الفرنسيين ،اذ أنها لم تعد تدفع تلك الضرائب التي كانت تدفعها الى الداى . . وتهتم فرنسا بتزويدها بجيش من الفتيات يقوى عددهن عدد المعمرين بثلاث أضعاف(١).

هذا هو السبب الذي جعل بعض الكتاب يحددون تاريخ ظهور المسرح الجزائري بعام ١٩٢٦م .(٢) وقد يكون يقصد به الوجه الحقيقي للمسرح الجزائري حيث بدأت فعلا فئة من الشعب الجزائري تتحرك ،فقدمت مسرحيات واقعية نابعة من قضايا الشعب الأساسية .

ففي سنة ١٩٢٦م ظهرت مسرحية من تأليف السيد سلالي علي المقلب بـ" علالو " و" دحمون " قدمت للشعب بلهجته العامية مما جعلها موضوع اقبال من طرف الشعب لأنه تمكن من فهمها وفهم مغزاها ،فهي من الشعب واليه لم يتدخل فيها العسكريون الفرنسيون ولا الحكومة الفرنسية كما يقول " فانغر " الرحالة الألماني .

انتقلت الحركة التمثيلية الى " رشيد القسنطيني " الذي تعلق به الجمهور وأحبه فأصبح اسمه على ألسنة الشعب كبارا وصغارا ،ويعتبر " القسنطيني " من أبرز الفنانين الجزائريين اذ تمكن من ترجمة الأوضاع السائدة في ظل الاحتلال الفرنسي بطريقة ساخرة ، هزلية ،فهو الذي وصفه الأديب الجزائري" كاتب ياسين " ،" شابلين الجزائري " وظهر الى جانب " القسنطيني " الفنان " باش تارزي " ،فتعرضت تمثلياتهما الى شتى أنواع المشاكل الاجتماعية وقد كانت معظمها مقتبسة من روايات " موليير " الفرنسي الشهير،أذكر منها : " البخيل " ،المريض المتوهم " . . وقد

---

(١) أبو العيد دودو - الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان ١٨٣٠-١٨٥٥م - ١٩٧٥م : ص ٦٩ .

(٢) الجزائر - " وزارة الثقافة " - بو علام رمضاني - الثقافة ،عدد ٧٩ . .ص: ١٤ .

حاول الفنانان من خلال المسرح ابراز نقاط الضعف التي تعاني منها فئة المثقفين باللسان الفرنسي ، كذلك السخرية من هؤلاء المغرورين باللغة الفرنسية والحضارة المزعومة ! فقد امتازت محاولات هؤلاء الفنانين بالدعوة الى اليقظة قبل فوات الأوان ، أن ينتبه الشعب من غفوته فاللغة الفرنسية قد عمت المدارس والمنازل والشوارع !!

ومن الرجال الذين اشتهروا في المسرح الجزائري السيد " محيي الدين بشطارزي " الذي كتبت عنه صحيفة " الأحداث الجزائرية آنذاك قائلة : " هدف بشطارزي لم يكن تجاريا " (١) ومسرحياته خير دليل على ذلك ، فهي بمثابة المرشد والموجه الأخلاقي الجزائري المسلم ، كانت تمس في صميم الظواهر الحساسة ، المتفشية في ذلك الوقت كظاهرة الخمر ، القمار ، وزواج المسلم الجزائري بالأوربية بنت المعمر .

---

(١) الطمار محمد - الروابط الثقافية - مرجع سابق ، ص : ٢٧٣ .

الحرب العالمية الثانية ومصير المسرح الجزائري :-

لقد ازدادت الضغوط الاستعمارية في تلك الفترة على الشعب الجزائري وشددت الرقابة عليه في نشاطه ومؤسساته ، والمسرح الجزائري مثله مثل بقية المؤسسات الوطنية، لم يسلم من يد الطغاة الظلمة ، خاصة وأن تلك الفترة خللتها ظهور الأحـــزاب السياسية الوطنية كما تطور المسرح من وصف الحالة الاجتماعية وابراز آلام الشـــعب ومعاناته الى جانب دعوته الى النضال السياسي وتأكيد هوية الشعب الجزائري . . فقد عمل الفرنسيون على قطع الصلة بين الأشـقاء العرب اذ منعت الفرق الفنية المسرحيـة التابعة للدول العربية الشقيقة من زيارة الجزائر، وذهبت سلطات الاحتلال الى غلـق قاعات المسرح ومنع العروض فيه ، فواجه رجاله ذلك بالتحدي اذ برز فنانون آخـــرون منهم : " محمد التوري " و " مصطفى قزدرلي " ولا تقل شهرة الواحد عن الثانـــي! لقد استمر نشاط المسرح رغم تشديد قبضة المعمر عليه ، فواصل عروضه حتى ١٩٥٤ م حين اندلعت الثورة الجزائرية ، تحولت الجزائر حينئذ الى ميدان حرب ، فلم يبـــق للمسرح مجال ، القوات الفرنسية قررت نسف الجزائر أرضا وتاريخا وثقافة فما كـــان على المسرح الجزائري الا أن ينتقل الى المهجر حيث باشر عمله من خارج البلاد ، انتقـل في أول الأمر الى فرنسا سنة ١٩٥٥م - ١٩٥٨م ثم الى تونس من سنة ١٩٥٨-١٩٦٢ ، وفي ١٩٥٧م وجهت جبهة التحرير الوطني ، نداء الى الفنانين الجزائريين أينما كانـوا الى توحيد صفوفهم لتكوين فرقة فنية شعارها : " أنه لا وجود للجزائر - الفرنسية "(١).

وضمن الجهود المسرحية قام الشيخ توفيق المدني بتأليف احدى المسرحيات التاريخية السياسية .

في سنة ١٩٥٠م وهي " حنبعل " تعبر بوضوح على كثير ماكان يشغل المثقفـين في ذلك الحين ، فهي كذلك تصور جوانب من الأزمة الراهنة في الوطن العربي وتتحدث عن أسبابها .

---

(١) الجزائر - وزارة الثقافة - بو علام رمضاني - الثقافة ، عدد ٧٩ . ص : ٢٢ .

وخير ما قاله المؤلف على لسان رجال المسرحية : " ان خسارة معركة حربية ليس هو بالأمر العظيم ، انما الخسران الحقيقي هو انهيار روح المقاومة في الأمة وخضوعها للظالمين خضوع المستكين "(١).

وفي أثناء الثورة نشر الاستاذ " الركيبي رواية تمثيلية بعنوان " مصرع الطغاة " وعنوانها يدل عليها ، فهي على كل حال صورة حقيقية لما لحق بالشباب الجزائري المسلم من التشرد والاهانة في ظل الاستعمار الفرنسي "(٢).

د - الأدب الجزائري والتعليم الاسلامي :-

" الأدب مرجع ثابت وكتاب جماعي يحوي صورا وعواطف وارتكاسات وبالاختصار هو انعكاس لروح الأمة "(٣).

لقد ظهرت الرواية بالجزائر في ظل الاحتلال الفرنسي حية ، قوية متحدية بذلك كبار الكتاب والأدباء الفرنسيين البارزين ، الا أنها لم تظهر باللغة العربية لغة الوطن التي يفهمها الكثير من أبناء الوطن ، انما ظهرت باللغة الفرنسية على مستوى فني عال ، وبهذا فهي لا تخاطب الا الطبقة الخاصة التي تتقن اللغة الفرنسية ، انها اللغة التي سمحت له الظروف بتعلمها ، ولذلك " انه ليس من العار أن يكتب الكاتب باللغة الفرنسية أو غيرها مادام يحسنها ويسخرها طيعة أمينة " ، المهم أن تبقى شهادة الكاتب وثيقة ثمينة ، معبرة عن الواقع الحي في بلاده "(٤).

---

(١) الجزائر - وزارة الأوقاف - " أبو العيد دودو " - القبس ، عدد ٦ - هاي ، ١٩٦٩م - ص : ٥١ .

(٢) الطمار محمد - الروابط الثقافية .. ، ص : ٢٧٣ .

(٣) الكيلاني ابراهيم - أدباء الجزائر - دار المعارف - مصر - ١٩٥٨م ، ص : ١ .

(٤) الجيلالي عبد الرحمن - تاريخ الجزائر العام - جـ٤ ص : ٤٨٨ .

ومن أشهر أدباء الجزائر في ظل الاحتلال السادة " محمد ديب " مولود فرعون ، ادريسي الشرابي مولود العامري ومالك الوارى ومالك الحداد وكاتب ياسين . .

وقد امتاز انتاج هؤلاء بواقعية وقوية ووطنية شديدة ، فقد كانوا مرآة صادقة لشتى جوانب الحياة الاجتماعية ، حياة شقاء وفقر وجهل يحياها المواطن الجزائرى سواء كان بالمدينة أو بالقرية ، فالشعب كله مضطهد !

وان كان هؤلاء الأدباء فرنسيو اللسان فانهم جزائريون ، وطنيون في القدم والاحساس ، انهم وان كانوا لا يدعون مباشرة الى التحلى بالتعاليم الدينية وبالثقافة الاسلامية الا أن البعض منهم تقيد بذلك في رواياته فجعل منها " وكالة " أو مترجما " عنه وعن مقاصده .

وقد اكتفى البعض الآخر بابراز الجانب القومي فقط للجزائر، اذ تقيد أصحابها بقوميتهم الشخصية - الجهوية ، فحاولوا أن يظهروها الى العالم .

أما الجانب الآخر الذى امتازت به هذه الروايات ، هو الجانب الوطنى المتمثل في نضال ، ومقاومة الشعب الجزائرى من أجل الكرامة والاستقلال وأتطرق هنا بايجاز الى البعض من هؤلاء الأدباء لأذكر منهم :

١- <u>محمد ديب :</u> ولد سنة ١٩٢٠م في مدينة تلمسان ومن باكورة أعماله الأدبية رواية " البيت الكبير " وهى من أروع الروايات المعبرة عن الحياة الحقيقية الجزائرية في بؤسها وشقائها ، تجرى حوادث هذه الرواية فى سنة ١٩٣٩ مع بداية الحرب العالمية الثانية .

٢- <u>مولود فرعون :</u> فهو المصور الواقعي لفقراء قومه الذين يعيشون في فقر ويموتون في فقر، فلا يثورون ، كأنه مصير كتب عليهم ، فأصبح أمر طبيعى بالنسبة اليهم ، ألف مولود فرعون " الأرض والدماء " ، وقد فازت هذه الرواية بجائزة الأدب الشعبي في فرنسا سنة ١٩٥٣م أحرز بها الجائزة من خمسين كاتبا فرنسيا منافسا اياهم في ميدانهم وفي لغتهم .

٣- كاتب ياسين : ولد سنة ١٩٢٩م في مدينة قسنطينة ، أوقفته سلطات الاحتلال في مظاهرات عام ١٩٤٥م وألقي بالسجن ، بدأ حياته شاعرا ثم احترف الصحافة قبل أن ينتقل الى عالم الرواية ، فهو المرآة العاكسة لواقع الأمة الجزائرية لعله يشفي غليله من خلالها ، كتب " نجمة " المشهورة وهي رواية خلاصتها : أربعة شباب كانوا قد تلقوا العلم معا في مدينة عنابة في المدرسة ، وقد اشتركوا يومئذ في النضال الثوري في حوادث ١٩٤٥م فطردوا من مدارسهم وعذبوا وسجنوا ثم فرقهم القدر ! .

فهي رواية كلها ألم وشقاء وتضحية من الشباب الجزائري الواعي !!

٤- مولود المامري : ولد سنة ١٩١٧م في جبال القبائل العليا كان انتاجه الأدبي عبارة عن روايات معبرة عن الجزائر الشهيدة التي أصبحت سجنا كبيرا تحده أسوار الاستعمار . . وأن القرية الصغيرة ، قرية مولود المامري ، وهي قرية " تاسكا " ، بمثابة الشجرة الصغيرة أو الزنزانة داخل السجن الكبير ، وقد تبدو في روايات مولود المامري السياسة الاستعمارية ، سياسة الجهل والتفقير ، في شكلها السافر ووضعها المؤلم.(١)

---

(١) الكيلاني ابراهيم - أدباء الجزائر - المرجع السابق ، ص : ١-١١٦ .

التعليم الاسلامي واتحاد الطلبة الجزائريين :-

ان القارئ لتاريخ الجزائر ليكتشف مدى الدور الهام الذى لعبه الطلبة الجزائريون في الكفاح من أجل استرجاع الجزائر أصالتها العربية الاسلامية ، ومن أبرز هؤلاء تلك النخبة الطيبة من خيرة شباب الأمة الجزائرية الذين حملوا لواء الدين الاسلامي واللغة العربية لغة القرآن الكريم منهم ، كالشيخ عبد الحميد بن باديس والشيخ البشير الابراهيمي والشيخ توفيق المدني . .

لقد تبين لنا مما سبق أن فئة المثقفين التي وجدت في ظل الاحتلال الفرنسي هي فئة يمكن توزيعها كالتالي :

أ - مجموعة المثقفين ثقافة فرنسية بحته ، بالمدارس الفرنسية في الجزائر أو في فرنسا ، وهي تمثل هؤلاء الذين تربوا في ظل المناهج الاستعمارية الذين تخلقوا بخلق " فيكتور هيكو و " شتوبريان " وغيرهم . . فتسلحوا بأفكار هؤلاء ! فأصبحوا بمثابة " اليد اليمنى " يضرب بها الاستعمار مبادئ التعليم الاسلامي .

ب - مجموعة الذين تلقوا تعليما مزدوجا فرنسيا واسلاميا وهؤلاء هم المعتدلون المتمسكون بالاصالة الجزائرية الاسلامية وميزتها أنها عملت على التقرب بين المثقفين ، وقد لعبت هذه الفئة دورا لا بأس به في استرجاع بعض أنصار الثقافة الفرنسية الى الطريق الصحيح ، فجعلتهم معتدلين غير معتدين على التعليم الاسلامي ولو ظاهريا ، كالسيد فرحات عباس مثلا .

ج - أما الفئة الثالثة : فهي فئة المعربين الذين تلقوا تعليمهم وتربيتهم ضمن المدارس العربية الاسلامية ، فتلقوا منها الثقافة الوطنية الأصيلة سواء كانوا خريجي المدارس القرآنية أو هؤلاء المتعلمين بالمدارس الوطنية الحرة أو جماعة المهاجرين الملتمسين لتعليم اسلامي من الدول الاسلامية الشقيقة .

لقد بذلت الحكومة الفرنسية أقصى جهدها في محاربة الشباب الجزائري ، فاضطهدتهم نحو الأماكن الخالية ، المعزولة ، نحو الصحاري والجبال القاحلة وأبعدتهم عن العلم والمعرفة ، بغض النظر عما فعلته بالنسبة للمدارس الحرة وباقي المؤسسات التعليمية اذ خربتها ودمرتها ، حولتها الى مدارس فرنسية لا تستقبل سوى أبناء المعمر فالجزائري حسب ادعاءاتهم خلق ليبقى جاهلا .

لكن شاء الله أن يسيء ظنها ! فقد وجدت فرنسا أن جل الشباب الذين ربتهم فرضعتهم من لغتها وثقافتها ، تحولوا عنها فأصبحوا متنكرين لها يبحثون عن أصالتهم وجودها في حنان الأم الحقيقية التي تريد ضم أبنائها اليها والاستعمار يمنعها .

هكذا تغيرت الأفكار والمبادئ بتغير الزمن حتى أنه كثيرا ما أخذت مظهر خلاف بين الأب وابنه[1] ، فالذي كان يتغنى : " فرنسا هي أنا " أصبح يقول " الجزائر لنا لا لغيرنا " ! فقد اتجهت الشبيبة الى المساهمة الفعالة في النضال من أجل الجزائر المسلمة ! فنهض الطالب الجزائري حينئذ الى الميدان ليثبت وجوده ، فأنشئت " وداد ية الطلبة المسلمين الجزائريين " سنة ١٩٢٠م والتي قادها الصيدلي الشاب " فرحات عباس " سنة ١٩٢٦م ، وقد تحولت فيما بعد الى " جمعية الطلبة المسلمين الجزائريين " ، من أهم أهداف هذه الجمعية ، العمل على توحيد صفوف الطلبة الجزائريين داخل البلاد وخارجها من أجل وحدة الكلمة والهدف ومن ثم الخوض في العمل المشترك .

وقد تطورت هذه الجمعية نظرا لكثرة الطلبة الجزائريين المسلمين ، المهاجرين فاختارت بعض عناصر هذه الجمعية تكوين مايسمى بـ : " جمعية طلبة شمال افريقيا المسلمين بباريس " ، لا يقبل ضمنها الطلبة المتجنسون ، وقد بدأت نشاطها مباشرة فيما بين ٢٠ و ٢٢ افريل ١٩٣١ اذ عقدت أول مؤتمر لها في تونس ترأس الوفد الطلابي الجزائري آنذاك الصيدلي ، الشاب : فرحات عباس.[2]

---

(١) العسلي بسام - الصراع السياسي على نهج الثورة - ط١ ، ١٩٨٢م ، بيروت، ص : ٤٣ .

(٢) الثقافة عدد ٨٣ - يحيى بوعزيز مرجع سابق ص ٢٧٥ .

وفي سنة ١٩٣٢م انعقد المؤتمر الثاني بنادي الترقي في الجزائر العاصمة كذلك برئاسة السيد فرحات عباس ، أما اللجنة التحضيرية فقد كانت برئاسة الطالب " قدور ساطور " ، وخطب في هذا المؤتمر كل من السادة أحمد توفيق المدني ، والشيخ الطيب العقبي . . وقد استقبل الوفد الطلابي من طرف امام النهضة الجزائرية ، رئيس جمعية العلماء ، الشيخ ابن باديس رحمه الله.(١)

وأعتقد أن كلمته التالية كانت موجهة الى هؤلاء الطلبة المهاجرين حين قال رحمه الله : " عليكم أن تلتفتوا الى أمتكم فتنتشلوها مما هي فيه بما عندكم من علم ، وبما اكتسبتم من خبرة ، محافظين لها على مقوماتها سائرين بها في موكب المدنية(٢) ".

وقد تلت هذا المؤتمر سلسلة أخرى من المؤتمرات الطلابية الأخرى ، تناولت جميعها القضايا الحساسة ، فناقشت قضايا التعليم ومشاكله المختلفة الى جانب قضايا التاريخ الوطني والتربية الوطنية كذلك مشكلة المرأة الجزائرية وقد طالب الوفد الجزائري بتحسين أوضاع التعليم الاسلامي وفرض اللغة العربية في المدارس وبكل مرحلة من المراحل التعليمية(٣).

وحسب المصدر التاريخي الجزائري فقد شنت القوات الفرنسية حملة اعتقالات واسعة النطاق سنة ١٩٥٠م ضد المئات من شباب الجزائر الناهض . وفي سنة ١٩٥٢م قامت بتقتيل الشباب الجزائري المهاجر بأرض فرنسا(٤).

ولما اندلعت ثورة التحرير سنة ١٩٥٤م أسرع الكثيرون من أعضاء جمعية الطلبة الى الانضمام في صفوف المجاهدين ، وقد اكتفى البعض الآخر منهم بالدعوة الى مساندة الجزائر في كفاحها ، وقد قدموا للشعب الفرنسي - في فرنسا - بعض صور

---

(١) الجزائر - وزارة الثقافة - يحيى بوعزيز - الثقافة ، عدد ٨٣ . ص، ٢٧٥ .

(٢) طالبي عمار - ابن باديس ، جـ ١ ص : (١٠٧) .

(٣) تنظيم اللغة العربية : ١٩٦١م ، ص : ٣٦ ،

(٤) الجيلالي عبد الرحمن - تاريخ الجزائر العام - جـ ٥ ص : ٢٦٤ .

التعذيب التي يقوم بها جيش الاستعمار بالجزائر فقارنوا أعماله الوحشية بالنازية الفاشية ، وقد أدى ذلك الى اعتقال عدد كبير منهم مع أشد أنواع التعذيب .

الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين :-

فهي منظمة نقابية استقل من خلالها الطلاب الجزائريين المسلمين عن الاتحاد الوطني للطلبة الفرنسيين بالجزائر والذي كان يضمهم سنة ١٩٥٥م .

ومن أهدافه الأساسية ، العمل بجانب الثورة الجزائرية التحريرية والانقياد بتوجيهاتها من أجل الكفاح المشترك .

فمن أبرز ماقام به هذا " الاتحاد " أنه اتخذ موقفا جريئا ضد حكومة الاحتلال حيث دعا من خلال المؤتمر الثاني المنعقد سنة ١٩٥٦م الى التفاوض مع جبهة التحرير الوطني فطالبوا من فرنسا التخلي عن الجزائر بمنحها الاستقلال التام ! ومما لاشك فيه أنها فرصة ثمينة كانت تترقبها سلطات الاحتلال اذ هبت كالوحش على هؤلاء الطلبة فسجنت منهم ماسجنت وقتلت عددا منهم لم يزدهم ذلك الا ايمانا بقضيتهم ، أعلنوا حينئذ ثورة شاملة ، فعزموا اذا على الاضراب العام عن الدروس والامتحانات في الجامعات والمعاهد العليا الى أجل غير محدد .

ومما يذكر أن الطلبة جميعهم قد التزموا بالاضراب ، فقد اشترك في مراقبة المخالفين للقرار الجماعي عناصر من الطلبة أنفسهم والأساتذة ، واستمر الاضراب سائر المفعول الى أن أمرت قيادة الثورة بالعودة الى مدارج الجامعات والمعاهد الدراسية ، فألغي الاضراب حينئذ في سنة ١٩٥٧م يوم ١٤ أكتوبر (١) .

وفي تاريخ ٢٠ آوت ١٩٥٦م انعقد مؤتمر " الصومام " والحرب في قمتها ، حدد المؤتمر دور الطلبة والطالبات في الميدان المناسب لمستواهم الثقافي ، وقد أكد

---

(١) الجزائر - وزارة الثقافة - يحيى بوعزيز - الثقافة ، عدد ٨٣ ، ص : ٢٧٥ .

المؤتمر رفض الشعب الجزائري للسياسة الفرنسية التي تتبعها فرنسا الاستعمارية كما لاحظ أعضاء المؤتمر جميعهم الخناق الذي ابتلي به التعليم الاسلامي بصفة عامة (١).

وقد استمر النشاط الطلابي في الخارج ، وفي ذكرى اندلاع الثورة الكبرى ، بمناسبة مرور ثلاث سنوات على بداية الثورة الجزائرية أي سنة ١٩٥٧م أقام المهاجرون الجزائريون حفلا باسم جبهة التحرير الوطني ، وقد كان ذلك في مقر جمعية الشبان المسلمين بالقاهرة ، حضر الحفل كل من السادة : أحمد توفيق المدني ويوسف بن خدة واسماعيل بور غبدة (٢) ، هؤلاء رجال القلم بعثت بهم الجزائر الى اخوانها المشارقة يذكرون بها ويشيدون باسمها ويلفتون نظر اخوانها المشارقة الى مافي الجزائر والمغرب العربي بصفة عامة ، من معادن للعلم والفضيلة ومنابت للعز والرجولة ومعاقل للعروبة والاسلام (٣).

وقد تقدم رئيس الوفد الجزائري فألقى كلمة باسم الطلبة الجزائريين كشف فيها عن شتى الأساليب الاستعمارية ضد الوطن وقد بين للحاضرين العوامل التي أدت الى اندلاع الثورة التحريرية وكيف كان رد الفعل الفرنسي والأجنبي وقد تعرض الشاب ، أبو القاسم سعد الله ، الى مأساة التعليم الإسلامي ومدى تفوق التعليم الفرنسي عن التعليم العربي المهدد بالفناء .

انها على كل حال كلمة نابعة من روح متحمسة ، مؤمنة بكفاح الأبرار ، وان لم يكن المقام هنا مقام نقد لأن أبا القاسم طالب علم ، في زهرة شبابه فالأمة الجزائرية تحمد الله الذي هدى شبابها الى سبيل الرشاد ، في تلك الفترة من الاحتلال الفرنسي ، رغم الاغراءات المادية والمعنوية المسلطة عليهم من طرف المعمر ، ومع هذا يلاحظ المطلع على هذه الكلمة التي أدلى بها الشاب " سعد الله " أن صاحبها يركز على حديثه على

---

(١) وادي بوزار - الثقافة في سؤال - ١٩٨٢م الشركة الوطنية للنشر والتوزيع : ص : ١٠٠ بالفرنسية .

(٢) الجزائر - وزارة الثقافة - أبو القاسم سعد الله - الثقافة ، عدد ٨٣ - ص : ٢٤٦ .

(٣) الجزائر - وزارة الشئون الدينية - آثار الامام ابن باديس - ط ١ ج٣ ، ١٩٨٤م ص : ١١١ .

الثورة العربية والطلبة الجزائريين العرب والتعليم العربي . . انها تحمل الطابع القومي العربي !

اننى لم أجد تفسيرا لذلك وان كنت لا أتهم هذا الوطني الأبي بالقومية فالاستعمار كما سبق أن مر عليها ، هو الذى قسم الشعب الجزائرى المسلم الى قوميات لأغراض معروفة ، ولكن السؤال الذى يطرح نفسه هو هل هذه القومية التى يحملها النص تعبر عن اتجاه الطلبة الجزائريين المهاجرين آنذاك أم أنها تعبيرات جاءت سهوا دون أى قصد يذكر.

التعليم الاسلامي وثورة التحرير: (١٩٥٤ م - ١٩٦٢م) .

ان الحكومة الفرنسية لم تفكر في يوم ما في التخلي عن هذا البلد ولا حتى في تحسين ظروف حياته اليومية ، سواء من الناحية الاقتصادية أو من الناحية التعليمية ! انها فرنسا الاستعمارية الطاغية التي تسعى الى تحويل الفرد الجزائري اما الى شخص فرنسي الجنسية واللسان والعقيدة أو الى انسان متجرد عن شخصيته ، عديم الخلق جاهل ، متعطل ، خشن ، صاحب النفسية العدائية .

لقد دخلت سنة ١٩٥٤م والأمية التي كانت قليلة قبل الاحتلال الفرنسي قد بلغت ٩٤٪ بالنسبة لأبناء الوطن ، أما الأغلبية الأوربية فهي ملتحقة بالمقاعد التعليمية بكل مستوياتها (١) !

ان الحرب التحريرية فرضت مرة أخرى على الشعب الجزائري أحكامها القاسية فتكررت نفس المأساة التي ابتلي بها الشعب الجزائري غداة الاحتلال " فأغلقت المدارس أو حولت الى ثكنات احتشد فيها الجيش الفرنسي واعتقل الأساتذة والمعلمون والطلبة ، وحجزت الجرائد الوطنية وأصبحت اللغة العربية غريبة من جديد في قعر دارها (٢) .

هكذا أقدم الاستعمار في الجزائر على القضاء على التعليم الاسلامي ، بازالة المنابر واتلاف الكتب والمخطوطات العتيقة ، القيمة التي تمثل ذخيرة الأمة وثروتها لتحل محلها كتابات تحوى الأساطير والأكاذيب فتغذى بها العقول البريئة ، وهكذا أيضا عمل الاستعمار على تجريد هذا الشعب من مكارم الأخلاق وتبديلها بالانحلال وسوء الخلق ، بل وهكذا اعتدى على المرأة الجزائرية المسلمة ، الطاهرة ، فنزع عنها حجابها ، أصبحت متنكرة لشخصيتها ولماضيها الذي قضته محتشمة ، مستورة في ظل الاسلام ،

---

(١) مرسي محمد منير - التعليم العام في البلاد العربية ، ط ٢ - ١٩٧٤ م ، القاهرة - ص : ١٣١ .

(٢) مقال حميد بن سالم ، مجلة لسان العرب ، مرجع سابق ، ص : ٤٩ .

لغة وعقيدة ، فبعد أن ذاقت تعليما فرنسيا استعماريا تمثلت فرنسا بين عينيهـــا حاملة الحضارة والمدنية ، فكانت حينئذ الطامة الكبرى !!

جاءت بعون الله الثورة الكبرى فعزمت على تحريـر هذه البلاد ، فتنزع عنها ثوب العبودية و تلبسها ثوب الكرامة والحرية في ظل العروبة والاسلام ! فتغير حينئـــذ أسلوب الكفاح السياسي بالكفاح المسلح ووضع الشعب الجزائري كله أمام المســـئولية اما بالانضمام الى الثورة أو الانحياز الى العدو.(١)

فما كان على الشعب الجزائري الا أن يهب أطفالا وشبابا ورجالا ونساء ، شـــيوخا وكهولا ، تجارا وموظفين ، أغنياء وفقراء ، جميعهم وحدوا الصفوف وأعلنوها ثورة كـــبرى على فرنســا !

وقد شكلت الشبيبة الجزائرية اللبنة الأولى لاندلاع الثورة ! وانطلقت الثورة تحت قيادة الشاب الشهيد ، رحمه الله ، " مصطفى بن بلعيد " الذي أعدمته سلطات الاحتلال في سنة ١٩٥٥م .

واستمرت الثورة في مسيرتها تحت الزغاريد المرحبة بالشهداء الأبرار ! وحينئـــذ تحولت المؤسسات التعليمية الإسلامية الى سجون ومعتقلات ، كما أصبحت السجون ميدانا يجتمع فيه المجاهدون للتخطيط وللتوعية ، وتقوم العناصر المثقفة بتعليم وتثقيف زملائهم بالقدر المستطاع ، ومما يذكر ، على لسان قدماء المجاهدين عن أنفسهم ، أن أكثرهـــم خرجوا من السجن حملة القرآن عن ظهر قلب .

لقد أظهرت حرب التحرير ، مواطنين جزائريين جدد يمتازون فيما بينهم بالتضامن والاخوة وحسن الخلق ومكارمها ، فالثورة وحدت سبيلهم ! هبوا جميعا ، من عـــرب وبربر وبني ميزاب ، كلهم كالرجل الواحد المسلم من أجل استرجاع عزة هذا البلد وكرامته في ظل العقيدة الاسلامية واللغة العربية الأصيلة .

---

(١) الجزائر - وزارة الثقافة - على عليلات - الثقافة ، عدد ٨٥ مرجع سابق ص٦٠ ع .

وقد برهنت المرأة الجزائرية على شخصيتها الاسلامية المناضلة في شتى ميادين الكفاح فقد قامت بمسؤوليتها داخل البيت فأعدت الرجال الأبطال ودفعت بهم الى ساحات القتال والى الجبال الشامخات ، وقد تجاوزت المرأة نطاق بيتها ، فخرجت مع المجاهدين ، قامت بعمليات الاسعافات الأولية الضرورية وأعمال الخياطة ونسج الصوف للمجاهدين بالجبال " وهي أيضا تعمل على اطعامهم وايوائهم واخفائهم في مكان ما بالمنزل ، بحيث اذا مرت قافلة التفتيش العسكرى الفرنسي فلايجدونهم ، أما النساء المتطوعات فمسئوليتهن لا تقل أهمية عن غيرهن فالبعض منهن يقمن بأعمال السكرتارية أو أعمال الاتصالات المختلف بين عناصر جيش التحرير .

لقد ذهب الكثير من الكتاب الى تمجيد المرأة الجزائرية التي نزعت الحجاب لتشارك بجانب الرجل في حرب التحرير ، فوصفوا هذه الظاهرة بالفوز العظيم بالواقع الحي والتقدم الملموس ، مهما كان الحال ، فاذا نزعت احداهن أو البعض منهن حجابها فلا يعمم ذلك على سائر بنات الوطن ، بل يوجد الى يومنا هذا بعض المناطق الجزائرية التي لا تزال محافظة على القيم الاسلامية كبيرا وصغيرا ، فما بالنا نتخذ من أمثال " زكية بن اسماعيل " مثالا يضرب بالمرأة المناضلة ، انما " زكية " المذكورة احداهن فالأغلبية الساحقة من بنات الوطن " تمسكت بدينها وثقافتها في اطار اسلامي صحيح وقاومت الاستعمار حيث لم تترك له المجال للاستيلاء على عقلها لتكون أداة يستغلها لتحويل الأسرة عن أصالتها (١) .

أما عن " زكية " المجاهدة فقد تقول . . والجزائرية التي كانت ترصف تحت أغلال حجابها منذ ربع قرن ، تحررت اليوم من عقالها والعائلات التي حجبت بناتها في سن الحادية عشرة وتمنعهن حتى من اتمام الدراسة الابتدائية أصبحت الآن لا تسمح بناتها بالعمل في الجبال الى جانب المجاهدين فحسب بل تفخر بارتداء بناتها

---

(١) الجزائر - وزارة الثقافة - أنيسه بركات - الثقافة - عدد ٨٢ ، ص : ٢٠٦ .

الزى العسكرى أو لباس " الهلال الأحمر " ومشاركة المجاهدين في حقل الوطنية.(١)

على كل حال ، الحجاب لم يكن فى يوم من الأيام غل من الأغلال ، فلو كان كذلك لكانت سلطات الاحتلال أول من يأمر به المرأة الجزائرية ! ولو كان الحجاب معقلا لكانت فرنسا الطاغية أول من يفرضه عليها !

فما لا شك فيه أن حكومة الاحتلال كانت دوما وأبدا تسعى لجلب المرأة خارج بيتها ونزع عنها حجابها حتى تسلب منها شخصيتها وأصالتها الاسلامية كما أغرتها بالتعليم المفرنسى لأنه هو القاضى على لسانها العربى ، وهذا ماكان يتخوفه الشيخ ابن باديس رحمه الله .

وهل المرأة الجزائرية خلقت منذ ربع قرن فقط أم أنها تحجبت لمدة ربع قرن فقط !! وهل الحجاب عائق يحيل بين الفتاة ودراستها أو عملها ؟ فما بال الكثير من فتيات اليوم يعملن في مختلف قطاعات العمل بحجابهن ! ان العائلة الجزائرية عائلة محافظة على دينها وأصالتها رغم المحاولات الاجرامية من طرف المعمر وأعوانه للقضاء عليها ، فلم يهمها حينئذ الزى العسكرى ولا لباس الهلال الأحمر حتى تفتخر بهما !

لقد جند الشعب الجزائرى كل الوسائل التى يملكها لبث اليقظة والتوعية في مختلف الفئات الاجتماعية بالجزائر وخارجها ، فأدرك أبناء الوطن أن الاستعمار ظلم كله وذل وأن دوره الحضارى انما هو وسيلة لتخدير الشعوب الضعيفة ، انه لمن ظاهرة التفاؤل والاعجاب أن ترى الأطفال الصغار بالمدارس يحاولون مشاركة آبائهم فى كفاحهم للمستعمر !

فقد كان الصبيان يردون على هجمات المعلمين الفرنسيين ضد الاسلام ، فالمعمرون لم يتركوا الفرصة تذهب سدا بدون التعبير عن مشاعرهم ضد هذا الوطن الآبى ، فذات يوم ، في الفصل . . . فقال لنا صاحبنا في خلاصة تثريب طويل : نبيكم محمد

---

(١) مسعود مجاهد ـ الجزائر حتف الأجيال ـ مرجع سابق ص ٦٢٨ .

كذاب " فانتصبت قائما وكان الغضب قد صفر وجهي وقلت له : سيدى تستطيع أن تقول هذا أمام أطفال ، لأننا صغار جدا ولا نعرف شيئا لكي نناقشك ولكن يجب أن تفهم بأن ديننا مقدس بالنسبة لنا ، كلا ، كلا ، انه ليس جميلا منكم أن تقولوا هذا الكلام "(١).

انها الثورة ، فكثيرا ماينتبه المعلم الفرنسي الى أحد تلامذته منعزلا في ركن من أركان القاعة الدراسية وهو يرسم علم وطنه وفكره ، مشاعره جوارحه كلها شرود ، تحلم بهذا العلم يرفرف على باب مدرسته وعلى مسجد مدينته أو قريته على منزل والديه !!

ومضت الثورة طريقها ، كانت جمعية العلماء تمر بمرحلتها الأخيرة من كفاحها المجيد ١٩٥٤م - ١٩٥٦م فواصلت جهادها تحت قيادة الشيخ البشير الابراهيمي بالمزيد من الحماس والتضحية الى أن صدر قرار من سلطات الاحتلال يحل جميع المنظمات داخل الوطن ، فانطفأت حينئذ شعلتها ، أغلقت المدارس الحرة ، الخاصة بالتعليم الاسلامي منها المعهد " الباديسي " الذى أغلق سنة ١٩٥٧م واعتقل أصحابها .

فلم يبق للتعليم الاسلامى أثرا سوى في الكتاتيب " السرية " التى هيئها بعض الشيوخ في ركن من أركان منازلهم المتواضع لمواصلة الرسالة المقدسة فيلتحق بعض أبناء الوطن في المساء المظلم !

أما التعليم الرسمي فقد بقي سائر المفعول ، بل لقد ازداد عدد الطلبة الملتحقين به نتيجة اضطهادهم وغلق المدارس الحرة في وجوههم كما أصبح عدد التلاميذ بالنسبة للمدرس الواحد يتراوح مابين ٣٠٠ و ٥٠٠ تلميذ (٢).

ومن المصادر الأجنبية لنا هذا الجدول الذى يعرض عدد التلاميذ المسجلين عام ١٩٥٥م وعام ١٩٦٠م .

---

(١) أحمد بن بلا - مذكرات - ترجمة العفيف الأخضر - ط٢ - ١٩٦٧م ، بيروت ، ص : ٨٠

(٢) تنظيم التعليم العربي موجع سابق ص٣٦ .

١٩٦٠م		١٩٥٥م	
٣٨ر٦٧٨	على	٣٠٩ر٤٣٦	١٤ر٠٠٠ الجزائر العاصمة
٢٥ر٨١٨	على	٦٥٥ر٦٠٦	١٣ر٠٠٠ قسنطينة
٢١ر٠٠٠	على	٢٧٤ر٩١٢	١٢ر٠٠٠ وهران
٢٦ر٢٣	على	٢٧ر٥٥٣	٠ الصحراء
٨٨ر١١٩	على	٨٦٧ر٥٠٧	٣٩ر٠٠٠

وتم احصاء عدد البنات المسلمات ، حسب نفس المصدر، ب ١٥ر٨٦٠ بنت في سنة ١٩٦٠م.(١)

وفي سنة ١٨٥٨ - ١٩٥٩م ونظرا لتصاعد الكفاح المسلح وأصرار الشعب الجزائري على نزع حريته ظهر " الجنرال ديغول De Gaulle " على المسرح الفرنسي الاستعماري بمبادرة منه لتهدئة الشعب ووقف القتال ، وهي بمثابة وعود خمسة تضمنها المشروع :

مشروع " ديغول "(٢) :

١- توزيع ٢٥٠ ألف هكتار على الفلاحين .

٢- بناء ٢٠٠ر٠٠٠ مسكن لاسكان الجزائريين بها خلال السنوات الخمس التي تتحدد فيها مدة انجاز المشروع .

٣- اتاحة الفرصة لثلثي أطفال الجزائر لينالوا تعليمهم وذلك خلال السنوات الخمس المذكورة .

٤- انشاء ٤٠٠ ألف وظيفة جديدة وذلك كنتيجة للتصنيع وتنمية عدد الموظفين المسلمين الجزائريين خلال السنوات الخمس .

٥- رفع أجور العمال الجزائريين حتى تكون في مستوى الأجور التي يتقاضاها الفرنسيون بفرنسا .

---

(١) تنظيم التعليم العربي مرجع سابق ص ٣٦ .

(٢) القاضي الجزائري - الجزائر عبر الأجيال ، مرجع سابق ص ٥٦٠ .

وما لا شك فيه أن الشعب الجزائرى تحت قيادة جبهة التحرير الوطنى ، استقبل هذا المشروع بالرفض والاستنكار كما تبعته العديد من الانتقادات التى أوردتها الصحف والمجلات الوطنية تحت عناوين مختلفة تتسم باللهجة المعادية العنيفة .

فكيف تريد الحكومة الفرنسية من الشعب الجزائرى الكف عن مطالبه السامية والرضى ببعض الهكتارات تمنحها له من أراضيه وبضع مدارس التى لا يمكن أن تعوض مدارس جمعية العلماء ، ان الشعب الجزائرى الثائر الذى يعانى منذ ١٨٣٠م من مظالم فرنسا واستبدادها لا يمكن أن يتوقف اليوم وقد انطلق به موكب الثورة ، الا اذا نال حريته وكرامته .

فكيف يعد الجنرال " ديجول " الجزائريين بتعليم أبنائهم ؟ لماذا ياترى لم تطرح هذه المسألة الا في هذه الظروف ؟

فمن هنا يظهر عجز سلطات الاحتلال على اخماد نيران الثورة التى وصفوا أصحابها بالـ"لصوص" و" الفلاقة " وقطاع الطرق ، وقد وصف الكفاح المسلح الذى تقوده جبهة التحرير بأعمال الشغب والتخريب .

ولقد أحسن الذين ذهبوا الى الجزائر مباشرة بعد انتصار ثورة ١٩٥٤م في وصف الحالة التى وصل اليها هذا الوطن العربى الاسلامى الى درجة تجد القرى فيها حافلة بالكنائس ذات الأجراس ولا تلمح فيها مئذنة جامع واحد ، الى درجة والجزائريون الذين يعرفون اللغة العربية قراءة وكتابة لابد أن يكونوا قد تعلموها في كتاتيب تحفيظ القرآن ، أو خارج الجزائر ، وكانت الشعارات تكتب على الجدران باللغة العربية وبالحروف اللاتينية . فيكتبون الشعار المشهور " الله يرحم الشهداء " هكذا " Allah Yarhem El Chouhada "(١)

---

(١) الجندى أنور ـ الفكر والثقافة ، مرجع سابق ص : ٣١٩ .

مرحـــلة الاســـتقلال :-

سنة ١٩٦٢م ،غادر الكثيرون من المدرسين الفرنسيين البلاد ، يقدر بحوالـــــى ١٠٠٠ر٠٠٠ (١) مما أدى الى توقف نشـاط التعليم الرسمي ، وكانت المدارس القائمة قد أحرقت أو دمرت بحجة أنها كانت تحمي الثوار.

وقد " هدمت جامعة الجزائر وأحرقت مكتبتها بواسطة الارهابيين الفرنســـيين" (٢).

ويشـير نفس المصدر الى أن ١٥٪ فقط عدد المدرسين الجزائريين الذين كانـــــوا يعملون بالمرحلة الابتدائية قبل الاستقلال و ٣ ٪ فقط بالمرحلة الثانوية ، أما عـــــدد " التلاميذ المسجلين فقد كان ٣٠٠ر٠٠٠ تلميذا ضمن ١٥٠٠ر٠٠٠ صغار المسلمين في سن الدراسة" (٣).

وفي " جوان ١٩٦٢ - انعقد " مؤتمر طرابلس" الذى أبدى اهتماما بالغا بالتعليم الاسلامي ، وقد كان موضوع اللغة العربية في جدول أعمال المؤتمر .

ومن نتائجه أنه أكد ضرورة استرجاع اللغة العربية لمكانتها - " الوطنية الثوريـــــة والعلمية" (٤).

---

(١) الجزائر - وزارة التربية الوطنية - مدخل الى اصلاح التعليم - ١٩٦٩م ،ص: ١٠٨ بالفرنسية .

(٢) مرسي محمد منير - التعليم العام في البلاد العربية - ط ٢ ، ١٩٧٤م - القاهرة ص : ١٣٥ .

(٣) الجزائر - وزارة التربية والوطنية - مدخل الى اصلاح التعليم-١٩٦٩م- ص: ١٠٨ ، بالفرنسية.

(٤) وادى بوزار - الثقافة في سؤال - ١٩٨٢م - ص : (١٠٠) .

خلاصـــــة :-

أهم ما نستخلصه عن " الصحافة " أنها كانت سلاحا حادا في مواجهة الغزو الفرنسي . فهي بحق مدرسة متنقلة الى الفرد الجزائرى حيثما وجد ، حيث أساتذتها هم كبـار العلماء والشيوخ وقد روعي أن تشتمل مناهجها على العلوم اللغوية والشرعية والعـــلوم الطبيعية وبعض العلوم الأخرى كالتاريخ والجغرافيا والأدب ، وقد كانت التربيـــة الاسلامية هي الخطر الذى رسمت وفقه برامج التعليم ومناهجه .

وهذا النوع من الصحافة جلها تابع لجمعية العلماء الجزائريين المسلمين . أما عـــن بقية الصحف الوطنية فقد قسمتها الى قسمين ، قسم منها حاول التصدى لفرنســـا المحتلة عن طريق التوعية والدعوة الى اليقظة من أجل استرجاع الحقوق المفقودة ، وقسم آخر موال لحكومة الاحتلال .

لقد ساهمت حركة التأليف من خلال عرضها لواقع وتاريخ الجزائر المسلمة فـــي تأكيد حقيقة انتمائها الاسلامي كما أنها عملت على تنمية الوعي الاجتماعى ، هـــذا بالاضافة الى توجيه الاهتمام نحو أهمية وضرورة الالتزام بمسارات الفكر الاسلامي .

أما عن المسرح الجزائري : فقد حاول هذا الأخير أن يكون منه ظهوره وسيلة يعبر من خلالها أفراد الشعب عن معاناة الأمة الجزائرية في شتى الميادين ومنها ميدان التعليم ، حيث حاول المسرح إبراز الجوانب الحساسة من الحياة التعليمية في الجزائـر ، أهمها عناية المعمر بلغته واهمال اللغة العربية . فقد ظهرت على خشبة المســـرح الجزائرى محاولات قيمة تدعوالى التمسك بشعائر الدين الحنيف وتعلم العلم النافـع في اطار اسلامي مميز حتى وان كان هذا العلم يمثل اللغة الفرنسية في حد ذاتهـــا ، اعتبارها لغة أجنبية مثل سائر اللغات الأجنبية الأخرى .

وفيما يخص الرواية الجزائـرية : فقد امتازت معظمها بالطابع الوطني ، القومي وان كانت جميعها باللغة الفرنسية ، هناك محاولات قليلة جدا من هؤلاء الأدبـــاء لصالح التعليم الاسلامى من خلال لفت الأنظار بداخل وخارج الوطن نحو الأوضـاع السيئة والخطيرة التي يحياها هذا الشعب في جميع الميادين .

و لا تحاد الطلبة الجزائريين موقف فعال اتجاه التعليم الاسلامي ، يتسم بالـــروح التضامنية والنشاط الجاد سواء في داخل الوطن أو في المهجر ، فبعد انسلاخ الطلبة الجزائريين عن" اتحاد الطلبة الفرنسيين بالجزائر " أصبحت لهم عزة وكرامة وكلمـــة تسمع يخشاها الأعداء . فقد شارك هؤلاء عدة مؤتمرات ، جمعيات وندوات من أجـل التعريف بثورة التحرير وأهـــدافـها وبما أن التعليم الاسلامي يهدف الى ترجمـــة الفكر في صور وسلوكيات عملية واقعية لذلك فقد كان لهذه النشاطات الفكرية والعمليـــة للطلبة الجزائريين دور بارز في دعم التعليم الاسلامي .

وقد جاءت ثورة التحرير لتخرج ابن الجزائر من الجهل والظلم والظلام الى حياة ينعم فيها بالكرامة والحرية في ظل الجزائر العربية المسلمة .

وأهم ماقدمت حرب التحرير للتعليم الاسلامي بصفة مباشرة وغير مباشـرة حـــين اشـــتعلت في وجه الأعداء :

١- أنها فصلت بين الجزائرى المسلم المخلص والجزائرى "المفرنس" ، الموالـــى لحكومة الاحتلال المعروفين لدى الوسط الجزائرى العامى ببني " وى - وى " (أى " نعم - نعم") .

انها وضعت أبناء الأمة كلهم أمام الاختيار الواحد : " اما الانضمام الى الثورة من أجل استعادة الجزائر بعروبتها واسلامها أو الانحياز الى العدو " .

٢- أنها وحدت بين أبناء الوطن بدون اعتبارات ، لاعربي ولا بربرى كلهـــــم كالجسد الواحد تحت راية " لا اله الا الله محمد رسول الله " صلى الله عليه وسلم .

٣- توحيد صفوف الطلبة بالقطر الجزائرى وخارجه والتضامن الفعال من أجـــل استرجاع جزائر الأمس ، أى قبل الاحتلال الفرنسي ، والتي كانت تنعـــــم بانتشار العلم والمعرفة في اطار اسلامي أصيل .

٤- المرأة الجزائرية المسلمة التي حلم الاستعمار بضياعها قد تنبهت الى حقيقـــة انتمائها الى هذا الوطن الأبي وحقيقة أصالتها العربية الاسلامية فتحملـــت المرأة حينئذ المسؤولية وانقلبت ضد العدو القاهر .

٥ - وأخـــيرا تحقيق الأمل باســـترجاع الجزائـــر أرضـ المليون ونصـــفـ شـــهيد ، فخرجت حينئـــذ منهكة القوى ولكن بتطلعات وآمـــــال أكبر نحو البناء والتشـــييد في جميع الميادين .

الفصل السادس

نتائـــج البحـــــث :-

عنيت هذه الدراسة بالتعليم الاسلامي في ظل الاحتلال الفرنسي للجزائر من سنة ١٩٣٠م - ١٩٦٢م تاريخ اعلان الاستقلال الكامل لبلد المليون ونصف شهيد !

ويمكن تلخيص النتائج التي توصلت اليها فيما يلي :

أولا : قبل الاحتـلال الفرنســي :

أ- للأميـة نسبة قليلة لا تكاد تذكر.

ب- التعليم الموجود أنذاك هو التعليم الاسلامي واللغة الرسمية هي العربية .

ج - مناهج التعليم منسجمة مع غاية التعليم وأهدافه العامة والخاصة لكـــل مرحلة من المراحل التعليمية .

ثانيا : في ظـــل الاحتلال :

أ- دخول الفرنسيين كان حربا ونقمة بدايته السلب والنهب والتعدى الصـــريح على المؤسسات التعليمية ومصادر تمويلها رغم تعهدهم باحترام الشـــعائر الدينية وجميع ممتلكاتها .

ب- أن معركة التربية والتعليم كان لها الأثر البالغ في صمود مقاومة الأمير عبد القادر الجزائري وانتصاراته العديدة ضد الجيوش الفرنسية وأعوانها .

فقد أدت عناية الأمير عبد القادر بالتربية والتعليم الى الاستقامة الخلقيـــة لأبناء الشعب الجزائري وتحليهم بالفضيلة والعلم النافع والتضحية في سبيله .

ج - أن سياسة نابليون رغم الألفاظ البراقة والاغراءات الا أن الأهداف لم تتغير فالاستعمار هو نفسه سواء كان في صورة " نابليون " المنقذ المزعوم أو فـــي صورة المبشر المسيحي المخادع ، المحتال .

ثالثا : التيارات الخارجية وانعكاساتها المختلفة على التعليم الاسلامي :

أ- أنه لا يمكن للتيار المادى ولا التيار الشيوعى أن يعود بالخير على التعليم الاسلامى لأن الأول يشرك المادة بعبادة الله الواحد .

أما التيار الثاني فهو ينفى وجود الإله الخالق .

اذ كلاهما يحارب الأسس المتينة للتعليم الاسلامى .

ب - عودة المهاجرين ، طلبة العلم ، علماء ومثقفين من خيرة أبناء الوطن ، من المشرق العربي الاسلامي كانت عنصرا أساسيا في توحيد الصف والكلمة بين أبناء الجزائر تحت شعار " نادى الترقي " الذى كان بمثابة مكان لقاء وتعارف من جهة ومنبع للعلم والمعرفة بأنواعها من جهة أخرى ، وقد برزت منه " جمعية العلماء المسلمين الجزائريين " .

رابعا : " جمعية العلماء " والتعليم الاسلامى :

أ- ظهور " جمعية العلماء " غير مجرى الحياة العامة فأصبح كل عمل جد وتضحية من أجل أبناء الوطن بغية تربيتهم في ضوء كتاب الله وسنة رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم وتعليمهم تعليما بفروعه العلمية وفق أهداف اسلامية .

ونجم عن ذلك تضامن ومساهمة فعالة من المواطنين الجزائريين وبروز نشاط تعليمي وتربوي موازي لنشاط جمعية العلماء من بين أبناء الشعب من أجل بلوغ الأهداف المنشودة .

ب - تضاعف مكر الفرنسيين وأعوانهم ضد التعليم الاسلامي من خلال التعدى الصريح على أعضاء الجمعية ومؤسساتها انما يدل على مدى خطورة هذه الحركة الاصلاحية على المصالح الفرنسية .

ج - ايمان العلماء الأجلاء والشيوخ بمهمتهم المقدسة جعل مسيرة الجمعية لم تتوقف رغم الأحداث التى وقعت والعواقب التى أدت اليها .

د - من جملة الوسائل التي اتخذت سلاحا في وجه الجهل والتغريب والفرنسة ومن أجل التعريف بالمبادئ السامية وتوعية الشعب بغية الرجوع به الى اصالته العربية الاسلامية : الصحافة والتأليف والمسرحية والرواية.

ه - حرب التحرير والتعليم الاسلامي .

من أهم نتائج حرب التحرير أنها كانت ثورة شاملة كاملة ، شارك فيها كل أبناء الشعب صغارا وكبارا كهولا ، نساءا ورجالا ، علماء ، طلبة علم وأميين كلهم يد واحدة من أجل :

" تحي الجزائر عربية - اسلامية "

و - لقد برهنت حرب التحرير على فشل السياسة الفرنسية التي سلكتها من أجل التفرقة العنصرية من جهة بين العرب والبربر ، ومن جهة أخرى اخفاقها في محاولة القضاء على اللغة العربية والدين الاسلامي لأن رغم المائة وثلاثين سنة من الاستعمار فقد خرجت الجزائر وأبناؤها بحمد الله جلهم يدينون بالاسلام ، أجدادنا وآباؤنا مصلون محافظون على سائر العبادات الاسلامية بل الكثير منهم من حملة القرآن الكريم كذلك جداتنا وأمهاتنا مسلمات مصونات متحجبات .

توصيات البحث :-

وفي ضوء النتائج السابقة أوصى بما يلي :-

أولا : بتوحيد الجهود بغية نشر التعليم الاسلامي والقضاء على الأمية التي كان سبب ظهورها الاستعمار في معظم البلدان الاسلامية .

ثانيا- ١- مراجعة المناهج الدراسية بالجزائر وبعض الدول الاسلامية الأخرى والسعي لتنقيتها من الاتجاهات والأفكار العلمية المناقضة للمبادئ الاسلامية من أمثال داروين وفريد وماركس وغيرهم من المفكرين الذين حددوا مسارات الفكر العالمي في ميدان العلوم الطبيعية والانسانية والاجتماعية والاقتصادية .

٢- مراعاة الأسس التي وضعت عليها هذه المناهج ومحتوياتها وأهدافها أن تكون متمشية وفق سياسة الأمة الاسلامية .

ثالثا : التركيز على تربية أبناء الوطن تربية اسلامية في ضوء المنهج الرباني فذلك يجعل منه مواطنا صالحا بمعنى الكلمة أي احساسه بعظمة المسؤولية الملقاة عليه من أجل مستقبل زاهر في جميع الميادين .

رابعا : توحيد البرامج التعليمية يساهم في توحيد الصف والكلمة لدى الأمة الاسلامية كلها وهو عامل أساسي من أجل تحريرها من التبعية الغربية التي لا تزال تعاني منها بعض الأقطار الاسلامية !

خامسا : تعليم الفتاة واجب مقدس ويجب أن يكون في اطار اسلامي ينعم بجو من الثقة والاطمئنان . ومن هذا المنطلق أرى أنه من واجب الدول الاسلامية ، الفصل بين الجنسين في كل المراحل التعليمية . اعتقد أن الوقت قد حان لندرك الأوضاع !

فالاختلاط لا علاقة له بالتقدم العلمي ولا بالحضارة ، بل انه تخطيط غربي ، صليبي قد كشف عنه الشيخ الجليل : " عبد الحميد بن باديس " .

ولنا في " أمريكا " شهادة عربية كافية ، ففي أمريكا أسست حوالى (١٠٨) جامعة وكلية غير مختلطة (١) .

فان دل ذلك على شيء انما يدل على أن الفصل بين الجنسين في العلم والعمل ضرورة لا مفر منها .

سادسا : أرى أنه من واجب الشعب الجزائرى كله والأمة الاسلامية بصفة عامة أن تتحد لمواجهة الأنشطة التبشيرية الخفية التي تعمل على ابعاد المسلم عن دينه ، يجب قطع كل علاقة وتعامل مع أعضاء هذه الجماعة التخريبية لأن شعارها لا يزال " فرق تسد " .

سابعا : أن يصبح القرآن الكريم والحديث الشريف حفظا وتفسيرا ، مادتين اجباريتين في جميع مراحل التعليم وفق أهداف تربوية سليمة .

ثامنا : أ- توجيه الصحافة الوطنية نحو الاهتمام بالقضايا الشرعية التى تخص الفرد المسلم في الحياة الدنيا والآخرة كالزكاة والصدقة وصلة الرحم .

ب - أن تقوم الصحافة بحملة مستمرة من أجل تعريف أبناء الاستقلال (أى الذين ولدوا بعد الاستقلال) بتاريخ وطنهم ومعاناة أمتهم من أجل البقاء .

ج - من واجب المسرح أن يستعمل لغة يفهمها الجميع اذا أريد منه أن يؤدى رسالة التوعية والتثقيف ، عليه أن يتوجه الى أبناء الوطن بلغتهم الوطنية أو باللهجة العربية العامية .

د - يجب أن يعمل موضوع المسرحية على ربط ماضى هذه هذه الأمة الجزائرية المجيدة بحاضرها .

هـ - يجب العمل على ازالة التناقض بين موقف البيت والمدرسة تجاه حركة التعريف القائمة حاليا بدول المغرب العربي خاصة والدول الاسلامية عامة .

و - ان تعليم الأدب الغربى بالطريقة السائدة اليوم في الكثير من المؤسسات التعليمية في بلدان العالم الاسلامى يجعل الاسلام غريبا لدى الجيل المسلم الناشيء .

---

(١) المركز العالمى للتعليم الاسلامى - " توصيات المؤتمرات التعليمية الاسلامية العالمية الأربع " ، ط ١ - ١٤٠٣ هـ ، مكة المكرمة - ص : ٩٣ .

ز - مناهج اللغات الأجنبية الموجودة في شتى البلاد الاسلامية تتطلب اعادة النظر فيها كذلك بنبغى أن يكون معلم اللغة الأجنبية مسلما وعلى درجة من الوعى .

فهناك بحوث واستفتاءات يقوم بها الطلبة المسلمون تهدف الى هدم عقيدتهم يشرف عليها أساتذة غربيون .

الخاتـــــمة :-

بعد استعراض المراحل التي مرّ عليها التعليم الاسلامي بالجزائر مدة الاحتلال الفرنسي وفترة الثورة المسلحة وبعد الكشف عن السياسة الاستعمارية الخبيثة نحـــو التعليم الاسلامي ترسخت في الأذهان خطوطا عريضة امتازت :-

١- ببعدها المتغلغل في أعماق الشعب الجزائري .

فهو ثمرة ايمان غير عادي ، ليس هناك ما يماثله في عصرنا الحاضر ألا وهو القـــرن العشرين ، بل فهو يذهب بنا الى العصر الأول الاسلامي فانه يقـــارب أن يكون ذلك الايمان الساذج الذي خالج السلف الكريم من الصحابـــة ورفاقهم من المؤمنين ، المجاهدين .

٢- توحيد الشعب الجزائري تحت راية الاسلام وتجنيده في خندق الجهـــاد في سبيل اعلاء كلمة الحق وتحرير البلاد .

٣- أسبقية التربية الاسلامية والتعليم الاسلامي وبناء المساجد والمدارس قبـــل التفكير في العلوم الايجابية والتكنلوجية .

كل هذه العوامل كانت للشعب الجزائري بمثابة حصانة مانعة لكل غـــزو فكـــري أو عقائدي أو مادي .

فالتعليم الاسلامي بل ميدان " التربية والتعليم " الاسلامي قد حقق معجـــــزة حاضرة اليوم أمامنا وهي " الجزائر العربية المسلمة " .

فلنلق الآن نظرة خاطفة على وضعية التربية الاسلامية في يومنا الحاضر، لنرى هـــل حقق لنا الاستقلال السياسي والاقتصادي ما حققه آباؤنا الأمجاد زمان الثورة المسلحة.

لقد أقرت السلطات السياسية العليا في البلاد خط التطور في شتى الميادين وأهمها ميدان التربية والتعليم وشرع فعلا في عملية التنفيذ بعد سنوات مـــن الاستقلال ، وقد شهد تحقيقا فعالا في سبيل الاصلاح مع مرور السنين .

انها مهمة ليست بالهينة نظرا لما آل اليه التعليم الاسلامي في ظل الاحتـــلال

الفرنسي وخاصة فترة الثورة التحريرية الكبرى ، فهي تفترض مشاركة كل الشعب الجزائري الموحد باسم الاسلام ويقتضي ذلك ، القضاء على الخلافات لأن أبناء الجزائر كلهم جنود وكلهم مجاهدون . . مسلمون !

يجب حينئذ ازالة بعض الظواهر السائدة اليوم لكي نحقق الأهداف المنشودة ! اذ بدلا من الأخوة الاسلامية والايمان السلفي في ظل الجزائر المستقلة ، أصبح البعض مع الأسف يتنكر للعروبة واللغة العربية . . والبعض الآخر ينادي باحياء اللهجات البربرية والدفاع عن الجهوية . . رغم ماتبذله الدولة من مجهودات جبارة ، في سبيل الوحدة . . .

فالتاريخ يعلمنا أن الشعوب مهما كانت غربية أو شرقية لا تتحد الا بفضل العقيدة الدينية .

ينبغي أن تشارك المدرسة في رفع المستوى الثقافي للأمة الجزائرية جميعها بالنفاذ الى كل مكان ، فهي بوصفها ، الوسيلة الاجتماعية لنشر القيم الخلقية الاسلامية .

علينا أن نستفيد من ماضينا المجيد فيما يخص عملية اصلاح التعليم الاسلامي ، فان الاسلام يعيش اليوم في ضمير كل مسلم حتى ولو كان شخصا غير " متدين " فلاينقص هذا الاسلام سوى جهد محدود .

أخيرا ، فالحمد لله الذي وفقني لهذا البحث المتواضع ، انما هي خطوة ومابداية الألف ميل الا خطوة !! لقد حاولت قدر جهدي اعطاء الموضوع حقه الا أنني أرى فيه التقصير الكثير . انه تاريخ أمة وهل ياترى يمكننا حصر تاريخ أمة كاملة في عدد المائة أو المائتين صفحة !!

فأهم ماتوصلت اليه من موضوعي هذا أن الباحثة مهما كان لا يمكنها الالمام بالحقائق التاريخية جميعها من عدد محدود من المراجع والتي هي عبارة عن كتب جلها معتمدة عن بعضها البعض ومتكررة وغالبا مايكون صعبا الاعتماد عليها .

فقد اكتشفت فعلا دقة المنهج التاريخي وصعوبته ! واكرر فأقول فان وفقت في هذا البحث فهذا من الله وحده والا فمن نفسي وأستغفر الله ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

خريطة الجزائر

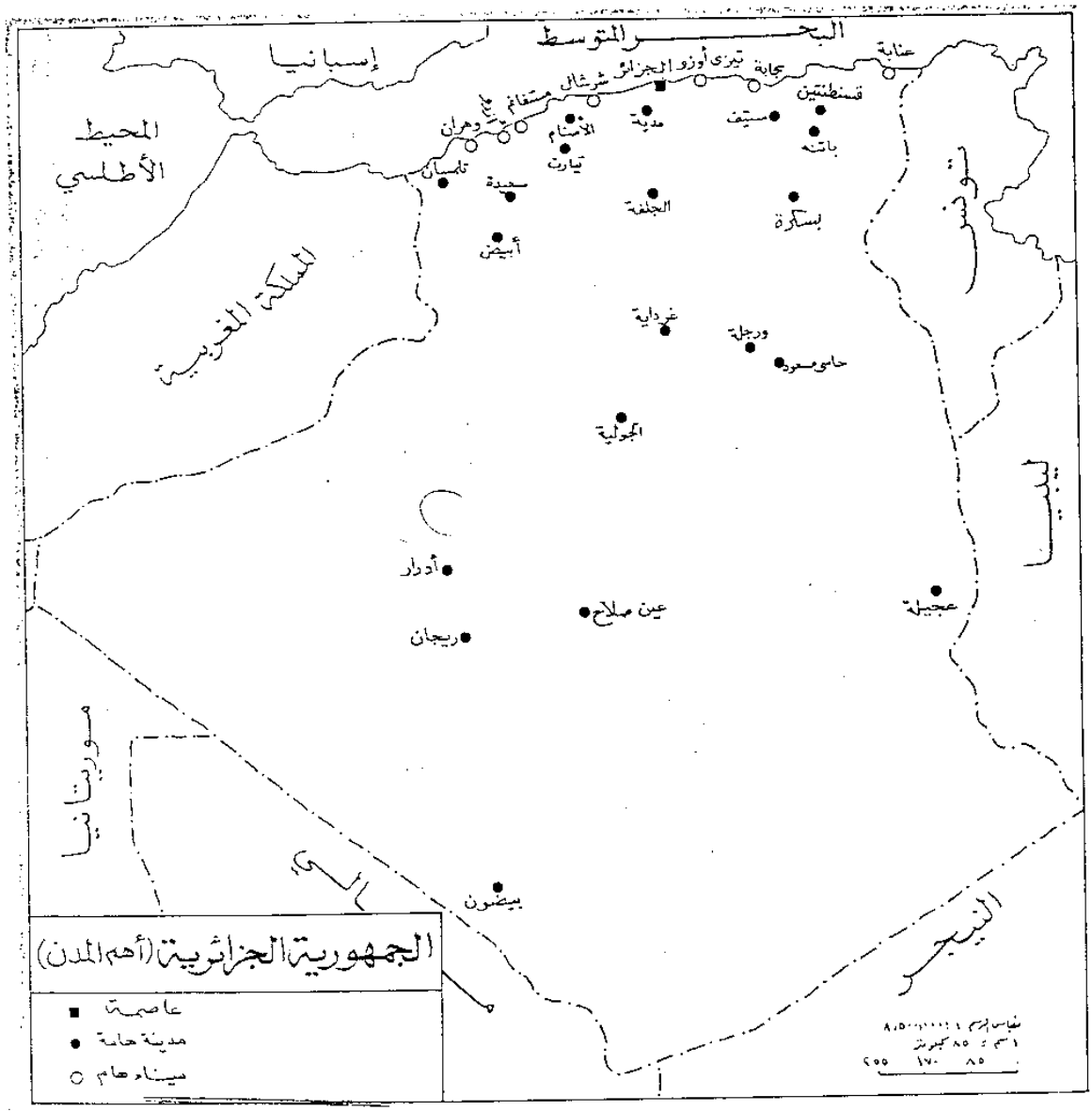

* فهـــرس المراجـــع *

١- القرآن الكريم .

٢- كتب الحديث .

٣- الابراهيمي :- عيون البصائر - السلسلة ٢ - ط ٢ ، ١٩٧٥م - الجزائر .

٤- أبو العيد دودو - الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان - ١٩٧٥م - الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - الجزائر .

٥- أبو القاسم سعد الله - تاريخ الجزائر الثقافي من القرن ١٠-١٤ هـ - ج أ ، ١٩٨١م - الشركة الوطنية - الجزائر.

٦- " " - أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر - ١٩٧٨م - ١٩٨١ م - الشركة الوطنية - الجزائر .

٧- " " - الحركة الوطنية الجزائرية - ط ٢ - ج ٢ - ١٩٧٧ م الشركة الوطنية - الجزائر .

٨- " " - الحركة الوطنية الجزائرية - ط ٢ - ج ٣ - ١٩٧٧ م الشركة الوطنية - الجزائر .

٩- أبو زهرة - الجزائر - ١٩٦٤م - القاهرة .

١٠- أحمد بن بلا - " مذكرات " - ترجمة العفيف الأخضر - ط ٢ - ١٩٦٧م بيروت .

١١- أحمد الرفاعي شرفي - مقالات في الدعوة الامام الشيخ العربي التبسي - قسم ١ - ط ١ ١٩٨٤م قسنطينة .

١٢- أحمد الرفاعي شرفي - مقالات في الدعوة الامام الشيخ - قسم ٢ - ط ١ ، ١٩٨٤م - قسنطينة .

١٣- بن نبي مالك - الطالب - ط ١ - ١٩٧٠م - دار الفكر - بيروت .

١٤- بن نبي مالك - في مهب المعركة - ١٩٧٨م - دار الفكر - دمشق .

١٥- بن ميمون محمد الجزائرى - " التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمدية " ١٩٧٢م - الشركة الوطنية - الجزائر .

١٦- بوصفصاف عبدالكريم - جمعية العلماء المسلمين الجزائريين - ط ١، ١٩٨١م الجزائر.

١٧- بوعزيز يحيى - الأمير عبدالقادر - ط ١ ، ١٩٨٠م - دار النفائس - بيروت .

١٨- جابر عبدالحميد جابر ، وأحمد خيرى كاظم - مناهج البحث في التربية وعلم النفس .

١٩- جلبسي جوان - ثورة الجزائر - ترجمة عبدالرحمن صدقي أبو طالب - جـ٢ ، ١٩٥٩م - الدار المصرية .

٢٠- الجندى أنور - الفكر والثقافة المعاصرة في شمال افريقيا - ١٩٦٥م - الدار القومية - القاهرة .

٢١- الجيلالي عبدالرحمن - تاريخ الجزائر العام - جـ ٣ - ط ٦ - ١٩٨٣م - دار الثقافة - لبنان .

٢٢- الجيلالي عبدالرحمن - تاريخ الجزائر العام - جـ٤ -

٢٣- الجيلالي عبدالرحمن - تاريخ الجزائر العام - جـ٥ -

٢٤- الجيلالي عبدالرحمن - محمد بن أبي شنب - ١٩٨٣م - المؤسسة الوطنية للكتاب .

٢٥- حداد يكن-ني - أبناؤنا بين وسائل الاعلام - ط ٢ - ١٩٨٣م - سوريا .

٢٦- الحصين سعد - تصور اسلامي للتعليم الثانوى - ط ١ - ١٩٨٣م - المركز العالمي للتعليم الاسلامى - مكة .

٢٧- خرفي صالح - صفحات من الجزائر - دراسات ومقالات - ١٩٧٢م - الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - الجزائر .

٢٨- خوجة حمدان بن عثمان - المرأة - تحقيق محمد العربي الزبيرى - ١٩٧٥م - الشركة الوطنية . . . الجزائر.

٢٩- دبوز محمد علي - نهضة الجزائر الحديثة - جـ٢ - ١٩٧١م - الشركة الوطنية - الجزائر .

٣٠- رابح تركي - التعليم القومي والشخصية الوطنية - ١٩٧٤م - القاهـــرة .

٣١- رابح تركي - الشيخ ابن باديس - ١٩٦٩ - الشركة الوطنية . . الجزائـــر .

٣٢- الزبير محمد العربي - التجارة الخارجية للشرق الجزائرى - ١٩٧٢م — الجزائـــر .

٣٣- سعد زغلول فؤاد - الجزائر في معركة التحرير - ١٩٥٦م - الجزائـــــر .

٣٤- سيمون بافير - مذكرات - ترجمة أبو العيد دودو - ١٩٧٤م - الجزائـــــر .

٣٥- الشاوى توفيق - اللغة العربية والتربية الاسلامية ط ١ - ١٩٨٣م - المركـز العالمي للتعليم الاسلامي - مكة .

٣٦- صالح العنترى - مجاعات قسنطينة - ١٩٧٤م - الشركة الوطنية للنشـــــر والتوزيع - الجزائر .

٣٧- صوالح محمد - الاسلام والثورة الثقافية - قديما وحديثا - ١٩٣٤م - سوبرون الجزائر (بالفرنسية) .

٣٨- طالبي عمار - كتاب ابن باديس - حياته وآثاره - جـ١ - الجزائر .

٣٩- طحان مصطفى محمد - القيادة في العمل الاسلامى - جـ٢ - ١٩٨٥م - دار الوثائق - الكويت .

٤٠- الطمار محمد - الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج - ١٩٨٣م - الشـــركة الوطنية - الجزائر .

٤١- العربي اسماعيل - المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر . الشـــركة الوطنية للنشر والتوزيع - الجزائر (بدون تاريخ) .

٤٢- العروسي محمد - التربية الاسلامية بين المنهج والمدرس - ١٤٠٣ هـ .

٤٣- العسلي بسام - الأمير عبد القادر - ط ١ - ١٩٨٠م - دار النفائس ، بيروت .

٤٤- العسلي بسام - الله أكبر وانطلقت ثورة الجزائر - ط ١ - دار النفائس - ١٩٨٢م - بيروت .

٤٥- العسلي بسام - الصراح السياسي على نهج الثورة - ط ١ - ١٩٨٢م بيروت.

٤٦- عطار عبد الرشيد ليلى - الجانب التطبيقي في التربية الاسلامية - ط ١ ، ١٩٨١م - جده .

٤٧- غضبان منير محمد نجيب - أضواء على تعليم المرأة المسلمة - ط١ ، ١٩٨٣ م المركز العالمي للتعليم الاسلامي - مكة .

٤٨- ظليب ديستيور شاترين - افريقيا في مقطع الطرق - ١٩٥٥- باريس (فرنسي) .

٤٩- فيكس ليون - الجزائر حتف الاستعمار - ترجمة محمد غياني - مكتبة المعارف.

٥٠- فيلالي مختار الطاهر - نشأة المرابطين والطرق الصوفية وأغراضها في الجزائر في العهد العثماني - ط ١ - ١٩٧٦م - باتنة .

٥١- الكيلاني ابراهيم - أدباء الجزائر - ١٩٥٨م - دار المعارف - مصر .

٥٢- مجاهد مسعود - الجزائر عبر الأجيال .

٥٣- محمود قاسم - الامام عبد الحميد ابن باديس - ط ٢ - ١٩٦٧م - دار المعارف القاهرة .

٥٤- محب الدين الخطيب - المؤيد - ٣٣٠ هـ - القاهرة .

٥٥- المدني أحمد توفيق - كتاب الجزائر - ط ٢ - ١٩٦٣م - دار الكتاب - الجزائر .

٥٦- المدني أحمد توفيق - هذه هي الجزائر - ١٩٥٦م - مكتبة النهضة - مصر.

٥٧- المدني أحمد توفيق - حياة كفاح - ج١ - ١٩٢٥م - الشركة الوطنية الجزائرية.

٥٨- مرسي محمد منير - التعليم العام في البلاد العربية - ط ٢ - ١٩٧٢ م - القاهرة .

٥٩- مسعود الجزائري - تاريخ الجزائر - ١٩٧٢م - الشركة الوطنية الجزائرية .

٦٠- معلوم يوسف - المنجد في اللغة والآداب - ط ٥ - ١٩٢٧م - المطبعة الكثوليكية - بيروت .

٦١- الميداني حبنكة - أجنحة المكر الثلاثة - ط ١ - ١٩٧٥م - دار القلم دمشق .

٦٢- الميلي محمد - ابن باديس وعروبة الجزائر - ط ٢ - ١٩٨٠م - الجزائر .

٦٣- النسيمي الجليل - بحوث ووثائق في التاريخ المغربي (١٨١٦ - ١٨٧١م) ١٩٧٢م - الدار التونسية للنشر .

٦٤- نوابغ العرب - ١٤ . الشيخ ابن باديس - دار العودة - بيروت .

٦٥- هيمون : ج ، مدخل الى افريقيا الشمالية الحديثة - ١٩٧٥م - مركز الأبحاث العلمية - باريس . (فرنسي) .

٦٦- وادي بوزار - الثقافة في سؤال - ١٩٨٢م - الشركة الوطنية . الجزائر (فرنسي) .

٦٧- معهد الدراسات الاسلامية - " الجزائر " - ١٩٦٢م - ١٩٦٤م - القاهرة .

٦٨- وزارة الشؤون الدينية - " مجالس التذكير من حديث البشير النذير للامام المصلح الشيخ ابن باديس " - ط ١ - ١٩٨٣م - الجزائر .

٦٩- وزارة الشؤون الدينية - " كتاب اثار الامام ابن باديس " جـ٣ - ط ١ ، ١٩٨٤م الجزائر .

٧٠- وفد الشئون السياسية - تنظيم تعليم اللغة العربية - ١٩٦١م - الجزائر .

٧١- وزارة التعليم - " اصلاح التعليم " - ١٩٧٤م - الجزائر .

٧٢- وزارة التربية الوطنية - مدخل الى اصلاح التعليم - ١٩٦٩م - الجزائر (فرنسية) .

٧٣- المركز العالمي للتعليم الاسلامي - توصيات المؤتمر العالمي الأول للتعليم الاسلامي (١٣٩٧هـ) ط ١ ، ١٤٠٣هـ - مكة .

٧٤- وزارة التعليم العالي - توصيات المؤتمرات التعليمية الاسلامية العالمية الأربع - ط ١ ، ١٤٠٣هـ - المركز العالمي للتعليم الاسلامي - مكة المكرمة .